الجريمة المستمرة

تحليل نسوي لسياقات جريمة
الأسلحة الكيماوية في الغوطة الشرقية
21 آب 2013 وتداعياتها المباشرة
والمستمرة على الناجيات والناجين

Women Now
For Development
النساء الآن للتنمية

الجريمة المستمرة

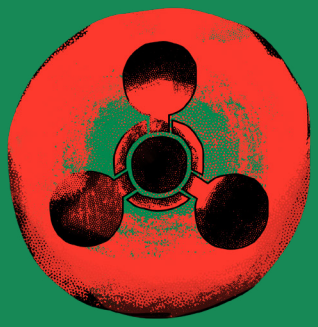

Women Now
For Development
النساء الآن للتنمية

منظمة النساء الآن للتّنمية - قسم الأبحاث النسوية

كتابة وإعداد: نسرين حبيب
باحثة مساعدة: بيان المالح
مشاركة في الإعداد والمراجعة: لبنى قنواتي
مراجعة السياق الخاص باستخدام الأسلحة الكيمائية في سوريا: محمد كتّوب
تصميم البحث: عمّار بويضاني
تدقيق لغوي: DocStream

منظمة النساء الآن للتنميّة

هي منظمة نسوية تقودها النساء لتعميق وتقوية دور المرأة في تشكيل مستقبل ديمقراطي لسوريا. تأسست في حزيران 2012، وهي الآن أكبر منظمة نسائية في سوريا، حيث تصل إلى آلاف النساء والفتيات سنوياً داخل سوريا وفي البلدان المجاورة، من خلال ثلاثة مجالات برامج متكاملة: برامج الحماية والتمكين والمشاركة والقيادة. البحث النسوي وإنتاج المعرفة والمناصرة والحملات على المستويين المحلي والدولي، حيث تركز أبحاث المنظمة في المقام الأول على إنتاج المعرفة النسوية مثل توثيق وجمع تجارب النساء وشهاداتهن، والبحث والتحليل النوعي والكمي المتعمق. المناصرة وحملات التوعية المحلية والدولية حول حقوق المرأة، الحركات الناشطة بقيادة النساء، مبادرات المجتمع المدني النسوية، العنف القائم على النوع الاجتماعي وظروف عيش النساء في سوريا.

تمّ إنتاج هذا البحث بالشراكة مع منظمة إمبيونتي واتش: منظمة دولية غير ربحية تعمل منذ أكثر من 15 عاماً في البلدان الخارجة من الصراعات، وحالياً في أمريكا الوسطى وإفريقيا والشرق الأوسط وغرب البلقان ولديهم تواجد في غواتيمالا وبوروندي، جوهر ما تقوم به هو التعاون مع ضحايا العنف والمجتمعات المتضررة من أجل اقتلاع هياكل الإفلات من العقاب المتجذرة بعمق في الصراعات وتقديم التعويضات عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، كما تركز على جمع المعرفة ومشاركتها مع الشركاء وذلك من خلال التدريب والعمل السياسي والبحث، وعلى حشد العمل السياسي المشترك من خلال بناء الشراكات وربط المعرفة والمطالب من التحالفات وروابط الضحايا بصناع السياسة المعنيين على جميع المستويات. تركز أبحاث المنظمة حول مفاهيم العدالة التحويلية والعدالة الانتقالية والإفلات من العقاب.

جميع الحقوق محفوظة لمنظمة النساء الآن. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا البحث أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة كانت، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ، التسجيل، أو أي نظام لتخزين أو استرجاع المعلومات، دون الحصول على إذن خطي من الجهة الناشرة.

تم النشر في 2025

Women Now
For Development
النساء الآن للتنمية

جدول المحتويات

جدول المحتويات 4

كلمة خاصة 7

تنويه هام 8

ملخص تنفيذي 9

منهجيّة البحث 14

كيفية اختيار الانتهاك والمناطق 14

التواصل واختيار المشاركات والمشاركين 15

مرحلة جمع البيانات 17

مرحلة التحليل والكتابة والمراجعة 17

الدعم النفسي خلال صناعة البحث 18

الفصل الأول: مقدمة تحليلية وتوثيقيّة عن ظروف الجريمة وسياقاتها 19

الظرف الأول: الحصار البرّي والقصف الجوي لمنطقة الغوطة الشرقية من قبل قوّات النظام السوري منذ نهاية الشهر العاشر من عام 2012. 20

الظرف الثاني: غياب الخدمات والمواد الأساسية، وأوضاع معيشية وصحية رديئة بسبب الحصار منذ نهاية الشهر العاشر من عام 2012. 22

الظرف الثالث: الوضع المتردي للمراكز والكوادر الطبية في المناطق المستهدفة من حيث القدرة على العلاج واستيعاب المصابين والمصابات بسبب الحصار والقصف 24

الظرف الرابع: عنصر المفاجأة الذي اعتمدت عليه قوات النظام السوري في تحقيقها أكبر قدر من الخسائر البشرية 26

الظرف الخامس: حالة الطقس في يوم 21. 08. 2013 ومدى ملاءمته لاستخدام سلاح كيماوي وقتل أكبر عدد ممكن من السكان 31

الفصل الثاني: تفاصيل الجريمة وتحليل آثارها المباشرة 32
لحظات وساعات الجريمة الأولى بلسان الناجيات والناجين 33
اللحظات الأولى... غاز كيميائي؟ 36
لحظات الجريمة الأولى وآثارها بلسان المنقذين 44
التعامل مع النساء خلال الإنقاذ 48
لحظات الجريمة الأولى وآثارها بلسان المسعفات والمسعفين 52
ما حدث مع النساء المسعفات وكيفية إسعاف النساء 53
ما حدث مع الرجال المسعفين وكيفيّة إسعاف الرجال 57

الفصل الثالث: آثار الجريمة على حياة الناس بعد أيام من ارتكابها 61
تفاصيل التوثيق والدفن ومصير المقابر 62
أشخاص دُفنت وهي على قيد الحياة 67
ماذا حلّ بأهل الغوطة بعد ارتكاب الجريمة؟ 70
حال الناس والمكان في الأيام والأسابيع الأولى 70
أهالي الغوطة بين الحصار والقصف حتّى التهجير القسري عام 2018 73

الفصل الرابع: الآثار الجسدية والنفسيّة والاجتماعية والاقتصاديّة طويلة الأمد 78
أثر الجريمة على الصحة الجسدية للناجيات والناجين حتى يومنا هذا 79
العلاج والدعم الصحّي للناجين والناجيات من الكيماوي 80
أثر الجريمة على الصحة النفسية للناجيات والناجين حتى يومنا هذا 85
أهميّة الدعم والعلاج النفسي المستدام للناجين والناجيات من جريمة الكيماوي 89

الفصل الخامس: ردود الفعل الدوليّة وآليات السعي إلى العدالة 97
رد فعل المجتمع الدولي على الجريمة 98
هل يتوقف تحقيق العدالة على الآليات الدولية الرسميّة؟ 102

التوصيات 106
تعزيز العدالة والمساءلة 106
الرعاية الصحية المستدامة للناجيات والناجين وذوي الضحايا 107
الرعاية النفسيّة المباشرة والمستدامة للناجيات والناجين وذوي الضحايا 108
البحث وتوثيق الآثار طويلة الأمد للغازات الكيماوية على الناحية الجسديّة والنفسية والاجتماعية: 108
الدعم الاقتصادي والاجتماعي للناجيات والناجين وذوي الضحايا 109
برامج حماية الشهود والشاهدات 110

الملحق أ 112

الملحق ب 115

الملحق ج 118

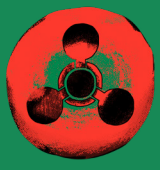

كلمة خاصة

يشعر الفريق البحثي عادة بالإنجاز والفرح لانتهائه من عمل بحثي، وخاصة هذا البحث الذي يتطرق إلى مواضيع وتفاصيل تغيب عادة في الأبحاث التقليدية حول جرائم الحرب. إلّا أننا لا نشعر بهذه البهجة، بل نشعر بالغضب والقهر والإحباط في توثيق تفاصيل جريمة تمتلك من الوحشيّة ما يكسر الذات الإنسانيّة بغير رجعة. جريمة حصلت على مرأى البشرية جمعاء، في عصر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، عصر سمّوه بعصر الحقوق والحريّات جزافا. جريمة لم يُعاقب مرتكبوها حتى الآن، ولم تلتفت أيّة جهة إلى مصير من نجوا ونجين منها، بل ظلّوا في طيّ النسيان.

حتى مصطلح النجاة، واستخدام أوصاف مثل ناجيات وناجين في مثل هذا السيّاق كان مربكا لنا، وأعدنا التفكير بمعنى النجاة كثيراً، هل النجاة أن يبقى الإنسان على قيد الحياة؟ بجسد منهك محمّل بالأمراض وحال نفسيّة مهشمة؟ بثقل الخذلانات الجمعيّة والشعور بالظلم والعجز؟ في غياب دوائر دعم مجتمعي وإحساس دائم بالوحدة والذنب والنبذ؟ هل هذه نجاة؟ إلّا أنّ قدرتنا اللغويّة لم تسعفنا على ابداع مصطلح آخر يعبّر عن هذه الحالة فأبقينا على وصف ناج وناجية. إضافة إلى روح الصمود والرغبة بالبوح رغم صعوبته التي وجدناها في مقابلاتنا مع النساء والرجال، والتي جعلتنا نعزز إدراكنا بأننا لسنا نحن من نقرر معنى النجاة، بل صاحباته وأصحابه. شكراً من القلب لكلّ النساء والرجال على المشاركة في هذا البحث رغم التعب الجسدي والنفسي، شكراً لكنّ ولكم على إمدادنا بالقوّة لإكمال هذا البحث. شكراً لفريق الدعم النفسي الذي رافقنا، وللمشاركات والمشاركين على طول العمل رغم تعبهم الخاص من سماع الويلات والشعور بالعجز أحيانا أمامها. شكراً لزميلتي الباحثة بيان المالح[1] التي نظّمت وأجرت جزءا من المقابلات وكتبت في هذا البحث، وكانت على تواصل يومي مع النساء والرجال وحاولت بكل الطرق الممكنة أن تؤمن لهنّ ولهم الرعاية الصحيّة والنفسيّة والدعم. شكراً للبنى قنواتي[2] صاحبة فكرة هذا البحث، ولجهودها رغم ثقل هذه المهمّة عليها كناجية من هذه الجريمة لإتمام هذا البحث ودعم الفريق البحثي معنويا ومعرفيّا في كلّ مراحله. شكراً للدكتور محمد كتّوب[3]، الذي كان معنا بمعرفته ومشاعره ولم يتوان للحظة لتزويدنا بأيّة معلومة أو للتجاوب معنا كلّما خطر لنا سؤال أو استفسار عن السياقات وتفاصيلها، ولمراجعته معنا للبحث قبل إصداره.

نسرين حبيب[4]

[1] بيان المالح: باحثة مساعدة في إعداد البحث، وهي باحثة سياسية، متخصصة في السياق السوري لها أبحاث متعددة وخبرة في توثيق الانتهاكات، مهتمة بالنظرية النسوية التقاطعية.

[2] لبنى قنواتي: نسوية سورية وناشطة في مجال حقوق المرأة، تعمل مديرة مشاركة في منظمة النساء الآن من أجل التنمية، وهي منظمة نسوية سورية رائدة. بدأت رحلتها في الأيام الأولى للثورة السورية، حيث انضمت إلى الاحتجاجات المطالبة بالعدالة والكرامة. وإدراكاً منها للظروف القاسية التي تواجهها النساء أثناء النزاع، اضطلعت لبنى بالدور الحاسم المتمثل في تقديم المساعدات الإنسانية في المناطق المحاصرة. طوال رحلتها، كانت لبنى مدافعة لا تكل عن انتهاكات حقوق الإنسان. لقد وثقت الانتهاكات، ودعمت زملائها المدنيين، وعززت بدأب المساءلة عن الهجمات بالأسلحة الكيماوية على المدنيين والمدنيات السوريين بالإضافة إلى جهودها في مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعي.

[3] الدكتور محمد كتّوب: عضو في الشبكة السورية للصحة العامة، خبير في العمل الإنساني والمناصرة للقضايا الإنسانية والحقوقية وتمكين المجتمع المدني وحماية العاملين في مجال الإغاثة في سوريا ودول الجوار، وهو زميل باحث في مركز حقوق الإنسان بكلية الحقوق في جامعة كاليفورنيا ببيركلي، وعضو المجموعة الاستشارية لبحث تأثير الهجمات على أنظمة الرعاية الصحية في بلدان الصراع (RIAH)، خلال عمله في المنظمات الإنسانية ومنظمات حقوق الإنسان تركز عمله على الوصول الإنساني للمساعدات، وتوثيق الهجمات على القطاع الصحي، ومكافحة إفلات مستخدمي الأسلحة الكيماوية من العقاب كما أنه عضو مجلس إدارة في حملة (لا تخنقوا الحقيقة).

[4] نسرين حبيب: مديرة قسم الأبحاث النسوية في منظمة النساء الآن، وهي باحثة نسوية متخصصة في تحليل سياقات الانتهاكات في مناطق جنوب وغرب آسيا من منظور نسوي تقاطعي.

تنو يه هام

يرجى ملاحظة أن المعلومات الواردة في هذا البحث قد تحتوي على تفاصيل حساسة قد تكون مؤلمة أو غير مريحة لبعض القراء والقارئات. تم تضمين هذه المعلومات بهدف تحقيق فهم دقيق وشامل للموضوع المدروس، لكننا ندرك أن القسوة التي قد تتسم بها بعض البيانات يمكن أن تكون مزعجة.

حرصنا على عدم تضمين أي صور للضحايا في هذا البحث، وذلك تقديراً لخصوصيتهم وخصوصيتهنّ ولتجنب إضافة أي عنصر قد يكون مؤلماً أو مزعجاً للقراء والقراءات.

نوصي القراء والقراءات بتوخي الحذر، والتفكير بعناية في تأثيرها على الصحة العاطفية والنفسية. إذا شعرتِ أو شعرتَ بعدم الارتياح أو القلق أثناء قراءة البحث، يُفضل التوقف والتحدث مع مختصين ومختصات في المجال النفسي أو الاجتماعي للحصول على الدعم والإرشاد اللازم.

ملخص تنفيذي

إنّ جريمة استخدام السلاح الكيميائي ضدّ السكان في ضواحي دمشق، في الغوطة الشرقيّة والغربيّة في 21 آب 2013 من قبل النظام السوري وقوّاته، هي جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية[5]، استُخدم فيها غاز الأعصاب القاتل (السارين) المحرّم دوليّاً فأسفرت عن مقتل أكثر من ألف إنسان، من رجال ونساء وأطفال[6]، وإصابة حوالي عشرة آلاف في مناطق محاصرة من قبلها،[7] إضافة إلى آثار طويلة الأمد على الناجيات والناجين وعلى مجتمعاتهم وحتى على الأجيال القادمة.

[5] استخدام الأسلحة الكيميائية يُعتبر جريمة حرب منذ عام 1925 بموجب القانون الدولي العرفي والقانون الدولي التقليدي، وقد تم تأكيد ذلك كجريمة حرب بموجب اتفاقيات جنيف المؤرخة في 12 آب 1949، والتي تُعد سوريا طرفًا فيها. الاستخدام الواسع والمنهجي للأسلحة الكيميائية، خاصةً عندما يُستخدم ضد المدنيين والمدنيّات، يُشكّل جرائم ضد الإنسانية كما هو محدد في المادة 7 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. للمزيد من التفاصيل، يُرجى مراجعة المصادر التالية

بروتوكول جنيف لعام 1925.

نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

[6] مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، «تقرير خاص حول استخدام السلاح الكيميائي في محافظة ريف دمشق في الغوطتين الشرقيّة والغربيّة»، 22 آب 2013.

[7] A NEW NORMAL: Ongoing Chemical Attacks in Syria, SAMS, February 2016.

لا تزال الآثار طويلة الأمد لهجمات الكيماوي على الناجيات والناجين غير موثقة أو محللة بشكل معمق ومن منظور تقاطعي نسوي. يهدف بحثنا هذا إلى سد هذه الفجوة المعرفية إلى حدّ ما من خلال تقديم تحليل نسوي لأوضاع وظروف مجموعة من الناجيات والناجين الحالية بعد مرور 11 سنة على هذه الجريمة. وللقيام بذلك كان لا بدّ من وصف وتحليل السياقات الحياتيّة في المناطق المستهدفة بالهجوم الكيميائي بنهج بحثي تقاطعي، قبل وأثناء وبعد الهجوم الكيميائي الذي نفّذه النظام السوري وقواته في 21 آب 2013. **وننوّه أنّ هذه الجريمة استهدفت الأهالي في منطقتي زملكا وعين ترما في الغوطة الشرقية وحدثت حوالي الساعة 2 صباحاً، واستهدفت منطقة المعضميّة في الغوطة الغربيّة حوالي الساعة 5 صباحاً، إلّا أننا في بحثنا هذا ركّزنا على الغوطة الشرقية فقط لعدم قدرتنا إلى الوصول حالياً إلى ناجيات وناجين من الغوطة الغربية.**

من خلال مقابلاتنا مع عشرة نساء وعشر رجال من الناجيات والناجين وأسر الضحايا والمنقذين والمسعفات والمسعفين، ومن خلال البحث المكتبي المكثّف الذي استخدمناه لمراجعة معظم الوثائق والمقالات والمواد المصورة والصوتيّة المنشورة حول هذه الجريمة، لاحظنا آثاراً طويلة الأمد على الناجين والناجيات تتمثل في مشاكل صحيّة ونفسّية واجتماعيّة واقتصاديّة[8]، تشكّل عائقاً يومياً أمامهم وأمامهنّ للاستمرار في العيش بشكل لائق وكريم. ونحن لا نجزم هنا أبداً أنّ هذه الآثار مرتبطة فقط بجريمة استخدام النظام السوري وقوّاته للأسلحة الكيماوية، خاصة أنّ معظم الناجيات والناجين تعرضوا لشتّى أنواع الانتهاكات من قصف وحصار وتجويع وتهجير قسري قبل وبعد جريمة الأسلحة الكيماوية. إنّما نقدّم ما توصلنا إليه من توصيف وتحليل لهذه الآثار ليكون مرجعاً للجهات المهتمة في المجالات المذكورة سابقاً.

وفي غياب أيّة أبحاث معمقة، إلّا القليل مما أشرنا إلى بعضه خلال البحث، حول أثر هذه الجريمة المباشر وطويل الأمد على حياة النساء وأجسادهنّ وصحتهنّ النفسية وأوضاعهنّ المعيشية، **بحثنا في التأثيرات الجندرية المختلفة لهذه الجريمة، وحللنا بناء على الشهادات والبحث المكتبي كيف تُفاقم حالة الحرب آثار الجرائم والعنف على النساء في مجتمعات وحكومة ونظام مارسوا تمييز هيكلي، مجتمعي، قانوني وسياسي، واقتصادي على النساء قبل بدء الثورة عام 2011 ثم الحرب.** حللنا وعرضنا هذه الآثار على طول هذه الورقة البحثيّة، ووجدنا أنّ حدوث هذه الجريمة وغيرها مثل الحصار والقصف ضمن هذه الهيكلية التمييزية قد زاد من الأثر السلبي عليهن في كلّ تفصيل من تفاصيل حياتهنّ، وبشكل خاص في جريمة استخدام النظام السوري وقوّاته للأسلحة الكيماوية، فقد أثّرت بشكل خاص على نجاتهنّ وإنقاذهنّ وعلاجهنّ أثناء وقوع الجريمة رغم جهود الإنقاذ والإسعاف البطوليّة. وتمتد آثار هذه الجريمة بشكل تراكمي ومعقد إلى يومنا هذا على الناجيات، من سوء أحوال نفسيّة وصحيّة، ومن وضع اجتماعي سيء، وتدهور اقتصادي. وفي هذا السياق، لم نُغفل التأثيرات على الرجال، حيث سعينا إلى تقديم تحليل شامل يُظهر الفروقات والتقاطع في التأثيرات بناءً على النوع الاجتماعي. هدفنا من ذلك هو تعزيز الفهم العميق والمعقد لكيفية تفاعل هذه الجريمة مع أشكال متعددة من الظلم، وتبني مقاربات مبنية على نهج نسويّة تقاطعيّة لتحقيق العدالة والإنصاف بشكل شامل.

نؤكد بناءً على بحثنا **ومقابلاتنا أنّ ما يزيد سوء هذه الآثار على الناجيات والناجين ومجتمعاتهنّ ومجتمعاتهم هو غياب العدالة إلى يومنا هذا:** هذه العدالة التي تبدأ بمحاسبة النظام السوري وقوّاته وحلفائه وكل من شارك في التخطيط والتنفيذ لهذه الجريمة. إن فعل المحاسبة يعني الكثير للناجيات والناجين: أن يحاسب هذا النظام

[8] لقراءة عن هذه الآثار ننصح بالاطلاع على الفقرتين التاليتين من البحث: أثر الجريمة على الصحّة الجسديّة للناجيات والناجين حتى يومنا هذا، وفقرة: أثر الجريمة على الصحّة النفسيّة للناجيات والناجين حتى يومنا هذا.

الذي قتل أحبائهنّ وأحبائهم، ولم يتركهم بسلام حتى وهم موتى، بل نبش القبور في محاولة لمحو أثر الجريمة،[9] ولاحق الشهود والشاهدات حتى هذا اليوم؛[10] أن يحاسب هذا النظام على جريمة أدت إلى إصابة الآلاف من أهالي مجتمعات الناجين والناجيات، وأثّرت بشكل مباشر وممتد عليهنّ وعليهم إلى يومنا هذا، وستمتد إلى الأجيال القادمة.

إنّ المحاسبة تعني أنّ الإفلات من العقاب غير وارد، وأنّ هذه الجريمة لن تتكرر، وهذه عدالة لكل الشعوب على الأرض، لأنها قد تردع إلى حدّ ما أيّة جهة أو حكومة من ارتكاب هذا الجرم في المستقبل القريب أو البعيد. **المحاسبة هي بداية العدالة أو الركيزة الأساسية،** لكن من العدالة أيضاً أن تتم رعاية من نجوا ونجين من هذه الجريمة بشكل حساس، ومن خلال برامج اقتصادية وصحيّة ونفسية تحفظ كرامتهم وكرامتهنّ وتعوض عن جزء يسير من الضرر أو تحد من تراكمه وتفاقمه. ومن العدالة أن تتم دراسة الآثار والاحتياجات من منظور جندري وتقاطعي كي يتم علاجها أو إيجاد الحلول لها بناء على نوع الأثر واختلافه واختلاف الاحتياجات المتعلقة به. فقد اكتشفنا من خلال بحثنا عدم وجود أيّة برامج خاصة محليّة أو دوليّة لرعاية الناجين والناجيات من هذه الجريمة صحيّاً أو نفسيّاً أو اجتماعيّاً واقتصاديّاً. بل إننا وخلال البحث سعينا إلى طلب المساعدة من أكثر جهة طبيّة لرعاية الحالات الصحيّة المتدهورة للناجيات والناجين ممن شاركوا معنا في البحث، دون أيّة استجابة تذكر، مم استدعى أن تقوم منظمة النساء الآن بتقديم بعض المساعدة المالية الآنيّة كإجراء إسعافي لبعض الحالات الصحيّة، إضافة إلى الرعاية النفسيّة التي تقدمها المنظمة كجزء أساسي من المنهج البحثي مع الناجيات والناجين من الانتهاكات الجسيمة كحق أساسي لهنّ ولهم، والتي رافقتهنّ ورافقتهم خلال البحث وحتى هذا اليوم. لكن هذا كلّه إجراء آني يسدّ حاجات إسعافية ولا يرقى للدعم المستدام الذي يجب أن تتلقاه الناجيات والناجون من جرائم الأسلحة الكيماوية على كافة الأصعدة الحياتية.

ونتساءل عن سبب هذا الإهمال والنسيان لمن تعرّضن وتعرضوا لهجوم كيميائي، لماذا لا توجد برامج عناية طبيّة مستدامة، أو رعاية اجتماعيّة، أو رعاية نفسيّة، أو دعم اقتصادي مخصصة لهنّ ولهم؟ ونذكر في التوصيات الخطوات التي نقترحها ونوصي بها لدعم الناجيات والناجين على جميع الأصعدة.

ومن ناحية أخرى نؤكد على أهميّة دعم كل الجهود الجمعيّة وحتى الفرديّة المحليّة والدوليّة في سبيل المحاسبة وتحقيق العدالة. فعلى الرغم من أنّ النظام السوري وحلفاءه أرادوها جريمة كاملة، من خلال ظروف الجريمة المختارة، وتفاصيلها، وتنفيذها، والألعاب السياسية، والتخاذل الدولي والإقليمي المرافق، وملاحقة الشهود والشاهدات على الجريمة، ونبش قبور الضحايا وتدميرها في محاولة لمحو الأدلّة، لكن لا يمكن أن يحدث ذلك ولو بعد سنوات، ولا يجب أن يحدث، على الرغم من تخاذل كلّ الدول الإقليمية والجهات الدوليّة لإنقاذ ما تبقّى من هذا الشعب ومعاقبة الجهة المجرمة كي لا يتكرر هذا الفعل على الأقل. فما زال العديد من النشطاء والناشطات، الحقوقيات والحقوقيين، الناجين والناجيات على الرغم من ألمهم وألمهنّ، وبعض الجهات المهتمّة في كثير من الأماكن تؤمن بالعدالة وتسعى إليها وإلى محاسبة النظام السوري بكلّ الوسائل والطرق المتاحة. لكن على نفس درجة أهميّة هذه الجهود، **لذلك نطلب من كلّ الجهات القضائيّة والحقوقيّة والمدنيّة المهتمّة النظر إلى هذه الجريمة وعواقبها وآثارها من منظور جندري. هذا سيعطي بعداً أعمق لآثار الجريمة وفداحتها، وسينصف إلى**

[9] للاطلاع أكثر على موضوع المقابر يرجى قراءة فقرة تفاصيل التوثيق والدفن ومصير المقابر.

[10] للاطلاع أكثر على موضوع ملاحقة الشهود والشاهدات يرجى قراءة فقرة أهميّة الدعم الاجتماعي والاقتصادي المستدام للناجين والناجيات من جريمة الكيماوي.

حـدّ مـا فئة النسـاء من الضحايـا اللـواتي عـانين ومـا زلن من طبقـات متقاطـعة من المظالـم والآثـار الجسـديّة والنفـسية والاقتصـاديّة، سـواء نتيجة هذه الجريـمة أو تقاطعها مـع كلّ الجرائـم المرتـكبة من قبـل النظـام السـوري ومؤسسـاته من حصـار وقتـل وقـصف واعتقـال وتهجيـر، إضـافة إلـى التـمييز المجتمـعي والـعنف الممـارس عليـهنّ كنسـاء خلال الحـرب.

ونعـلن عن جاهزيتنـا للمسـاعدة والمشـاركة في أيّة أبحـاث حـول آثـار الهجمـات الكيمـاوية وجرائـم النظـام السـوري طويـلة الأمـد من النـاحية الصـحيّة والنفـسيّة والاجتمـاعيةّ والاقتصـادية، وتقديـم أدوات تحليـلية مبينّة على منظـور جنـدري ونـهج تقاطعي.

منهجيّة البحث

كيفية اختيار الانتهاك والمناطق

اخترنا التركيز على الهجوم الكيميائي في الغوطة الشرقية (منطقتي زملكا وعين ترما) بتاريخ 21 آب من عام 2013 والمناطق المعنية بإنقاذ الضحايا. تم اتخاذ هذا القرار بعد النظر في عدة عوامل، بعضها مدرج أدناه

• **سياق معقّد:** تحليل كل جريمة هجوم كيميائي حدثت في سوريا هو عملية معقدة تتطلب فحصاً دقيقاً للعوامل التي أدت إلى الانتهاكات، فقدان الأرواح، وتأثيرها على حياة الناجيات والناجين وأسر الضحايا. يهدف بحثنا إلى كشف الطبقات المختلفة من القمع والانتهاكات ضد الناس، مع التركيز على اختلاف أثر الجريمة من منظور جندري. لذلك، اخترنا دراسة هجوم واحد وتحليل الأنظمة، الأوضاع الاجتماعية، والسياقات السياسية والاقتصادية بعمق، بدلاً من فحص متعدد للجرائم بشكل سطحي.

• **منهجيّة البحث النسوية:** تستند منهجية بحثنا النسوية على المعرفة الذاتية التي تنشأ من التجارب الشخصية والحياة اليومية لصاحبات وأصحاب القضيّة (standpoint theory)، مما يتطلب عملية طويلة وحسّاسة من جمع البيانات النوعيّة، التحليل النوعي التقاطعي، البحث المكتبي، وعمليّة الكتابة والمراجعة. إنّ دراسة جميع جرائم الهجمات الكيماوية الكثيرة التي حصلت في سوريا باستخدام هذه المنهجية سيستغرق عدة سنوات، وهو ما يتجاوز نطاق إطار بحثنا الزمني الحالي، ومواردنا البشريّة والمالية.

• **حساسية موضوع البحث:** ندرك أن هذا الموضوع حساس للغاية بالنسبة للأشخاص الذين سيشاركون ويشاركن تجاربهم وتجاربهنّ الذاتيّة. تأتي حساسيته أوّلاً من شّدة الانتهاك والتعب النفسي الذي تعاني منه الناجيات والناجون، وألم استرجاع الذكريّات المؤلمة المليئة بالصدمة والفقد والعجز. لذلك يحتاج هذا النوع من الأبحاث إلى أخلاقيات بحثيّة عالية تعطي الأولوية لحالة المشاركات والمشاركين. وثانياً من الأخطار المتعلقة بتقديم الشهادات في هذا الملف الذي ما زالت قوّات النظام السوريّ تترصد كل من كانت أو كان شاهداً عليها، وهذا يضيف إلى صعوبة التواصل مع الشخصيّات. إضافة إلى هذين العاملين، فإنّ التجارب السابقة لكثيرات وكثيرين من الضحايا مع الجهات الموثّقة لم تكن إيجابية على ما يبدو، حيث جمعت العديد من الهيئات الدولية والوطنية معلومات من الناجيات والناجين بطرق لم تكن حسّاسة لاحتياجاتهم النفسية والأمنية، ودون إخبارهنّ وإخبارهم عن مصير هذه التوثيقات، مما أدى إلى فقدان الشخصيات الناجية من الانتهاك للثقة بكلّ هذه العملية وجدواها. عندما تواصلنا مع المشاركين والمشاركات، كان من المفيد جداً أن نعلم أنّ هناك ثقة بمصداقيّة العمل والإنتاج المعرفي الخاص بمنظّمة النساء الآن، وانعكست هذه الثقة من خلال سرد تفاصيل كثيرة قال معظم المشاركين والمشاركات أنه لم تتم مشاركتها من قبلهم وقبلهنّ مع جهة أخرى.

• خصوصية هذه الجريمة من حيث فظاعتها وعدد الضحايا والمصابين والمصابات، غياب المساءلة والعدالة، وسكوت المجتمع الدولي، بل ومحاولة جعله طي النسيان، دفعنا إلى التعمّق بها وبآثارها وتوثيقها، كي لا يخفيها كتّاب التاريخ لاحقاً، وليكون هناك مراجع تذكر الحقيقة بلسان صاحبات وأصحاب القضيّة.

التواصل واختيار المشاركات والمشاركين

لـكي نعكـس التأثيـرات المدمـرة للهجـوم الكيميـائي وقت حـدوث الجريـمة ولاحقـاً، كان لا بـدّ لنـا من النظـر إلـى سـاحة الجريـمة من أكثـر من زاوية والتواصـل مـع أكثـر من فئة كان لهـا أدوار مختـلفة أثنـاء وقـوع الجريـمة، ثـمّ مقاطـعة المعطيـات من أكثـر من مصـدر. ولتقديـم تحليـل من منظـور جنـدري كان لا بـد من التواصـل مـع نسـاء ورجـال للاستمـاع إلـى روايتـهنّ وروايتهـم وتحليـل الوضعيـات الاجتماعية المختـلفة وأثـر الجريـمة المختـلف عليـهنّ وعليهـم. وللقيـام بذلك، قمنـا بالتواصـل مـع نسـاء ورجـال أصيبـوا وفقـدوا وأنقذوا وأسـعفوا

1 - الناجيـات والنـاجين: نسـاء ورجـال تعرّضـوا بشـكل مباشـر للإصـابة بغـاز السـارين في ليـلة 21 آب 2013. (6 نسـاء ورجـل واحـد)

2 - الـمنقذين: مـمن شـاركوا بعمليّـات إنقـاذ المصابـات والمصـابين وإخلائهـم من البيـوت، ولـم يـكن هنـاك منقذات نسـاء إبـان تلـك الجريـمة. (4 رجـال)

3 - المسـعفات والمسـعفين في النقـاط الـطبيّة: مـمن قامـوا بإسـعاف المصابـات والمصـابين في النقـط الـطبيّة ليـلة الجريـمة. (امرأتـان و3 رجـال)

4 - ذوي وذوات الضحايـا مـمن فقـدوا أحبتهـم في هذه الجريـمة، ذكـروا تفاصيـل الجريـمة وآثارهـا وكل مـا يتعـلق بحالتهـم وحالتـهنّ إلـى يومنـا هذا. (امرأتـان ورجلان)

سـاعدتنا هذه المنـهجيّة بشـكل كبيـر في تأكيـد الكثيـر من التفاصيـل من خلال مقاطعتهـا، وفي فهـم مجريـات الأحـداث المعقّـدة لسـرعة حدوثهـا وجـرعة الصـدمة العـالية التي تحملهـا في طيّاتهـا. وفي نفـس الـوقت نؤكـد علـى أنّ منـهجيّة الفصـل بين الفئـات نظـرية، ولا تـعني أبـداً أنّ الأدوار كانت أثنـاء الجريـمة بـهذا الوضـوح، فالإصـابة والإسـعاف والإنقـاذ والفقـد والـدفن تتداخـل مـع بعضهـا البـعض في هـكذا حـدث فظيـع، لـكن التقسيـم مبني علـى الموقعيّـات المختـلفة للشخصيـات والأدوار الإضـافيّة الفاعـلة التي قامـوا وقـمن بها. أي قابلنـا 10 ناجيـات و10 نـاجين كانـوا في ليـلة الجريـمة في أدوار مختـلفة ومنـاطق متعـددة كمـا يـلي

الاسم	الفئة	المنطقة في يوم الهجوم
يسرى	ناجية	حرستا
روان	ناجية	زملكا (منطقة الهجوم)
إم علاء	ناجية	دوما
زياد	ناجي	دوما
إم عبيدة	ناجية	عربين
إم أحمد	ناجية	زملكا (منطقة الهجوم)
إم رامي	ناجية	دوما
أبو محمد	أسر الضحايا	حزّة
إم سعيد	أسر الضحايا	زملكا (منطقة الهجوم)
إم محمد	أسر الضحايا	زملكا (منطقة الهجوم)
أبو أحمد	أسر الضحايا ومنقذ	زملكا (منطقة الهجوم)
تهامة	مسعفة	جسرين، سقبا
فاروق	مسعف	جسرين
بيسان	مسعفة	حرستا
أبو صخر	مسعف	زملكا (منطقة الهجوم)
أبو بكر	مسعف	دوما
أبو فراس	منقذ	سقبا
أبو فارس	منقذ	جوبر (منطقة الهجوم)
حسام	منقذ	زملكا (منطقة الهجوم)
كرم	منقذ	زملكا (منطقة الهجوم)

ننوّه انّ معظم الأسماء وهميّة لدواع أمنيّة، إلّا لمن طلبت أو طلب الإبقاء على الاسم الصريح كما هو.

مرحلة جمع البيانات

• استخدمنا في هذا البحث طريقة بحث نوعية هي المقابلة الفرديّة "شبه المهيكلة" semi structured، بحيث ركزنا على بعض المحاور الأساسية لكتابة البحث، وتركنا المجال لإضافة أيّة معلومات أو محاور وجدتها المشاركة أو المشارك مهمّة ويجب تسليط الضوء عليها.

• صمّمنا أسئلة المقابلة بحسب الدور والموقعية التي كانت فيها الشخصية الراوية ليلة حدوث الجريمة، أي أسئلة خاصة بالناجيات والناجين وذوي الضحايا، أسئلة خاصة بالمنقذين، وأخرى خاصّة بالمسعفات والمسعفين. عرضنا في الملحق أ مثالاً على المحاور والأسئلة الرئيسية التي تضمنتها مقابلة الناجيات والناجين وذوي الضحايا.

• أخذنا موافقة جميع المشاركات والمشاركين على إجراء المقابلة بشكل شفهي عن طريق تسجيل صوتي للموافقة، وبشكل كتابي عن طريق ورقة الموافقة المستنيرة. تضمنت هذه الورقة شرحاً مفصلاً عن هدف البحث والإجراءات الخاصة بسرّية المعلومات والحقوق أثناء المقابلة وبعض النصائح المساعدة في وقت إجراء المقابلة (يُنظَر الملحق ب)

• قمنا بجميع المقابلات عن طريق الإنترنت، عام 2023، مع تخصيص حساب خاص لتطبيق خاص فقط لإجراء هذه المقابلات. كما أجرينا مقابلة مع الخبير في سياق جرائم الأسلحة الكيماوية في سوريا، محمد كتّوب، وذلك كشاهد على الجريمة وللتأكد من التفاصيل المتعلقة بالنقاط الطبية والإسعاف عند حدوث الجريمة، ولجمع بعض التفاصيل الخاصة بالمسارات الدولية السياسية والجهود المحليّة والدولية لتحقيق العدالة ومحاسبة الجهات المجرمة.

• أخذنا جميع الاحتياطات الممكنة لحماية لبيانات في عملية التخزين والتفريغ الكتابي لعدم تسربها أو نشرها لسريّتها ولحماية الناجيات والناجين والفريق البحثي

مرحلة التحليل والكتابة والمراجعة

• قمنا بتفنيد البيانات بعد قراءة المقابلات وذلك حسب المحاور والأسئلة الواردة في المقابلة والمحاور والأسئلة التي أضافتها النساء والرجال أثناء المقابلة، إضافة إلى ملاحظات الباحثة التي قامت بإجراء المقابلة.

• استخدمنا منهجيّة **تحليل المحتوى**، حيث قمنا بتحديد المفاهيم والمحاور الرئيسية، ومقاطعة البيانات، ثم الوصول إلى النتائج والاستنتاجات. وبالتوازي مع هذه العمليّة، قمنا بالبحث في مضمون المراجع المتعلقة بموضوع البحث والتي جمعناها عن طريق البحث المكتبي للمواد المكتوبة والبصرية، المقالات، القرارات، الاتفاقيات وغيرها باللغتين العربيّة والإنكليزيّة.

• خلال عملية التحليل، تواصلنا عدة مرّات مع المشاركات والمشاركين للتأكد من بعض البيانات والتواريخ أو لتزويدنا ببعض المواد أو الروابط إن كانت متوفرة أو لديهم. نّ الرغبة بمشاركتها معنا. بالإضافة إلى التواصل مع لبنى قنواتي ومحمّد كتّوب للاستفسار عن تفاصيل متعلقة بالسياقات السياسية، الطبيّة، المعيشية في تلك الفترة ولاحقا.

• قمنا بكتابة العناوين الرئيسية للمحتوى ومناقشته ضمن الفريق البحثي، واعتمادنا النسخة الأخيرة كأساس لبدء الكتابة، والتي استمرت حوالي أربعة أشهر.

• راجعنا البحث داخليّاً ضمن الفريق البحثي، ثمّ عرضناه للمراجعة الخارجيّة من قبل مختصين ومختصات في سياقات البحث للتدقيق ولتقديم الاقتراحات والتعديلات.

الدعم النفسي خلال صناعة البحث

تابع الناجيات والناجين ممن شاركوا في هذا البحث فريق مختص بالرعاية النفسية، الدكتورة عزيزة البنا[11] و الدكتور مطاع بركات[12] منذ بداية العمل، قبل وأثناء وبعد المقابلات وحتى يومنا هذا من خلال إجراء جلسات جماعية منفصلة بين النساء والرجال وجلسات فرديّة حسب الطلب.

بدأت عمليّة الدعم والرعاية النفسيّة قبل إجراء المقابلات، من خلال جلسات جماعيّة تمهيدية، منفصلة حسب النوع الاجتماعي، قام فيها المختصيّن بتهيئة المشاركات والمشاركين لعملية البوح واسترجاع الذاكرة وقدّما فيها نصائح مهمّة حول التعامل مع المشاعر السلبيّة الناتجة عن استذكار هذه الحادثة الأليمة والحديث عن الفقد وكل الانتهاكات الأخرى التي عانين وعانوا منها وما زالوا حتى اليوم.

ثمّ قام المختصان بمتابعة التواصل والدعم النفسي من خلال جلسات جماعيّة وجلسات فرديّة لمن أرادت وأراد القيام بها. وما زالت هذه العمليّة مستمرة منذ شهر تمّوز من عام 2023 حتى يومنا هذا بالتعاون مع قسم الحماية والرعاية النفسيّة في منظمة النساء الآن، وستستمر بناء على الطلب والحاجة من قبل الناجيات والناجين.

قدّمت منظمة النساء الدعم والرعاية النفسية للفريق البحثي أيضاً عن طريق جلسات فرديّة طوال فترة العمل على البحث.

[11] الدكتورة عزيزة محمود علي البنا: معالجة نفسية للأفراد والجماعات في مجال الصدمات وداعمة نفسية اجتماعية للناجين والناجيات من الأزمات والكوارث، حاصلة على دكتوراه من جامعة USIM ماليزيا في مجال تقنية العلاج باستخدام إزالة حساسية حركة العين وإعادة المعالجة (EMDR).

[12] الدكتور مطاع بركات: مختص بالصحة النفسية ومعالج نفسي مجاز في العلاج المعرفي السلوكي والعلاج الإنساني أستاذ مشارك في قسم الإرشاد النفسي بجامعة دمشق سابقاً، وعضو الجمعية الألمانية للعلاج بالمحادثة، وعضو الجمعية السورية للصحة النفسية

الفصل الأول:

مقدمة تحليلية وتوثيقيّة عن ظروف الجريمة وسياقاتها

لا يوجد أيّ ظرف يمكن أن يكون فيه أيّ مجتمع مستعد لتلقي هجوم بأسلحة كيماوية، لكن الظروف التي تم تهيئتها واختيارها من قبل قوات النظام السوري لقصف مناطق مأهولة بالسكان بسلاح كيماوي، يمكن وصفها بالمدروسة بشكل جيّد لتحقيق أهدافها التي هي على الأغلب ومن وجهة نظرنا وحسب أقوال المشاركات والمشاركين تتمثّل بالقضاء على أي نوع من المقاومة أو المعارضة للنظام السوري في تلك المنطقة المتاخمة للعاصمة دمشق، و بإخماد أي تفكير أو فعل يمكن أن تفكر به الأجيال القادمة لمعارضة هذا النظام، بل الإخضاع التام له بعد إدراك من نجوا و نجون وأطفالهم من بعدهم أن هذه النظام قادر على استخدام سلاح كيماوي ضد شعبه، وإبادة سكان مناطق كاملة وإلحاق الضرر الصحي والنفسي المستمر لمن نجا، وخلق صدمة عابرة للأجيال، مع تفادي ردة فعل المجتمع الدولي على هذه الجريمة ومحاولة الإفلات من العقاب.

ونفصّل هنا هذه الظروف حسب تحليلاتنا المبنيّة على الشهادات من الناجيات والناجين والمختصّات والمختصين بالسياق السوري، وعلى معظم المواد المكتوبة والمرئية والمسموعة عن تلك الفترة كما يلي

الظرف الأول:

الحصار البرّي والقصف الجوي لمنطقة الغوطة الشرقية من قبل قوّات النظام السوري منذ نهاية الشهر العاشر من عام 2012.

ثار سكان منطقة الغوطة الشرقية ومدنها ضد النظام السوري منذ بداية الثورة السورية عام 2011. وبسبب أهمية هذه المنطقة جغرافيا ومتاخمتها للعاصمة دمشق فقد استخدمت قوات النظام السوري العنف ضد السكان منذ البداية لمواجهة المظاهرات السلمية فيها. وبدأت أساليب العقاب الجماعي تُطبق على المنطقة من قطع للتيار الكهربائي والإنترنت والخدمات الرئيسية ونشر الحواجز الداخلية من قبل قوات النظام السوري على كافة المناطق خلال عام 2012. إلّا ان سياسة الحصار لسكان الغوطة الشرقية تصاعدت في نهاية الشهر العاشر من عام 2012 حيث انسحبت الحواجز الأمنية والعسكرية من داخل المناطق إلى خارجها ردّا على ما سميّ وقتها من قبل الفصائل المسلحة بـ" معركة تحرير دمشق"[13] لتفرض حصاراً كاملاً على الحركة والمواد الغذائية ولتجعل ظروف المنطقة متوافقة مع خطة قوّات النظام السوري على قصف السكان والفصائل المسلحة التي بدأت تتشكل داخل مناطق الغوطة، بالسلاح البرّي والجوي.[14]

[13] الغوطة الشرقيّة تحت الحصار منذ 2013، مجلة الوطن الإلكترونية، 7 شباط 2018.

[14] لفهم سياق المنطقة وأهمية المناطق الثائرة في ريف دمشق سياسا واستراتيجيا بالنسبة للحكومة السورية، وخططها لاستعادة تلك المناطق، ننصح بقراءة بحث "Assad strikes Damascus: THE BATTLE FOR SYRIA'S CAPITAL"، كتابة الباحثة Valerie Szybala من مركز Institute for the Study of WarK، 2014.

يقـول حسـام من منـطقة زملـكا والذي كان يعمـل كـمنقذ منذ عـام 2012 :

" سحـب النظـام الحواجـز مـن داخـل الغوطـة، نفس الحواجـز اللي كانت داخـل الغوطـة صـارت خـارج الغوطـة، وهـون بـدأ القصـف بالصـواريخ بالبدايـة، وبسـنة 2012 بلـش الغضـب على هي المناطـق، قطع الكهـرباء والخدمـات وشـبكة الموبايـل والاتصـالات الأرضيـة، عقوبـة لـسكان هي المناطـق ".

وقد عانى أهالي هذه المناطق المحاصرة من قصف يومي اضطر بسببه الكثيرون والكثيرات إلى النزوح الداخلي من منطقة لأخرى بحثا عن بعض الأمان، حيث لم تكن المنطقة مجهّزة بعد بالأقبية أو الأنفاق، فهذا الوضع المأساوي اليومي كان جديداً على الجميع وليس هناك أي جاهزية مسبقة للتعامل مع هذه الظروف. تصف روان من منطقة زملكا هذه الحال المتعبة بكلماتها **"نزحنا كتير، نطلع شهر أو شهرين ونرجع... ومرة بتذكر نزحنا على منطقة اسمها المليحة، لقينا سيارات وتعلقنا فيهن وتجي طيارة الميغ تضرب زملكا. وفي الكبار بالعمر متمسكين بالبيوت، ما رضيوا يطلعوا، وأولادن ما طلعوا مشان ما يتركوهن. نحنا غبنا شغلة شهر بالمليحة، رجعنا لقينا أنو دابحين ناس من البلد مشان نخاف ونتربى. ففي عالم خافت وعالم حقدت وفي ناس تركت البلد".**

إذاً فسكان مناطق الغوطة الشرقية ومنذ نهاية عام 2012 يعيشون في حصار جغرافي يمنعهم نساءً ورجالاً وأطفالاً من الخروج إلى دمشق المدينة أو إلى أيّة منطقة أخرى هرباً من القصف اليومي المدفعي والجوي ومن الظروف اللاإنسانية للمعيشة، والتنقل، والتعليم، والطبابة

الظرف الثاني:

غياب الخدمات والمواد الأساسية، وأوضاع معيشية وصحية رديئة بسبب الحصار منذ نهاية الشهر العاشر من عام 2012.

عندما يتحدث أهالي الغوطة الشرقية عن الحصار وخاصة من ظلّوا في الغوطة إلى أن تمّ تهجيرهم وتهجيرهنّ قسريا من قبل قوّات النظام السوري وحلفائه في آذار من عام 2018 (وهذه حال كل من قابلناها وقابلناه لغرض هذا البحث)[15]، نجدهم يقسمون الحصار إلى ثلاث مراحل

المرحلة الأولى: هي منذ شهر أكتوبر من عام 2012 إلى شهر أكتوبر من نفس العام، أي ما بعد تنفيذ جريمة الكيماوي في 21 من آب 2013، وتتصف بشكل عام بتوافر السيولة المادية ومعظم المواد الأساسية بشكل مقبول وانقطاع تدريجي للمواد الغذائية لكن مع شح في المواد الطبية.[16] وانقطاع للخدمات الأساسية من مياه، وقود، تعليم، كهرباء واتصالات واستخدام بدائل مثل مولدات الكهرباء وشبكات اللاسلكي والتعليم البديل من قبل مؤسسات محلية

[15] تسلسل زمني لأحداث تهجير الغوطة، محمّد كتوب، الجمهوريّة، 4 آب 2021.

[16] انهيار مفاصل الحياة في الغوطة الشرقية و200 الف يرزحون تحت وطأة الخطر الشديد في دوما، اقتصاد مال وأعمال سوريين، 29 تموز 2013.

المرحلة الثانية وهي مرحلة الحصار الأعنف والتي امتدت منذ أكتوبر 2013 حتى أوائل عام 2015، وتتصف بمنع تام لإدخال أيّة مواد غذائية، وقطع تام لكل الخدمات الأساسية من كهرباء ومياه واتصالات ووقود، مع قصف يومي، برّي وجوّي.

أما المرحلة الثالثة فقد تحسنت فيها الأوضاع قليلا وذلك بعد أن قامت الفصائل العسكرية عام 2015 بحفر الأنفاق تحت الأرض بحيث يمكن من خلالها إدخال بعض المواد الغذائية لسكان الغوطة المحاصرين، لكن بأسعار خياليّة عن طريق تجّار الحرب، فلم تستطع الناس شرائها بسبب الغلاء وبسبب فقر الحال بعد سنتين من الحصار التام

عندما نفّذت قوات النظام السوري مجزرة الكيماوي في 21 آب 2013 كان أهالي الغوطة يعيشون ظروف مرحلة الحصار الأولى المريرة منذ نهاية عام 2012. بعد مجزرة الكيماوي بشهرين تقريبا، قام النظام بتشديد الحصار على الغوطة الشرقية، وبدأت مرحلة جديدة من الحصار حيث بدء قطع المواد الغذائية الرئيسية يحدث تدريجيّا، وأخذت الناس تبحث عن حلول بديلة.

بدأت النساء باللجوء إلى البدائل كخبز الشعير، أو سلق النباتات أو أكل الطعام إن وجد بأوراق الملفوف، وأضحى شعور الشبع ترف لا تملكه ويملكه الكثيرون. وعلى الرغم من أنّ هذه الفترة من الحصار لم تكن الأشد لكن يبدو أنّ تأثيراتها تختلف حسب الطبقة الاقتصادية للأهالي، فقد عانى البعض أكثر من غيرهم وعانت النساء بشكل خاص لأنهن المعنيات بتأمين أو صنع البدائل اليومية للطعام والأعمال المنزليّة

تقول أم محمد من زملكا" قبل الكيماوي كان الخبز مقطوع، كنا نبلّ خبز يابس للولاد، وتقلي بنتي الصغيرة: عطيني الخبزة يابسة لا تخليها مبلولة... الله يرحمها، كان في عنا حواضر كانوا يجيبوا يخنة يأكلوا فيها بعد ما انقطع الخبز بالمرة بعد الكيماوي. ابن أختي كلن يجيب طحين، أخبز منن شوي، بعدين صار الطحين من العلف وطحين الشعير، صرنا نمرض منو وسلفتي صار معها مرض اليرقان وبنتي الصغيرة كمان"

وكان لانقطاع الكهرباء الكامل أثرا مضاعفا في تلك الظروف، فلا يمكن تبريد أيّ طعام في البراد، ولا استخدام أيّة آلة كهربائية لتسهيل الوضع خاصة على النساء، فبدأت الحلول البديلة المتعبة تنتشر، مثل استخدام الحطب للطبخ والغسيل. علما أن إبداع الحلول البديلة لم يتوقف أبدا، حيث بدأت المولدات الكهربائية بالانتشار لكن دون قدرة الكثيرات والكثيرين على الحصول عليها.

تقول روان التي كانت تعمل في حلاقة شعر النساء "ما عاد في كهرباء، حتى التلفزيون بالبيت صار كركوبة، حتى الغسالة ما عاد نستعملها، كلوا على أيدينا، فصرنا نرجع بالزمن وندور على بدائل، يعني بس بدأ الحصار، شغلي ككوافيرة أثر كتير عليه، وخاصة السيشوار، كلو عال كهرباء، مع أنو أجت فكرة المولدات بس ما زبطت وصرنا نستخدم بطاريات وتخرب، لبعدين صرت ارجع للحطب، حط المكواة عليه وأعمل تسبيل للشعر. (روان، زملكا)

وبالطبع، لم يقتصر الحصار على الطعام والكهرباء التي هي مقومات أساسية لحياة الإنسان، بل أثّر على كل منحى من مناحي الحياة الأخرى. تعطلت المدارس وحُرم الأطفال لفترات طويلة من أيّ تعليم معترف به، أو من التعلم في بناء آمن لن يُقصف. تعطلت الكثير من الأعمال أو زادت صعوبة تنفيذها بغياب الكهرباء والمواصلات وصار الكثيرون والكثيرات يمشين لساعات للوصول إلى أماكن العمل. حتى التفاصيل اليومية التي نعتبرها بديهية مثل الاستحمام بمياه ساخنة، أو أن تستيقظي لتجدي مياه للشرب أو للطبخ أو التنظيف، كلّ هذا صار صعبا وأحيانا غير موجود أبدا لأشهر كثيرة. كل هذه الظروف التي تؤثر مباشرة على الصحة الجسدية والنفسية لكل من يعيشها كانت مترافقة مع نقص في الخدمات الطبيّة والكوادر الطبيّة والتي سنشرح عنها في الفقرة اللاحقة.

الظرف الثالث:

الوضع المتردي للمراكز والكوادر الطبية في المناطق المستهدفة من حيث القدرة على العلاج واستيعاب المصابين والمصابات بسبب الحصار والقصف

بسبب القصف اليومي واستهداف المستشفيات وكوادرها بشكل خاص، اضطرت الكوادر الطبية المتبقية إلى تحويل أماكن العلاج والاستشفاء إلى الأقبية درءاً لخطر القصف. تم إعادة تنظيم العمل الطبي من نقطة الصفر كما يشرح لنا الدكتور محمد كتوب، فقد تم استخدام المدارس والمزارع وأقبيتها لتكون أماكن للإسعاف والعلاج، وتم تنظيم مكتب طبي في كل منطقة يضم عدداً قليلاً من الكوادر الطبية والمتوفر وما تم انقاذه من التجهيزات والتي تم تسميتها لاحقا بالمشافي الميدانيّة. [17]

أما بالنسبة للكوادر الطبية فالكثير منها قد غادر المنطقة بسبب سوء ظروفها، والبعض قد قتل بسبب القصف والانفجارات واستهداف المراكز الطبية. وكذلك اعتقلت وسجنت قوّات النظام السوري الكثيرات والكثيرين منهم[18]. لذلك بقيت الكوادر الطبية المحاصرة في حالة عوز شديد لكوادر في اختصاصات طبيّة كثيرة وحتى للمرضين والممرضات، وانتشرت الدورات التدريبية للتمريض لينضم إليها كل من يستطيع أو تستطيع فعل ذلك.

أما بالنسبة للكوادر الطبية النسائية فقد كانت الأقل عدداً، فالطبيبات المختصات بأمراض النساء أو الطبيبات من كل الاختصاصات كنّ الأقل عدداً، فمعظمهنّ قد غادرن المنطقة مع عوائلهنّ وعددهنّ مسبقا هو أقل من الأطباء الرجال، وبعضهنّ معتقلات أو مختفيات قسريّاً، وهذا أثّر كثيرا على علاج النساء في مجتمع محافظ يأبى الكثير من الرجال أن يعالج أطباء رجال النساء من عوائلهن.

[17] مراكز رعاية صحية أشبه بالمشافي الميدانية في الغوطة الشرقية (صور)، مجلة عنب بلدي الإلكترونية، 21 أيلول 2018 .

[18] فيديو يستعرض أبرز الانتهاكات بحق القطاع الطبي على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سوريا منذ آذار 2011، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 19 أيلول 2020.

تصف لنا بيسان هذا الوضع بكلماتها:

”يعني صح أنا ممرضة وكان معنا ممرضات بس ما كان في دكتورة. يعني مرة بتذكر إجت امرأة أصابها قناص بخلفيتها، والرصاصة مخترقة المكان وطالعة من قدام فالدكتور بدو يبدل عالجرح، وزوج المرأة عم يصرخ ويعصب إنو كيف بدك دكتور تشوفا بهي المنطقة وهي امرأة؟ ويقلو الدكتور صح الصبايا ممرضات بس القصة بدا طبيب يعني أنا بعلمن وهنن بيشتغلوا من بعدي. دكاترة نساء ما كان في.“

وتؤكد بيسان أن مثل هذا الموقف من قبل الرجال كان متكرراً حتى في الحالات الحرجة جداً التي تستدعي بتر أطراف نتيجة الإصابات بالشظايا أو حالات تتطلب عناية مشددة لدى النساء. حتى أن بعض الأطباء الرجال كان يتم تهديدهم بالسلاح أحياناً إن اقتربوا من النساء المصابات.

كان عدد الممرضات قليلاً أيضاً، وتبرر بيسان ذلك بسبب القصف اليومي وخوف الأهالي على بناتهنّ من الخروج إلى الشارع، وتؤكد بيسان أنها لو لم تتلقّ الدعم الكافي من أخيها لما قبل أهلها أن تتدرب وتصبح ممرضة وأن تخرج يوميا لساعات طويلة أو لحالات إسعافية في أيّ وقت من اليوم.

الظرف الرابع:

عنصر المفاجأة الذي اعتمدت عليه قوات النظام السوري في تحقيقها أكبر قدر من الخسائر البشرية

على الرغم من القصف البريّ والجوّي المستمر من قبل قوّات النظام السوري ليلاً ونهاراً على سكان منطقة الغوطة الشرقية خاصة ابتداء من نهاية عام 2012، واستهداف المدنيين والمدنيات بشكل دائم، إلّا أن كل من تمت مقابلتهم من الناجين والناجيات والذين عاشوا كلّ ظروف العنف والقصف، لم يروا في أسوأ تخميناتهم أنّ النظام السوري قد يضرب غاز السارين بهذه الكميّات الكبيرة على السكان في مناطق سكنية محاصرة.

السبب الأول لعدم توقّع الهجوم الكيماوي، هو خطورته وقدرته على القتل الجماعي للناس وحتى للحيوانات، فلم يعتقد معظم الأهالي بأنّ قوّات النظام السوريّ قد تنفذ هجوما كيميائيّا على مناطق سكنية. يصف أبو محمد من زملكا ذلك قائلا: "ما توقعنا أبداً انو النظام السوري يضرب كيماوي، والدليل أنو ما حدا مستعد لهيك أمر وتوقعنا يعمل أي شي عدا هي النذالة أنو يضرب كيماوي لأن الكيماوي ما بيقتل البني آدمين بس، بيقتل الشجر والحيوانات وكل شي... وتؤكد إم أحمد من ساكنات زملكا ذلك بقولها: "أبداً ما توقعنا الكيماوي علينا، يعني كنا نسمع إنو عم يضربوا كلور عالجبهات، بس مو سارين متل ما ضرب علينا. يعني ما عنا فكرة عن الكيماوي أبداً بس هلق صار عنا خبرة بكل شي صواريخ وكيماوي ".

حتّى الكوادر الطبيّة لم تتوقع كارثة بهذا الحجم، علما أنّ قوّات النظام السوري قد استخدمت السلاح الكيماوي على أهالي حمص عام 2012، [19] وأيضاً غاز الكلور وغازات الأعصاب أحياناً ضدّ الجبهات في الغوطة الشرقية بوقت سابق لضربة 21 آب 2013. [20].

[19] "23 كانون الأول 2012: قصف الجيش النظامي مناطق البياضة وديبر بعلبة وشارع الستين في حمص مما أسفر عن إصابة أكثر من خمسين شخصا بحالات هذيان واختلاجات عصبية وفقدان للوعي وآلام بالعيون واختناق، وتوفي نتيجة لذلك سبعة أشخاص بينما أصيب أربعة بالشلل وفقد ثلاثة أبصارهم. " المصدر: تسلسل زمني بشأن الكيمياوي في سوريا، الجزيرة، 22 آب 2013.

[20] خلال المقابلات قالت جميع النساء والرجال تقريباً أن قوّات النظام السوري قد استخدمت غاز الكلور ضدّ الجبهات العسكرية للفصائل المعارضة للنظام، بل أنّ هناك أحد الشهود ممن قابلناهم قد أصيب باختناق وتم علاجه على أنّ إصابته كان سببها غاز الكلور، إلّا أن الخبير الدكتور محمد كتوب وخلال مقابلتنا له قال أنّه كان هناك التباس لدى الناس وحتى عند بعض الكوادر الطبية بين غاز الكلور وغازات الأعصاب الأخرى

يقول الدكتور محمد كتوب واصفاً حالة الكوادر الطبيّة

”للأسف ما كان في دراسات كافية ولا خبرات كافية بين الكوادر الطبية عن التعامل مع هيك إصابات، ولا كان في حتى عقاقير نوعية للتعامل مع غازات الأعصاب، العقاقير الموجودة كانت لمعالجة الأعراض فقط، بينما الوحيد يلي عنده هيك نوع من الأدوية كان النظام السوري، في مشافي وزارة الصحة، عقار اسمه بيرالدوكسيم نوعي للسارين. وقتها ما تخيلنا أنه ممكن يجي أكثر من 300 مصاب دفعة واحدة في حال استهدفت مناطق سكنية، وكنا بحاجة لتجهيزات حتى لهيك عدد من المصابين واقترحنا تجهيز عدة مراكز موزعة في بلدة في الغوطة بشكل حرف إل باللغة الإنجليزية بحيث مهما كانت جهة الرياح نحافظ على مركز على الأقل غير ملوث، وبلشنا نفكر كيف المجتمع لازم يتحرك لحتى صارت ضربة 5 آب“

في بـداية الشـهر الثـامن أي بتـاريخ 5 آب 2013 ضـربت قـوّات النظـام السـوري غـاز السـارين الكيميـائي علـى الجبـهة المسـلّحة في منـطقة عـدرا، وكذلـك عبـوة نـاسفة مـليئة بالغـازات علـى حي عبـد الـرؤوف في منـطقة المسـاكن في مـدينة دومـا ممّـا أدّى إلـى إصـابة حـوالي 400 شخـص وبـعض أفـراد الكـوادر الـطبيّة.[21] يقـول الدكتـور محمـد كتـوب أنّ هذه الضـربة قـد أصـابت الكـوادر الـطبيّة بالهلـع نتيجة نقـص التجـهيزات وعـدم القـدرة علـى الحـركة بـسبب القـصف والحصـار. والخـوف الأكبـر هـو من عـدم القـدرة علـى التعامـل مـع عـدد كبيـر من إصابـات السّـكان بغـازات كيمـاوية في حـال قـررّت قيـادات القـوّات التابـعة للحكـومة السـوريّة تنفيذ ضـربة بالـسلاح الكيميـائي علـى نطـاق أوسـع. بـدأت بـعض الكـوادر الـطبيّة بتجـهيز بـعض المـدارس في منـطقة دومـا بمولـدات كهربـائية واختيـار المـدارس التي تكـون قـريبة علـى بئـر مـاء كي يتـم رشّ المصـابين والمصابـات بالمـاء خلال عمـلية إزالة التلـوث.

اختيـار المـدارس بـدلا من بنـاء نقـاط إزالة تلـوث إلـى جـانب النقـط الـطبيّة أو المشـافي كان سببـه أنّ غـالبية هذه النقـط قـد نقـلت تجهيزاتهـا إلـى الأقبية نتيجة القـصف اليـومي الذي أصـاب معظـم الطـوابق العلـوية فيهـا، وفي حـالة استخـدام الأسـلحة الكيمـاوية لا يمـكن إجـراء عمـلية إزالة التلـوث علـى المصـابين والمصابـات في الطـوابق السـفلية لأن هذا الإجـراء سيزيـد من احتمـال حـدوث إصابـات ثانـوية نتيجة عـدم التهـوية، فيجب أن يكـون الإسـعاف في منـاطق جيـدة التهـوية أو فـوق الأرض علـى الأقـل.

وقـد فكـرت بـعض الفـرق الـطبيّة بأوضـاع النسـاء في حـال حـدوث هجـوم كيميـائي. هنـاك مشـكلة التعامـل مـع النسـاء المصابـات بالغـازات الكيمـاوية، كيف سيتـم التعامـل معهـنّ، تجريـدهنّ من ثيابـهنّ ورشـهنّ بالميـاه في سـاحات مفتـوحة ضـمن مجتمـع تحكمـه عـادات وتقاليـد مجتمعيّة ودينيّة محـافظة؟ وحتـى لـو قامـوا بنـصب خيـم خـاصة للنسـاء خـارج المـدارس كأحـد الحلـول كمـا يقـول الدكتـور محمـد كتـوب، فإنّ احتمـال قـصف الخيـم جويّـا عـال جـدا. للأسف تـم تنفيذ الجريـمة التـالية في 21 آب عـام 2013 أي بعـد أسبـوعين من ضـربة الخامـس من آب، ولـم تستطـع الكـوادر الـطبيّة المنهكة أساسـاً من الحصـار والقـصف من تحضيـر مـا قـد يسـاعد السكّان وحتـى الطواقـم الـطبيّة ذاتها. حتـى لـو استطاعـوا فعـل ذلـك فإنّ حجـم الـكارثة التي خلفتهـا جريـمة استخـدام الكيمـاوي في 21 آب لا تسـمح لأيّ طاقـم طبي، وإن كان غيـر محاصـر أو لا يتعـرض للقـصف أن يكـون قـادرا علـى التعامـل مـع هذا الـسلاح الذي مـات بسببـه الكثيـر من الطواقـم الـطبيّة والاسـعافيّة وهي تعـالج النـاس المصـابة بغـاز السـارين

[21] "في 5 أغسـطس/آب 2013 صـوّر نشـطاء من المعـارضة مـا يبـدو أنهـا بقايـا صـاروخ حامـل لأسـلحة كيمـاوية (يمـكن رؤية سـطام التـعبئة الإضـافي وكذلـك نظـام الترقيـم الأحمـر) هـو صـاروخ 330 ملـم في ضـاحية عـدرا في ريف دمشق، وفي المقطـع زعـم المتحـدث أن هذا سلاح كيمـاوي أطلقتـه القـوات النظـامية السـورية". المصـدر: الهجمـات علـى الغـوطة، هيومـان رايتـس ووتش،10 أيلـول 2023.

On August 5, 2013, opposition activists filmed what appears to be the remnants of the chemical weapons-carrying variant (with the extra fill plug visible as well as the red numbering system) of the 330mm rocket in the `Adra suburb of Damascus, in what they alleged was a chemical weapons attack by Syrian government forces. https://www.hrw.org/report/2013/09/10/attacks-ghouta/analysis-alleged-use-chemical-weapons-syria.

في 5 أغسـطس/آب 2013 صـوّر نشـطاء من المعـارضة مـا يبـدو أنهـا بقايـا صـاروخ حامـل لأسـلحة كيمـاوية (يمـكن رؤية سـطام التـعبئة الإضـافي" وكذلـك نظـام الترقيـم الأحمـر) هـو صـاروخ 330 ملـم في ضـاحية عـدرا في ريف دمشق، وفي المقطـع زعـم المتحـدث أن هذا سلاح كيمـاوي أطلقتـه .القـوات النظـامية السـورية". المصـدر: الهجمـات علـى الغـوطة، هيومـان رايتـس ووتش،10 أيلـول 2023

حاولت الكوادر الطبية وكوادر الإسعاف رفع وعي المجتمع حول الإجراءات التي يمكن القيام بها في حال حدث استخدام السلاح الكيماوي، وأصبح الحديث الأكثر انتشارا في تلك الفترة يدور حول إمكانية قيام النظام السوري بذلك أم لا. إلا أن القدرة على توعية المجتمع كانت محدودة بسبب غياب الخدمات الأساسية من كهرباء وانترنت وحال الناس والكوادر الطبية السيء والاسعافي خلال القصف والحصار. وللأسف وبسبب صدمة الجريمة وحدوثها ليلاً بينما الناس نياما، قلّما استطاع الناس تنفيذ أيّ من هذه التعليمات، والأسوأ من ذلك انتشار إجراءات خاطئة زادت من حدة الإصابات مثل إشعال الإطارات واستخدام الخل والمياه الغازيّة، أو النزول إلى الأقبية التي كان الناس يستخدمونها درءاً للقصف الجوي والبري، كما ذكرت النساء والرجال المشاركين في هذا البحث.

تصف روان من زملكا حديث الناس قبل حدوث الجريمة وتخوفاتهم وخوفها الشخصي وتجهيزاتها التي قامت بها كامرأة، مريضة لديها حساسية أنفية، وكأم تفكر دائما بكيفية حماية أطفالها في حال حدث الهجوم بالأسلحة الكيماوية

" كان في إشاعات كتير كبيرة وبشكل خاص بعد مجزرة المليحة[22] لأن العالم صارت تتوقع أي شي من النظام وبعدين صارت تطلع إشاعة إنو يضرب النظام كيماوي، والعالم ماتصدق، أنو مستحيل يضرب كيماوي، لأن كل العالم حتموت، بس أنا كنت متوقعة أي شي من النظام السوري. يعني ما كان في نقاط طبية خاصة بزملكا، بدن يروحوا على غير منطقة ليتعالجوا. حتى دفاع مدني ما كان في بزملكا وصارت كتير في نقاشات بين العالم أنو كيف نحمي حالنا من الكيماوي؟ شي يقولوا كولا (مشروب غازي) شي خل، وأنو الغاز بضل بالأرض ما بيطلع لفوق، فوين مانروح يصير هاد النقاش. أنا عندي حساسية، ودغري بتحسس من الروايح، بس أنا خفت أنو شو لازم أعمل! على فكرة خبيت منشفة وقنينة خل، حطيتن بشنطة، أنو هدول متل إسعافات أولية وحطيتا قدام عيني. ضلت قريب الشهر تفوت أختي لعندي تضحك علي، قلتلا أنا ما بوثق بالنظام، لازم نكون جاهزين، حتى مجهزة عباية وحجاب مشان نستر على حالنا، وبحكم القصف اللي كان عم بصير، أغلب البيوت شبابيكا مكسرة ومكشوفة، وخصوصي انو كان صيف. حتى كل زيارتنا كانت عن هي القصص كانت زايرتنا وحدة بتقربنا وهي معها ربو وتقلي أنو أنا خايفة لأن مريضة ربو وأنا حاول خفف عليها أنو خلينا نعيش بأمل وما نخاف"

يقول زياد من منطقة زملكا

"كنّا متوقعين إنو النظام يستخدم الكيماوي، بس استبعدنا إنو يضرب على زملكا وهي كتير قريبة على عالشام ماتوقعنا، يعني قبل منها كانوا يضربوا كلور عالجبهات متل قنابل أما هجمة الكيماوي كان أول هجوم كيماوي رسمي، يعني زملكا يفصلها أوتستراد عن دمشق، فما توقعنا أبداً".

[22] طائرات بشار الأسد ترتكب مجزرة بشعة في المليحة، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 3 كانون الثاني 2013.

السبب الثاني لهذه الصدمة التي عبّر عنها كل من تمت مقابلته وكأنّ الجريمة قد تم ارتكابها البارحة، أنّ المجتمع الدولي وخاصة الولايات المتحدة كانت تهدد النظام السوري بجملة **"استخدام السلاح الكيماوي هو خط أحمر"** وهي جملة الرئيس أوباما الشهيرة.[23] حتى أن هناك صفحات نشرت الأسلحة التي سيقوم المجتمع الدولي باستخدامها ضد النظام السوري وعلى رأسه بشار الأسد في حال استخدم السلاح الكيماوي المحرّم دوليا ضد شعبه. [24, 25]

وعلى الرغم من يأس السوريات والسوريين المحاصرين من هكذا تهديد يبيح لحكومة أن تقتل شعبها بكل أنواع الأسلحة ما عدا الكيماوي، فقد حمل الناس أملا بأن النظام السوري لن يتجرأ على حفر قبره بيده، بل سيبقى ضمن الحدود الواسعة لاستخدام الأسلحة والتي كانت وقتها قذائف الهاون، الراجمات، قذائف الطيران الجوي، التفجيرات، البراميل المتفجّرة... الخ. هذه الأسلحة التي كانت كافية لقتل مئات الرجال والنساء والأطفال وتدمير بيوتهم وحياتهم يوميا.

والسبب الثالث أنه في الأيام السابقة لجريمة الكيماوي في 21 آب 2013 كانت هناك لجنة من الأمم المتحدة موجودة في دمشق للتحقيق في استخدام النظام السوري لأسلحة محرّمة دوليا، أي كانت على بعد كيلومترات من مكان حدوث الضربة،[26] وكان المتوقع إمّا أن يؤجل النظام السوري استخدام السلاح الكيماوي لفترة لاحقة أو أن يتوقف نهائيّا درءاً لهجوم عسكري دولي عليه ومعاقبته بشكل مباشر.

[23] نشرح سياق هذه الجملة وموقف المجتمع الدولي بشكل مفصل في فقرة رد فعل المجتمع الدولي على الجريمة.

[24] قياديون في غرفة عمليات الأسد لـ «الراي»: هكذا سنحتوي الضربة الأميركية في الميدان... أوباما يقرّر توسيع ضرب سوريا واستخدام مقاتلات حربية..... 11 دولة في "قمة الـ 20" تدعو إلى "ردّ دولي قوي" واتفاق وزراء دفاع أوروبا على محاسبة المسؤول عن الهجوم الكيميائي، المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات، 8 أيلول 2013.

[25] ماهي الأسلحة التي قد تستخدم في سوريا؟ BBC عربي، 31 آب 2013 .

[26] خرائط الموت، كيف كوّنت سوريا ترسانتها الكيماوية؟ عبد الرحمن الكيلاني، الجزيرة، 11 أيار 2017.

الظرف الخامس:

حالة الطقس في يوم 21. 08. 2013 ومدى ملاءمته لاستخدام سلاح كيماوي وقتل أكبر عدد ممكن من السكان

كان توقيت تنفيذ الجريمة هو عامل الصدمة الأكبر لأهالي الغوطة الشرقية، الساعة 2 صباحاً بينما كان جميع الناس نياماً وفي بيوتهم وخاصة النساء والأطفال. إضافة إلى ذلك فإنّ اليوم الذي تمت فيه الجريمة كان يوم صيف دمشقي بامتياز، أي يتميّز بدرجة حرارة عالية وانعدام أيّة نسمة هواء، ممّا جعل معظم الناس تنام مع شبابيك مفتوحة نظرا لعدم وجود الكهرباء التي يمكن استخدامها لتشغيل المراوح أو المكيفات، وبالتالي عندما تم ضرب غاز السارين، دخل مباشرة إلى البيوت، وماتت عوائل كاملة بنسائها وأطفالها نياما، وتأثرت بشكل خاص تلك العوائل التي تقطن في الطوابق السفلية، فثقل غاز السارين يجعله يهبط إلى الأسفل. حتى العائلات التي حاولت الهروب إلى أسطحة المنازل والبنايات عاودت النزول هاربة من القذائف الجوّية والبريّة التي ضربتها قوّات النظام السوري مباشرة بعد ضرب غاز السارين على الأهالي في منطقة زملكا وعين ترما.[27]

يصف أبو فارس، منقذ من منطقة جوبر حالة الطقس في ذلك اليوم "خلصت مناوبتي ورحت جبت أغراض لأن نقطة الاستشفاء مافيها سوبر ماركت ورجعت الساعة 12 عليها وكان بهاد اليوم شوب مو طبيعي نسمة هوى مافي".

وإن اختيار هذا اليوم وهذا التوقيت حوالي الساعة 2:00 صباحاً من 21 آب 2013 كان له تأثير خاص على زيادة عدد الضحيّات والمصابات من النساء بشكل خاص. فالنساء وبحكم موقعيتهنّ المجتمعية، في ساعة متأخرة من الليل لن يكنّ على الجبهات، ولا في فرق الإنقاذ، سيكنّ في مساحاتهنّ الخاصة، بيوتهنّ، نياما مع أطفالهنّ، يرتدين ثياب نوم تتناسب مع الحرّ الشديد في ظلّ حصار شديد. سيكون احتمال موتهنّ بأعداد كبيرة عال جدا، وكذلك إصابتهنّ، وصعوبة إسعافهنّ والتعامل معهنّ، سيزيد من سوء الإصابات ونسبة الموت بينهنّ.

[27] تقرير خاص حول استخدام السلاح الكيماوي في محافظة ريف دمشق في الغوطتين الشرقيّة والغربيّة، مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، 22 آب 2013.

الفصل الثاني:

تفاصيل الجريمة وتحليل آثارها المباشرة

لحظـات وسـاعات الجريمـة الأولى بلسـان الناجيـات والنـاجين

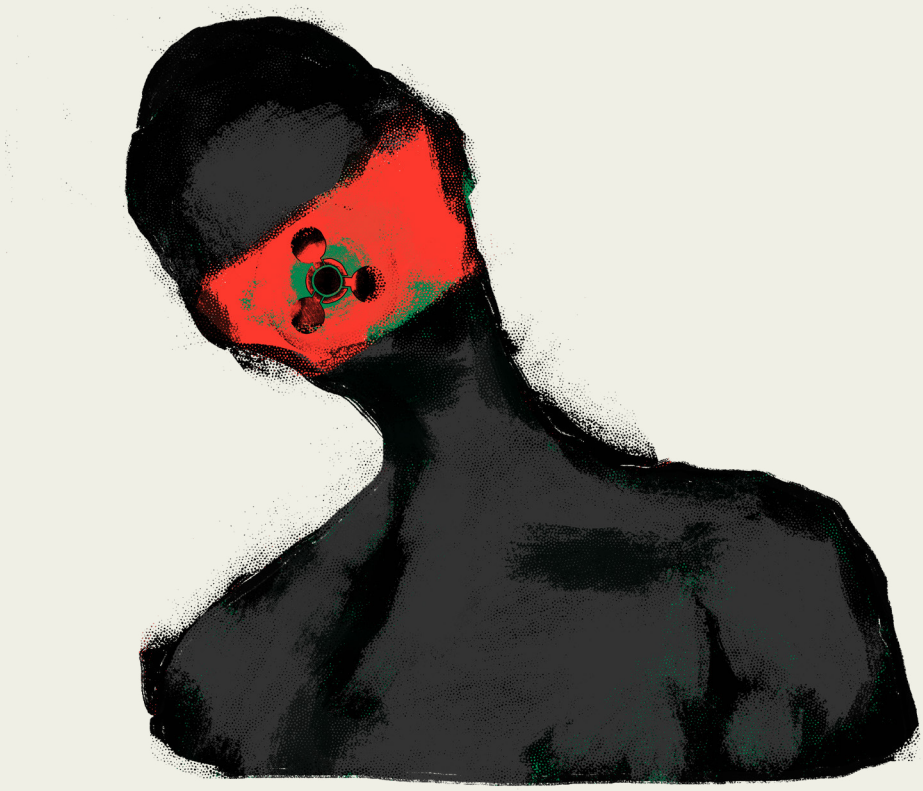

سنخصـص هذه الفقـرة لـمن عشن وعاشـوا هذه التجـربة المريـرة كناجيـات ونـاجين لـم تـكن لديهـم-ن أدوار رسـمية أخـرى، أي ليسـوا مسـعفين، أو مسـعفات، أو منقذين، في الأيـام والأشـهر السـابقة للجريـمة. وفي الفقـرة اللاحقة سنـكتب تفاصيـل الجريـمة كمـا عاشـها الـمنقذون والمسـعفون والمسـعفات، وذلـك بمحـاولة لإعطـاء كل شخـصية نـاجية حقهـا في السـرد، ومحـاولة فهـم مـا حـدث، والاقتـراب من تخيّلـه، من خلال وصف الجريـمة وأثرهـا من موضعيـات مختـلفة تجعـل الصـورة شبـه مكتمـلة من نـاحية وصف الحـدث.

أمّـا من نـاحية الشـعور الذي عاشـه من نجـوا ونجين من هذه الجريـمة، فنحتـاج إلـى سنـوات طويـلة وإنتـاج معـرفي كثيف حولـه، ولن نستطـع أن ننقـل تماما كيف يكـون شـعور إنسـان يتعـرض لغـاز كيميـائي في منـطقة محاصـرة، يستنشقـه، يلمـس أثـره، يـرى المـوت والـعجز في كلّ مـكان، يفقـد العشـرات من أحبّائـه ومعارفـه، ويـرى شبـح المـوت يطـال حتـى الحيوانـات والطيـور والأشجـار[28].... في ظـلّ صـمت محـلّي ودولي يقتـل مـا لـم يقتلـه الـسلاح الكيميـائي والحصـار والقـصف.

لقـد قابلنـا سبـع نسـاء ناجيـات وثلاثة رجـال نـاجين، شـهدن وشـهدوا تفاصيـل الجريـمة منذ إطلاق الصـواريخ من قبـل قـوّات النظـام السـوري. البـعض كانـوا وكنّ في المنـاطق التي تـم استهدافهـا مباشـرة (زملـكا) والآخـرين والأخريـات في المنـاطق المحيـطة المتأثّـرة. سنبـدأ بسـرد اللحظـات الأولـى التي عشنهـا وعاشـوها عنـد إدراكـهنّ وإدراكهـم أنّ الكابـوس الأكبـر، استخـدام الـسلاح الكيمـاوي، يحـدث الآن. **لن نختصـر أو نأخذ اقتباسـات، بـل سنذكـر التفاصيـل كمـا تـمّ سـردها، وذلـك لأهميتهـا، اختلافهـا، وتكريمـا لـكلّ كلـمة ذكرنهـا وذكروهـا في المقـابلات بشقّ الأنفـس في استرجاعهـم واسترجاعـهنّ لـهذه اللحظـات الأليـمة التي لا يجب أن تعيشـها روح علـى هذه الأرض.**

[28] المصدر نفسه.

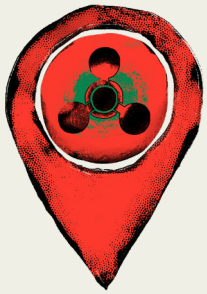

الغوطة الشرقية:
زملكا - عين ترما

اللحظات الأولى...

غاز كيميائي؟

روان، ناجية من زملكا[29]:

من المحال أن أنسى ليلة الكيماوي. أذكر أن الساعة كانت الواحدة صباحاً عندما بدأت أجهّز نفسي للذهاب إلى النوم. كنت قد وضعت ابني بجانب النافذة حيث كان يوما حارًا جدا، وابني الثاني جعلته ينام على الأريكة. سمعت صوت الصاروخ الأول، فقال زوجي "الحمدالله، ما انفجر" وبعد ثوان سمعت صوت الصاروخ الثاني وكان له صوت عميق، فقال زوجي مرّة أخرى "كمان ما انفجر" ثم سمعت صوت الصاروخ الثالث، فقلت لزوجي أنّ هناك شيء غير اعتيادي "معقول يكون كيماوي؟" وعددت إحدى عشر صاروخا لهم نفس الصوت. بعد لحظات، قلت لزوجي أنني أشمّ رائحة غريبة... "هاد كيماوي" لم يصدقني زوجي، ودخلنا من الشرفة إلى البيت ونحن نتجادل حول الموضوع. قلت له بأنني أحسّ بضيق في النفس، فلم يصدقني، وعندما أصبحنا في الغرفة الداخلية سمعنا صوت شخص يصرخ في الشارع "كيماوي، كيماوي" فقلت له "صدقتني هلّق؟" ركضت إلى أطفالي، فكان طفلي الذي جعلته ينام بجانب الشرفة يرتجف بشكل غريب، ظننت أنّه مريض، فضممته إلى صدري، رأيت الزبد[30] يخرج من فمه. قلت لزوجي بأن نصعد إلى السطح فهذا ما كنت أسمعه من الناس عندما كانوا يتحدثون حول الإجراءات التي يجب أن نقوم بها في حال ضربت قوّات النظام السوري غازات كيماوية علينا.

بدأت أتحدث بشكل بطيء... أحضرت بعض المناشف... أتت عائلة أخ زوجي إلينا وقالوا لنا بأن ننزل إلى الحارة... بدأت أشعر بخدر يسري في جسدي من أسفل قدمي. لم أستطع حمل طفلَي، صرخ زوجي على طفلي ليتحركوا... فقلت له "لا تصرخ عليهن... عم يموتوا" أصبح جسد طفلي الثاني رخوا كالعجينة، كأن لا عظام في جسده، بدأت بالدعاء إلى الله كي نموت كلّنا سويّة... خفت أن يموت طفلَي وأن أبقى وحيدة. حاولت أن أغسل جسديهما أكثر من مرة، وأحضرت دواء لهما كان لديّ لتوسيع القصبات. جاء أخي، طلبت منه أن نصعد جميعا إلى سطح العمارة، حتى لو كان هناك قصفا فنحن سنموت بكلّ الأحوال. أصبحت أكثر بطأ في الحديث... طلب مني زوجي أن اقوّي نفسي قليلاً... نزلنا إلى الشارع بدلا من الصعود إلى السطح... كان المنظر كيوم القيامة... الناس تركض لإنقاذ أطفالها، ناس مرمية في الشارع... إنّه يوم القيامة.

[29] روان، العمر 41 سنة، متزوجة ولديها طفلان، كانت تعمل بحلاقة الشعر في زملكا. تهجّرت قسرياً عام 2018 إلى إدلب وبقيت مع عائلتها لمدّة عشرين يوماً في المخيمات، ثم انتقلت إلى عفرين، وهي تدير الآن مشروعاً تطوعيّاً هناك.

30 قال ثلاثة أطباء لـ هيومن رايتس ووتش إن السكان المتأثرين بالهجمات ظهرت عليهم جميعاً أعراض منها الاختناق وضيق التنفس وعدم انتظامه، وتشنج العضلات اللاإرادي، وتكون الزبد لدى الفم، وسيلان السوائل من الأنف والعينين، وارتعادات واحمرار والتهاب العينين وضيق الحدقتين. فضلاً عن ذلك، فقد أفادوا بشكوى الضحايا من الغثيان والدوار وصعوبة الرؤية. المصدر: هيومن رايتس ووتش، تقرير حول الهجمات الكيميائية في سوريا، 10 أيلول2013.

أم أحمد، ناجية من زملكا[31]:

كنّا نياما في البيت عند حدوث الضربة، لم يكن هناك كهرباء أو حتى لدّات[32]، استيقظنا على صوت ضربة ظننا أنها قذيفة هاون لم تنفجر، فقلنا الحمد لله. بعد قليل بدأنا نسمع صراخ الناس وهم يرددون عبارة "ضاربين كيماوي" وبدأ البعض يصعد إلى أسطح البنايات والبعض الآخر ينزل إلى الأقبية. أحضَرت أمّ زوجي بعض المناشف التي كانت قد غسلتها، وطلبت منّا أن نضعها على أنوفنا كي لا نستنشق الغاز. سمعنا صوت قذيفة أو صاروخ ثان، وهنا كنّا قد صعدنا إلى سطح البناية فكان تأثير الغاز خفيفا علينا. زوجة أخ زوجي "سلفتي" التي تعيش في نفس المنطقة ماتت مباشرة هي وأهلها بسبب سقوط أحد الصواريخ بجانب بيتها.

زياد، ناجي من زملكا[33]:

اجتمعت مع أصدقائي حوالي الساعة الواحدة والنصف في مقر الحراسة، وكانوا قد أحضروا بعض الطعام لنأكل ونسهر. بدأت أسمع صوت كصوت "الصفير" في السماء، تكرر الصوت ثلاث مرات، ونزل أحد الصواريخ بجانب البناء الذي كنّا فيه أي بعيدا عنّا بمسافة 70 مترا تقريبا، لم ينفجر الصاروخ... أو هكذا ظننا. بدأت الناس تركض في الشوارع، البعض ينزل من السيارات لينقذ المصابين فيسقطون إلى جانبهم، شخص كان يقود الموتور سقط عنه فجأة. بدأنا نشم روائح غريبة بالتزامن مع صراخ الناس "كيماوي"... ماذا نفعل؟ ما هي الإسعافات؟ طلبنا من صديقي الذي لديه جهاز لاسلكي أن يتصل ويسأل. قررت أنا وأخي أن ندخل إلى الحمام، وضعنا منشفة على وجهينا، وبقينا فترة. تلثمنا بعدها وقررنا أن نخرج، أن ننزل إلى الشارع ونبتعد عن المكان. نزلنا إلى الشارع، تعثرنا بالجثث، جاء "فان طبيّة"[34].. بدأ نظرنا يزيغ، فوضع لنا من كانوا بالفان أقنعة على الوجه، وأخذونا إلى منطقة كفر بطنا... كنّا نحتضر ونحن في الطريق، فقد استنشقنا كميّات كبيرة من الغاز. أنزلونا في منتصف الطريق من السيّارة وغسلونا ببعض المياه الباردة، أعطونا إبرا [35] ثم وضعونا في "المنفسة"[36] عند وصولنا.

[31] أم أحمد، العمر 32 سنة، لديها خمسة أطفال، تهجّرت من الغوطة قسرياً عام 2018 إلى إدلب، وتعيش الآن في عفرين.

[32] اللدّات: LED هو مصدر ضوئي مصنوع من مواد أشباه الموصلات تبعث الضوء حينما يمر خلاله تيار كهربائي. ثنائي باعث للضوء غطاؤه من البلاستيك

[33] زياد، العمر 29 سنة، تهجّر من الغوطة قسرّيا عام 2018 إلى إدلب، وانتقل بعدها إلى تركيا، حيث بدأ بالعمل في مصنع ومازال حتى الآن.

[34] هو نفسه سيارة الإسعاف في ذلك الوقت بسبب نقص سيارات الإسعاف في الحصار.

[35] الأتروبين هو مضاد للكولين (Anticholinergic) يُستخدم لعلاج أنواع معينة من التسمم بالمبيدات الحشرية أو المواد الكيميائية التي تتداخل مع الجهاز العصبي المركزي، بالإضافة إلى علاج بعض أنواع بطء معدل ضربات القلب، وتقليل إنتاج اللعاب أثناء الجراحة. يتم إعطاؤه عادة عن طريق الوريد أو عن طريق الحقن في العضلات

[36] لتزويدهم بالأوكسجين.

أم محمد، ناجية ومن ذوات الضحايا من زملكا[37]:

حـوالي السـاعة 12:30 دخـلت فتـاتي الصغيـرة إلـى غـرفتي لتنـام بجـانبي، لقـد كانت شـديدة التعـلّق بي. بعـد نـصف سـاعة أو سـاعة لا أتذكـر، سـمعنا صـوت ضـربة قـريبة من زاوية بيتنـا، أخذت طفلتي وخرجنـا إلـى غـرفة الصالـون. بـدأت أشـمّ رائـحة غـاز، مـا هذا؟ بدأنـا نسـمع ضربـات متلاحقة، أردتّ الخـروج من الـمنزل لـكنّ حمـاتي لـم تـرض بذلـك. بـدأت العالـم في الشـارع تنـادي "كيمـاوي... ضـربة كيمـاوي" وبـدأ أطفـالي بالبـكاء... ذهبنـا إلـى بيت جيراننـا ظنّـا منّـا أنـه أكثـر أمانـا، فهـو في زاوية البنـاء، ازدادت الأصـوات والرائـحة.... ضـاج الأطفـال وخافـوا أكثـر فنزلنـا كلّنـا إلـى الشـارع. حمـاتي وأولادهـا الكبـار ذهبـوا مـع سيّـارة كانت تقـلّ النـاس إلـى خـارج زملـكا، أمّـا زوجي وأطفـالي، فقـد جـاء شبـاب من الجيش الحـر لأخذهـم بالسيّـارة، أنـا.. فتـحت بـاب السيـارة وفقـدت الـوعي تمامـا لأجـد نفـسي في مشفـى... كانت النـاس تشتـم بشـار الأسـد بصـوت عـالي... فـسألت نفـسي "معقـول كـون أنـا صـرت بـالجنة وبشـار الأسـد لاحقني لهـون؟"

أم سعيد، ناجية ومن ذوات الضحايا من زملكا[38]:

كانت السـاعة حـوالي الثـانية 2 صباحـاً، طـرق جارنـا بـاب بيتنـا وهـو يصـرخ بأنّ قـوّات النظـام ضـربت غـازات كيمـاوية. استيقظنـا جميعـا وخـرج زوجي للمسـاعدة في إسـعاف النـاس. شـعرت بنـاتي بعـوارض غـريبة وظهـرت أعـراض الإعيـاء والإسـهال عليـهنّ بشـكل واضـح... لـم أدر مـاذا يجب أن أفعـل، غسـلت وجوهـهن بالمـاء، أحضـرت المنـاشف من علـى المنشـر لتغـطية وجوهـهن.... جـاء أخ زوجي من أول البلـد إلينـا حيث كنّـا بآخـر البلـد وأخذنـا إلـى بيت أخت زوجي حيث جلسنـا كلّنـا في الحمـام. تأثّـر زوجي بالكيمـاوي وبمـا رأى... وكان يقـول إنّـه يـوم القيـامة، وأنـا بـدأت أقـلق علـى أهـلي، قررنـا جميعـا الخـروج من الـمنزل والذهـاب إلـى منـطقة "الـحتيتة" لاستنشـاق هـواء نظيف، مـررت بالسيـارة من جـانب بيت أهـلي ولـم أستطـع النزول للاطمئنـان عليهـم... ماتـوا جميعـا"

[37] أم محمـد، العمـر 49 سنة، من سـكّان زملـكا سـابقاً، تـوفي لهـا طفلان في الهجـوم الكيميـائي في 21 آب 2013، طفـل عمـره 9 سـنوات وطفـلة عمرها 4 سـنوات ونـصف. تـمّ إيجـاد الطفـل ميّتـاً ومدفونـاً بعد يـومين من الهجـوم، أمّـا الطفـلة فبقيت تبـحث عنها 27 يومـاً حتـى وجـدت أحدهـم قـد أخذ للطفـلة صـورة قبـل دفنهـا لعـدم معرفتهـم لاسـمها أو نسبهـا. تهجّـرت قسـرياً مـع ابنهـا وزوجهـا إلـى إدلب عـام 2018، ثـم انتقـلت إلـى منـطقة اعزاز في حلـب حيث وجـد زوجهـا عـملاً، ثـم تـوفي زوجهـا بـسبب صـحّي، فانتقـلت مـع ابنهـا إلـى بيت إحـدى قريباتهـا في منـطقة عفـرين.

[38] أم سـعيد، أمّ لخمسـة أطفـال، من منـطقة زملـكا، تـوفي لهـا 15 فـرداً من عائلتهـا ابتـداء من أهلهـا وحتـى بـاقي أفـراد العائـلة الممتـدة في جريـمة الكيمـاوي في 21 آب 2013. تهجّـرت قسـرياً مـع زوجهـا وأطفالهـا عـام 2018 إلـى إدلب وبقيت فيهـا حتـى عـام 2019، ثـم نزحت إلـى عفـرين بعـد قـصف قـوّات النظـام وروسيـا لإدلب، وتـوفي زوجهـا هنـاك بطـلقة طـائشة عـام 2020.

أم رامي، ناجية من منطقة دوما[39]:

حـوالي السـاعة 2:30 صباحـاً، كنّـا نيامـاً، استيقظنـا علـى أصـوات ضجيجٍ عـالٍ، نظـرت من النـافذة فـرأيت الكثيـر من النـاس والجيـران في الشـوارع، كانـوا يصرخـون "ضربـوا زملـكا بالكيمـاوي". أولادي الشبـاب هنـاك في زملـكا... بـكيت... كيف سأتواصـل مـع أولادي؟ بعـد قليـل جـاء الدفـاع المـدني ومعـه أولادي، كانت ثيابهـم مبلّـلة بالميـاه وعيونهـم صفـراء. طـلب منّي عناصـر الدفـاع المـدني ألّا أقتـرب منهـم، أن أحـرق ثيابهـم. حرقتهـا، لـكنني لـم أستطـع أن أبقـى بعيـدة عنهـم، إنهـم أولادي، إمّـا أن نمـوت جميعـاً أو نحيـا جميعـاً، وضـعت لهـم قطـرة في أعينهـم، عتّـمت الغـرفة، وبقيت بجانبهـم حتـى المغـرب. نـادوا في الجوامـع أنهـم بحـاجة لمرضعـات ونـاس للمسـاعدة، فذهبت عـدّة مـرّات إلـى جامـع البغـدادي للمسـاعدة... آه لـو تعـرفين كيف كان منظـر النـاس.. كلهـا علـى الأراضي، أرواح تغـادر الأجسـاد.... كأنـه يـوم القيـامة.

أم علاء، ناجية من منطقة دوما[40]:

أتذكـر صـوت سيـارات الإسـعاف مـع بـدء الصبـاح أو قبلـه، أعتقـد أنهـا كانت حـوالي السـاعة الثـانية صباحـاً. كنت حـاملاً، نائمة وزوجي في المـنزل، بـدأت الاتصـالات تنهـال علـى زوجي عن طـريق اللاسـلكي وأخبـروه أنّـه قـد تـم ضـرب منـاطق في الغـوطة بالأسـلحة الكيمـاوية. خـرج زوجي مـع الشبـاب لإنقـاذ النـاس، أمّـا أنـا فبقيت في المـنزل، وبـدأت التشنجـات تزداد في بـطني "يمكن من الخـوف" نزلت إلـى بيت جيـراني، وبـدأت تأتينـا الأخبـار أن النـاس في منـطقة البلـدية ومنهـم أهـل زوجي قـد استنشقـوا الغـاز. خفت أكثـر، هـل أفقـد زوجي وجنيني في نفـس اليـوم؟ شـاب شـعري في نفـس اليـوم من الخـوف، ومن أصـوات النـاس وصراخهـا في الشـوارع. عـاد زوجي وإخوتـه مصـابين... كانـوا فاقـدين لتوازنهـم وعيونهـم غـريبة وكأن شيئـا يخـرج منهـا... ابتعـدت عنهـم خوفـا علـى الجنين ولأنني بـدأت أحـس بمغـص قـوي، قـامت حمـاتي برشـهم بالميـاه، وتشـممهم البصـل. زاد المغـص في بـطني، وبـدأت أنزف، نظـرت إلـى زوجي ذو البنية القـويّة فرأيتـه يبـكي وغيـر قـادر علـى الحـركة... شـعرت بالضـعف، وطـلبت من جيـراني أخذي إلـى أي نقـطة طبية. تنقـلت بين الكثيـر من النقـاط فـكانت كلهـا ممتـلئة بإصابـات الكيمـاوي، حتـى أنهـم وضعـوا الكثيـر من النـاس المصـابة في الشـوارع ورشـوها بالمـاء. استطاعـوا في مشفـى الحمـداني اعطـائي ابـرة ضـد التشنج وتحـسنت حـالتي قـليلاً. هنـاك رأيت مناظـر لن أنسـاها... "نـاس عـم تصـرخ... ونـاس عـم تـدّق راسـها بالحيطـان".

[39] أم رامي، العمـر 49 سنة، أم لأربـعة أطفـال، كانت تعمـل في الخيـاطة، تـوفي زوجهـا قتلاً علـى أيـدي أحـد حـواجز قـوّات النظـام السـوري عـام 2012 وقـد كانت حـاملاً. تهجّـرت قسـرياً من الغـوطة الشـرقية لـدمشق عـام 2018، إلـى ريف حـلب. تـعيش الآن في جنـوب تركيـا في سـكن للأيتـام مـع بناتهـا.

[40] أم علاء، العمـر 32 سنة، عـاشت في دومـا منذ عـام 2012 وكانت قـد تـدربت علـى التمـريض لمسـاعدة النـاس أثنـاء القـصف. كانت حـاملاً أثنـاء ضـربة 21 آب 2013، انجبت طفلاً آخـر ثـم تـوفي زوجهـا. تهجّـرت مـع طفليهـا قسـرياً عـام 2018 إلـى حـكاة، ثـم إدلب، ثـم نزحت من إدلب بـسبب قـصف قـوّات النظـام السـوري وروسيـا عـام 2019 إلـى منـطقة عفـرين.

أبو محمد، ناج ومن ذوي الضحايا، منطقة حزّة[41]:

كنت جالسا مع الأصدقاء في ليلة الكيماوي "سهرانين" وحوالي الساعة الثانية صباحاً، سمعنا أصوات سيارات الإسعاف وأصوات قصف غريبة. خرجت مع جاري الذي كان عمره 16 عاما لنرى ما الذي يحدث. مشينا في الظلمة باتجاه زملكا وعقلي كلّه مع أهلي الذين يعيشون هناك... هل ماتوا؟ نادتنا امرأة من شباك إحدى الطوابق في بناية عالية "هون في ناس بالبناية ساعدوهون" كان بناء "على العضم" وجدت البوابة مقفولة. قلت لها لا يوجد أحد. قالت بلى يوجد أرجوك ساعدهم. صعدنا الدرج... وجدنا شابين ميتين... أكملنا طريقنا إلى الشقة..... لا إله إلا الله... لا إله إلا الله.... 13 شخص ما بين نساء ورجال وأطفال... كانوا نياماً وظلوا نياماً... عند الباب على شماعة تعليق الثياب كان هناك شيئا غريبا مسسته بيدي... إنها امرأة كانت تحاول ارتداء ثيابها... ماتت وهي جالسة... أحضرنا سيارتين ونقلنا الجميع إلى المستشفى... أما أهلي فد ذهبت إليهم لأجد البيت والبناء كله فارغا... لا أحد. الأبواب مفتوحة... إلّا باب الشقة في الطابق الثاني، حاولنا كسره ولم نستطع، نزلنا إلى الطابق الأول. بيت أختي... وجدت زوجها على الأرض والزبد يخرج من فمه... وبقينا أيام طويلة حتى عرفنا من مات ومن بقي حيّا أو حية أين هم وهنّ في أيّ مشفى وأية منطقة...

يسرى ناجية ومن ذوات الضحايا، منطقة حرستا[42]:

كانت تلك الليلة حارة، لم نستطع فيها النوم. حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعنا صوت صاروخ، للصواريخ صوت قبل انفجارها نسميه بالشخرة وهو ما حفظناه واعتدنا عليه، ولكن كانت ليلتها مغايرة تماما. أول شخرة قلنا اللهم أجرنا، ولكن لم ينفجر قلنا الحمد لله، ثاني شخرة.. اللهم أجرنا لم ينفجر... الحمد لله وهكذا أصبحنا نعدهم الثالث، الرابع.. شعرنا بالغرابة، ولكن قلنا الحمد لله ربما أتوا في أرض بور. بعد نصف ساعة سمعنا صوت جارنا ينادي: "سكروا الشبابيك" نظرت حولي.. منزلي أصلاً بلا شبابيك كلها تكسرت من قذائف سابقة واستبدلناها بنايلون حتى أبواب لم يكن يوجد لدي.. لم يكن عندي مكان أدخل إليه وأغلق كل منافذ الهواء.. "وين بدنا نقعد ما عرفنا" أصوات الشوارع أصبحت عالية "كيماوي كيماوي... "رائحة دواليب السيارات والكاوتشوك أصبحت خانقة، حاولت الصعود إلى السطح كعادتي لأعرف موقع ونوع القصف. ذهلت مما رأيت، نار في كلّ مكان من حرق العجلات، المآذن تنادي وتطلب الأغطية والملابس وصهاريج الماء لإيصاله للنقط الطبيّة وأماكن التجمع [بكاء] "أنا كان عندي ولدين خايفة عليهن... "[صمت] "هالليلة ما بنساها"

[41] أبو محمد، العمر 60 سنة، كان تاجرا في منطقة حزّة التي تبعد 10 دقائق عن منطقة زملكا مشياً على الأقدام. فقد 19 شخصا من عائلته في مجزرة الكيماوي 21 آب 2013، منهم أخته التي توفيت وهي تساعد في اسعاف الناس. تهجّر قسرياً عام 2018 إلى إدلب ويعيش هناك مع من تبقى من عائلته.

[42] يسرى، العمر 46 سنة، من سكان زملكا سابقا، لديها 3 أطفال، تهجرت مع عائلتها عام 2018 إلى إدلب ثم انتقلت إلى عفرين في حلب، كانت خياطة وعملت مدربة للخياطة ثم تطوعت في العديد من المجالات الإغاثية والإنسانية ثم عملت في منظمة كمسؤولة تواصل ثم أصبحت مديرة للمركز.

أم عبيدة ناجية ومن ذوات الضحايا، منطقة عربين[43]:

في تلك الليلة، كنت انتظر عودة ابني من عمله، فهو المعيل لعائلتنا بعد وفاة والده. نام فورا، ولكني لم أستطع النوم كنت أشعر بقلق، بدأ يسعل وهو نائم وكأنه يختنق. أيقظته ليشرب الماء، وهنا بدأت أصوات في الخارج "طلعوا ضرب النظام كيماوي" أيقظت بناتي ووضعنا على وجوهنا كمامات خل وماء، لكنها لم تنفع. بدأت ابنتي الصغيرة بالاختناق، خرجت بها إلى الشارع، وأخذتنا سيارة تسعف الناس إلى دوما. المنظر في دوما كان مخيف ومهول لدرجة أن الطبيب كان منهارا، أسعفت ابنتي ووضعتها عند عائلة قريبة من المشفى لأعود وأجلب ابنتي الوسطى. لم يرض أحد أن يأخذني إلى المنطقة التي كانت تعيش فيها، قالوا أنّه لم يبق أحد هناك. أوصلني شاب لا أعرفه إلى منزلها، طلبت منه أن يخلع الباب، لأجد ابنتي مرمية على الأرض، عيناها جاحظتين، والزبد يخرج من فمها. أسعفتها إلى دوما، وعندما ذهبت لاستلام ابنتي الصغرى أخبرتني العائلة أنها ليست لديهم، انهرت.. كيف أضع ابنتي أمانة عندكم وتعطونها للمسعفين؟ بحثت عنها بشكل هستيري لأجدها في مسجد دوما.. [صمت]..

إنّه يوم القيامة، استخدم هذا الوصف معظم من قابلناهنّ وقابلناهم، هذا الموت الجماعي الصادم، أشكال الناس الميّت منها دون دماء والزبد يخرج من فمها، والأحياء منها يتخبطون من الألم غير قادرين أو قادرات على التنفس أو الرؤيّة، يتساقطون في الشوارع الواحد تلو الآخر وخاصة الرجال، فهم من كانوا في الشارع، وهم من كانوا صاحين للسهر، للحراسة، للصحبة والاستئناس بالرفاق عندما حدثت الكارثة. وحتى من كان نائما واستيقظ، هبّ إلى الشارع كي يساعد في إنقاذ الناس وأصيب معظمهم ومات الكثير منهم. أمّا النساء فمعظمهنّ كنّ في البيوت، نائمات أو يجهزّن للنوم، لم يتحركنّ بعيدا عن بيوتهنّ خاصة في اللحظات الأولى، فتلك التي ذهبت إلى جارتها، وتلك التي انتظرت أولادها، وتلك التي طلبت الصعود إلى السطح ولم يسمع لها أحد، وتلك التي صعدت ورأت الأهوال في الشوارع. وهذا بالطبع أثّر عليهنّ وخاصة من كنّ في زملكا، فكثير من الرجال خرجوا للإنقاذ، ومن بقي في البيت كان لا يدري ماذا يفعل أو كيف يتصرف ومن ينقذ وكيف، وهم يستنشقون الغازات في نفس الوقت. ومعظم النساء ينتظرن حتى يأخذ الرجال قرارا أو يُحضروا سيارة في هذا الوضع الكارثي، والتأخر في الخروج أو الصعود إلى الأسطح وحتى لو لدقائق واستنشاق الغازات الكيماوية في نفس الوقت أو ملامسة من أصيب منها من أفراد العائلة وعدم الاعتياد على الخروج وحيدات إلى الشارع وفي الليل، أو الصعود إلى الأسطح كان له أثر عليهنّ. وفي نفس الوقت لم يقفن دون فعل، فمنهنّ من حاولت إسعاف من في البيت عن طريق احضار المناشف المبللة لهم ولهنّ، قطرات الأعين، البصل وغيرها من التصرفات العفويّة السريعة التي لا ترتكز على شيء إلا على ما سمعنه وتداولنه في الأيام السابقة، وأخرى حاولت إسعاف بنتيها التي تعيش كلّ منهما في منطقة مختلفة. والأقلّ إصابة حاولت مساعدة المصابين والمصابات بالعموم وخاصة استجابة لنداءات الجوامع.

[43] أم عبيدة، العمر 56 سنة، لديها 5 أطفال، زوجها متوفى، ولديها شاب مختفٍ قسرياً، توفيت ابنتها وعائلة أختها كاملة في الهجوم الكيميائي في 21 آب 2013. تهجّرت قسرياً مع ابنها وابنتها إلى ريف حلب الشمالي عام 2018، ثم انتقلت إلى منطقة عفرين في حلب.

لقد شبّهوا هذا اليوم بيوم القيامة من هول ما رأوا، من الشعور بالعجز، من شكل الموت الذي لم يعتادوه ويعتدنه حتى في القصف اليومي العنيف والحصار. حتى المسعفات والمسعفين قد ذكروا نفس الوصف بعد ما رأوه في الشوارع والساحات والنقاط الطبية من أهوال، من أطفال رضع، نساء، رجال بالمئات في كل مكان، من إصابة الكوادر الطبية وموت الكثيرات والكثيرين منهم.

لحظات الجريمة الأولى وآثارها بلسان المنقذين

في ليلة الجريمة، حاول كلّ من استطاع أن يقوم بالإنقاذ ولم يقتصر الأمر على فرق الإخلاء والإنقاذ المعدّة مسبقا لهذه المهمات. ليس من السهل فصل الأحداث والقصص حسب الأدوار، فصورة تلك الليلة، معقدّة، تفاصيلها سريعة ومتداخلة وموجعة، قام الناس فيها بعدّة أدوار: من إنقاذ وإسعاف ومساعدة بنفس الوقت وعلى التوازي أحيانا، والمشترك بين الجميع هو الإصابة بالغاز الكيماوي إمّا بشكل فوري، أو نتيجة الاستنشاق المتكرر، أو الملامسة إضافة إلى الصدمة النفسيّة. أي ليس لدينا هنا حدث متسلسل، مثل سقوط صاروخ على منطقة ما، سماع فرق الإنقاذ بذلك، ذهابها للإنقاذ، ثم نقل الإصابات إلى النقاط الطبيّة.

ولا نقصد أن الحال قبل جريمة الكيماوي كان فيها استرخاء أو قدرة على القيام بالمهام بشكل كامل ومنفصل ومتسلسل، فالموت والإصابة والإنقاذ والإسعاف أيضاً كانت تتم بسرعة وبشكل متقاطع خلال غارات القصف المدفعي والجوي اليومي من قبل قوّات النظام السوري، وخاصة عند استهداف فرق الإنقاذ والمشافي الميدانية أو النقط الطبية أحيانا بعد القصف الأول مباشرة[44]. لكن السلاح المستخدم هنا هو غاز السارين، بكميات كبيرة وانتشار سريع وبمدى واسع، فالمنقذ أصبح مصاباً بعد دقائق أو ساعات، ومن كانت إصابته خفيفة نهض ليصبح منقذاً، والمسعفة أصبحت مصابة بعد ملامستها الكثير من المصابات والمصابين وبحاجة لمن يسعفها... والباحث عن أهله، وجد نفسه منقذاً، ثم مصاباً، والمنتظرة لأولادها، صارت متطوعة بعد قليل في الجوامع لمساعدة النساء والأطفال ثم أصيبت وتم إسعافها... ومن توفّوا بحاجة إلى دفن، ومن ساعد بالدفن انهار بعد قليل وأصبح بحاجة إلى اسعاف أو لمن يدفنه... وهكذا...

في ظلّ كل هذه المعطيات، سنبدأ بشرح وسرد كيف سمع أو علم من قاموا بالإنقاذ بخبر الهجوم بغاز السارين، وننطلق منها لمتابعة خطواتهم وخطواتهنّ خلال الساعات الأولى بعد الهجوم، ثمّ كيف أثرت هذه الجريمة على المنقذين وعلى المصابين والمصابات. ونشير أنّه في تلك الفترة، كانت كل فرق الإنقاذ من الرجال ولم تكن هناك نساء منقذات، وقد يكون ذلك بحكم خطورة العمل واحتياجه إلى جهد عضليّ كبير في الإنقاذ من تحت الأنقاض، أيضاً بسبب ساعات العمل العشوائية التي قد تكون في أيّ وقت من اليوم، وعدم اعتياد المنطقة اجتماعيّا على مشاركة النساء في مثل هذه المهام التي تتمّ معظمها في المساحات العامّة أي خارج البيت أو العيادة، وانشغال معظم النساء بأدوار كثيرة وشاملة جديدة من طبابة وإسعاف وتعليم وإغاثة إضافة إلى الأدوار النمطيّة من رعاية للمنزل والعائلة[45]. لذلك كانت مقابلاتنا فقط مع الرجال فيما يتعلق بعملية الإنقاذ.

يبدو أن المنقذين ممّن كانوا في منطقة زملكا، بعضهم أصيب بشكل مباشر، ومع ذلك حاولوا الاستمرار في الإنقاذ رغم الإصابة حتى فقدوا وعيهم. كرم من زملكا[46]، والذي كان عائدا بعد مناوبة طويلة على الجبهة، وقعت صواريخ الرؤوس الكيماوية أمام عينه **"بعد شوي نزل صاروخ قدامنا لونو بنفسجي، بعيد عني مترين"** ثم رأى صاروخاً آخراً بعد قليل، ولكنّه نوّه أن له لونا أصفرا ولا يشبه الذي رآه سابقا. كل هذا أثر على كرم الذي بدأ يساعد الناس المصابة، كرم لم يكن منقذاً مدرّبا، لكنّ كلّ شخص تقريبا حاول أن يكون منقذاً في تلك اللحظة. ازدادت الأعراض عليه، فكانت إصابته مباشرة، وبقي يساعد حتّى فقد الوعي وتمّ إسعافه إلى نقطة طبيّة في منطقة كفر بطنا.

[44] When The Planes Return: Double-Tap Strikes on Civilians in Syria, July 2022.

[45] انضمت النساء لاحقاً إلى فرق الدفاع المدني السوري المعروف باسم الخوذ البيضاء: "منذ تأسيس الخوذ البيضاء انضم إليها متطوعات نساء، واليوم هناك أكثر من 221 متطوعة تلقين تدريباً على الرعاية الطبية وأعمال الإنقاذ الخفيفة". المصدر: الصفحة الرئيسية للخوذ البيضاء.

[46] كرم، العمر 45 سنة، من منطقة زملكا، كان يعمل في مجال العقارات وبقي في الغوطة الشرقية حتى تم تهجيره قسرياً عام 2018 إلى الشمال السوري. يعاني من العديد من الإصابات في جسمه، ويعاني من مشاكل مزمنة في جهازه التنفسي بعد حادثة الكيماوي.

أمّـا من كانـوا في المنـاطق المحيـطة لمنـطقة زملـكا، بعضهـم رأى الصـواريخ تنهـال من جـهة قاسيـون دون سـماع صـوت انفجـار، أو مـع صـوت غيـر اعتيـادي، لـم يعرفـوا مـا هذا الذي رأوه أو سـمعوه.... والبـعض الآخـر علـم عن طـريق الاتصـالات علـى الجهـاز اللاسـلكي، أو عن طـريق نـداء الجوامـع، أو عن طـريق صـراخ النـاس في الشـوارع. أبـو فـراس [47] كان في سقبا ساهراً مع رفاقه على سطح بنايته العالية المطلّة على جهة زملكا، جوبر، القابون وجبل قاسيون. رأى صواريخ تضرب باتجاه زملكا لها لون غير اعتيادي "كان لون مايل للأزرق بدل ما يكون برتقالي مايل للأحمر حسب الصواريخ المتعودين عليها. "سمع صوت انفجار غير اعتيادي أيضاً، خافت، عميق، ثم سمع نداء الجوامع وقد كانت الساعة حوالي ال 2:30 صباحاً لتخبر الناس أنّ صواريخاً تحمل غازا كيميائيا قد سقطت في منطقة زملكا ولطلب العون "الفزعة". ركب أبو فراس درّاجته الهوائيّة متجها إلى زملكا وفي طريقه مرّ بمنطقة حزّة وشاهد فيها الأهوال، يصف أبو فراس هذه اللحظات

"منظر العالم الي كانت بالأرض والناس متل كأنها نايمة بالأرض وما في دم وما في شي!! فجديد كان الموضوع، جديد علينا، وعم شوف الأطفال كيف عم تختنق ويطلع الزبد من تمها، في شي ميت، في شي عم يتحرك، في شي عم بغسلوه بالمي، نساء أطفال رجال، والنساء عم ياخدوهون لداخل النقطة الطبية، والأطفال والرجال بالشارع لأن مافي مكان. وكان في صهريج مي، يكبوا مي عليهن ويشلحوهن الأواعي... فأنا سألت كيف ممكن ساعد، قالوا أنو كتير في مصابين بزملكا والأفضل روح ساعد هنيك.. فركبت البسكليت باتجاه زملكا، وكانت العالم هنيك عم تحط قمصان عتمها وانا كمان شلحت قميصي وحطيتو، قسمنا بعضنا وبلشنا نمشط البنايات، المناظر ما بيقدر الواحد يوصفها بكلام، ناس عالدرج... ناس ما لحقت تهرب من بيوتها... فصرنا نكسر البواب ونفوت لما ندخل يكون في عالم مصابين وميتين وفي ناس لساتن بالتخوت ومو متحركة"

يضيف أبو فراس، أنه عندما وصل إلى ثالث بناء بدأ يحس بانعدام الطاقة، ضيق بالتنفس وفقدان للرؤية بنسبة 90%. ارتاح قليلاً وفي الصباح بدأت قذائف الهاون والصواريخ تنهال، فركب دراجته وذهب ليطمئن على عائلته في منطقة سقبا، بعدها صار يساعد بنقل الموتى إلى مقابر سقبا.

كذلك حسام [48] الذي كان في جوبر ساهراً مع أصدقائه خارج المنزل بسبب الحرارة المرتفعة وعدم قدرتهم على النوم، رأى صواريخ تخرج من جبل قاسيون ولم يدر أين نزلت ولم يسمع لها صوتا ولم يعرف وأصدقاؤه ما يحدث. لكنّ أعراضا بدأت تظهر عليهم من حرق في العيون، مرار في الفم وسيلان أنفي. وبعد تجولهم في المنطقة لمعرفة ما يحصل، صادفوا أشخاصاً لديهم نفس الأعراض، وجاءتهم اتصالات من الجهاز اللاسلكي بأن يجهزوا سيارات وموتورات وأي شيء وأن يتوجهوا إلى النقاط الطبيّة في منطقة عين ترما للمساعدة في إنقاذ وإسعاف الناس المصابة بالغاز الكيماوي. يقول حسام واصفاً اللحظات الأولى من دخول النقطة الطبيّة وما حدث لاحقا

[47] أبو فراس، العمر 41 سنة، من سكّان منطقة سقبا، كان يعمل مع الدفاع المدني في منطقة الغوطة الشرقية منذ عام 2012 وحتى تهجيره قسرياً عام 2018 إلى الشمال السوري. يعاني من مشاكل مزمنة بالجهاز الهضمي تُعيقه عن القيام بعمله والقيام بالواجبات الاعتيادية اليومية.

[48] حسام، العمر 36 سنة، من منطقة زملكا، كان يعمل في التجارة وكانت لديه أحلام بإكمال الدراسة، بقي في منطقة الغوطة الشرقيّة حتى تمّ تهجيره قسرياً عام 2018 إلى الشمال السوري، إدلب ويعمل حالياً في المجال الإنساني.

"تفاجأنا بعدد الإصابات الكبيرة اللي كانت داخل القبو بالنقطة الطبية، ما كان في نقاط طبيّة فوق الأرض بالغوطة لأنه بتم قصفها. فكانوا جنب الطبية مشغلين "غطاس مي" وعم يرشوا العالم بالمي والعدد كان كتير كبير، وساعدناهن بتغسيل المصابين قبل إنزالن عالنقطة الطبيّة، فالعالم كانت عالشارع والأرصفة، نساء رجال وأطفال أعداد ضخمة. خبرنا شخص ونحنا عم نشتغل بعد نصف ساعة من الوصول، قال: الإصابات مو هون، بزملكا العالم بالبيوت مو ملاقية حدا ينقذها أو يطلعها، فاطلعنا بباص نقل داخلي كبير، وكان شوفير الباص مطالع معو مصابين، اللي واعي منهون كان قاعد، واللي مو بوعيه كان مستلقي بأرض الباص. فوصلنا على زملكا وبلشنا نسأل الناس وين الإصابات، فقالت الناس إنو الكل تم اسعافهون، هي ببداية دخولنا على زملكا. الناس كانت متصورة انه الإصابات بحارة معينة مو متخيلين ان الإصابات بهالحجم وبكل مكان بزملكا، فارجعنا بعدين وبلشنا نطلع عالبيوت"

يضيف حسام أن أكثر ما كان يرعبه، أن يفقد الوعي هو ومن معه، فمن سيكمل الإنقاذ ومن سيسعفهم؟ وأنّ ما جعله يستمر رؤيته للناس التي تأتي من كل مكان لتساعد وهي تعرف أنها قد تموت. وذكر أن العديد من المنقذين قد استشهدوا خلال عملية الإنقاذ. بدأت الأعراض تظهر على حسام كحرقة في العينين، لكنه كان يرش نفسه بالماء كلّما استطاع. وبعد إنقاذه للكثيرين والكثيرات ورؤيته الكثير من الموت وخاصة الأطفال، بدأ يرى سوادا في عينيه **"عم شوف سواد وكأنو عم حط جمر بعيوني وبعدين صارت متل غشاوة بيضاء على عيوني وبعد ما طلع الضو بلش النظام يستهدف المنطقة نفسا بالصواريخ والطرقات الرئيسية مشان كل مين طلع عالأساطيح وما مات يموت بالقصف."**

نلاحظ ممّا قاله المنقذون في زملكا وجوبر وسقبا، عدم وجود أيّة تجهيزات لديهم عندما بدأوا بإنقاذ الناس، حتى هم أنفسهم كان أكثر ما استطاعوا فعله لحماية أنفسهم هو وضع قطعة من القماش على الفم والأنف والاغتسال بالماء عند الإمكان. هؤلاء وغيرهم الكثيرون، تركزت مهمتهم على نقل الناس المصابة من البيوت إلى النقاط الطبيّة. كانت الأولويّة في الإنقاذ والإخلاء لمن كان يبدوا عليه أو عليها علامات الحياة، أما من ماتوا فقد تمّ إجلاءهم وإجلاءهنّ لاحقا وأحيانا بشكل متوازي عن طريق شباب ورجال أحضروا سيّارات ووضعوا الكل فيها، نساء ورجالا بشكل جماعي. قال معظم المنقذين أنّ ما صعّب إكمال عملية الإنقاذ والإسعاف لاحقا إضافة إلى الإصابة بغاز السارين هو القصف الذي استهدف بيوت الناس والنقاط الطبيّة، مما أدّى إلى وفاة العديد من المصابين والمصابات وبعض الكوادر الطبيّة.[49]

[49] بين عامين ومجزرتين.. غوطة دمشق تتجرع الموت بصمت، الجزيرة نت،21 آب 2015.

التعامل مع النساء خلال الإنقاذ

كان التعامل مع النساء في الإنقاذ صعباً ومربكاً، خاصة في غياب المنقذات النساء في فرق الإنقاذ. خلال الإنقاذ والإخلاء في ليلة الجريمة، كان على المنقذين خلع الأبواب واقتحام المنازل. كانت معظم النساء نائمات في بيوتهنّ، ومن استنشقت منهنّ الغاز وهي نائمة كانت فاقدة للوعي، ولإنعاشها أو تخفيف أثر غاز السارين عنها، كان يجب اتباع نفس الإجراء المتبع مع الرجال، إزالة الثياب قدر الإمكان ورشّ الجسد بالمياه. لم يكن لهذا الفعل سهولته، فالنساء يرتدين بمعظمهنّ ثياب نوم صيفيّة، وفي مجتمعات الغوطة الشرقيّة ترتدي معظم النساء الحجاب واللباس المحافظ عند اختلاطهنّ من الرجال. وهنا، لا تتوقف المشكلة في رؤية النساء بثياب نومهنّ فقط، فهذا قد يحدث خلال الإنقاذ من القصف البرّي والجوي، بل على المنقذ لتخفيف آثار الغاز أن يزيل الثياب عن النساء كما يفعل مع الرجال

اختلفت إجابات المنقذين عند سؤالهم عن كيفية إنقاذ النساء تبعاً للشخص، المنطقة، والذاكرة، فالبعض ذكر أنّه لم يكن هناك تمييز بين النساء والرجال في لحظات إخلائهنّ من البيوت، أي كانوا يضعون الجميع في سيارة الإسعاف إن وجدت، أو سيارات عاديّة، والسيّارات تتحرك لأقرب نقطة طبيّة فيها مكان لمصابات ومصابين. والبعض الآخر قال إنهم كانوا ينزعون الثياب عن الأطفال والرجال لكن ليس النساء "وقت كنا نزل العالم من درج البناية عالسيارات، يعني إذا طفل أنا شقلو تيابو، بس نساء ما بحسن أعمل هيك فالنساء كنا نغسلن بالمي لحتى تتملا أواعيهن لحتى بالطريق ما يضلوا يستنشقوا الغاز الكيماوي ويتوفوا" (حسام).

بينما قال أبو بكر وهو منقذ ومسعف [50] أنهم عندما كانوا يدخلون البيوت، ويجدوا النساء مصابات وهنّ ما زلن يرتدين ثياب نومهنّ وقد تعرضن لكميّة كبيرة من الغاز، عندها إمّا أن يكون أحد رجال العائلة صاحياً فيساعد في نقل نساء العائلة، أو أحياناً كانوا يضطروا إلى نقل النساء إلى أسفل البناء، إلى المداخل. أمّا إذا كانت النساء صاحيات قليلاً وقد ارتدين ثيابا فكانوا يرشّون عليهنّ المياه ويأخذوهنّ إلى أسفل الدرج. وقال أنّ النساء في المنطقة التي أنقذ فيها من زملكا بقين في المداخل بانتظار سيّارات الإسعاف التي يوجد نساء في طاقمها وفيها تجهيز مقبول من إبر وأوكسجين.

إذاً هكذا كانت تتم عمليات الإنقاذ: فرقٌ من الشباب تصعد إلى الأبنية وتحاول إخلاء أكبر عدد ممكن من الأشخاص المصابة إلى أسفل البناء، ويتم رشّ الماء على المصابين والمصابات في كل مرحلة وحسب توفر الماء. أحيانا يتم نزع ثياب الرجال مباشرة وتبليلهم بالماء، وأحيانا لعدم توفر الماء أو لإيصال أكبر عدد ممكن إلى مكان للإسعاف وبسرعة كانوا يضعونهم في السيارات وعند الوصول إلى النقطة الطبيّة، أو المسجد، أو المدرسة، أي مكان فيه ساحات كبيرة وفيه غرف داخلية، هناك صهاريج من المياه في الخارج، يتم نزع ثياب الرجال وغسلهم بشكل متكرر ووضعهم والأطفال خارجا إما في الساحات وأحيانا في بعض المناطق على الأرصفة بسبب الأعداد الكبيرة من الناس المصابة بالغاز.

أمّا النساء، فلا يتم نزع الثياب عنهنّ، ويتم رشهنّ بالمياه بشكل كبير وهنّ مرتديات لثيابهنّ، ثم يتم إدخالهنّ إلى الأبنية، فإن توافر كادر طبيّ نسائي كنّ يخلعن عنهنّ الثياب، وعدا ذلك تبقى الثياب عليهنّ ويتم رشهنّ بالمياه ومعالجة الأعراض كالآخرين بإبر الأتروبين والأوكسجين وذلك حسب العرض ودرجة الإصابة.

لاحظنا ارتباك معظم المنقذين عندما سألنا عن كيفيّة إنقاذ النساء، فالسؤال حسّاس من عدّة نواح: بالنسبة للمنقذ، إهمال أيّ روح بشريّة خلال الإنقاذ هي عقدة الذنب التي لا يمكن تحمّلها، وبما أنّ السؤال يلامس أكثر اللحظات عنفا وقسوة وألما في أي إنقاذ سابق أو لاحق قد قاموا به، فقد يوحي السؤال لهم بأنّهم قد يكونوا قد أهملوا النساء، أو تأخروا في انقاذهنّ، أو لم يعرفوا كيف يتصرفون معهنّ. من ناحية أخرى، استرجاع هذه الذاكرة بحدّ ذاته، فيه من التعب والقسوة ما لا يوصف، إنها أيضاً ذاكرة مصدومة وهناك تفاصيل غائبة، وتفاصيل أخرى حاضرة بقوّة، وأحيانا

[50] أبو بكر، العمر 26 سنة، عمل مبكرا في المجال الطبي مع بدايات الثورة، وأسعف وأنقذ في ليلة جريمة الكيماوي وبقي في الغوطة الشرقية حتى تمّ تهجيره قسرياً إلى الشمال السوري عام 2018، وهو مقيم حاليا في تركيا. يعاني أبو بكر من أمراض مزمنة مناعية في جهازه الهضمي وخضع إلى العديد من العمليات التي لم يستفد منها شيء وهو الآن في وضع صحي سيء جدا. حاولنا المساعدة خلال البحث بدعم من منظمة "النساء الآن" ولكن حالة أبو بكر تحتاج إلى تدخل طبي سريع ورعاية صحيّة مستدامة.

الربط بين أمور دقيقة حصلت في لحظات خارجة عن الزمن لسرعتها وقسوتها، قد يكون صعباً، بل مستحيلا. لكن نحن لم نكن نسأل لنضع اللّوم على أيّ أحد إلّا على مرتكبي الجريمة، وعلى العكس بالنسبة لنا كل من قابلناه من المنقذين هم أبطال، وهم فعلا أبطال، ولو كانت هناك عدالة سريعة التحقيق، لسطرت أسماؤهم في التاريخ منذ سنوات كمثال على الشجاعة، والإيثار، والتكافل، والإنسانيّة.

لكن نحن نسأل لنبيّن كيف يختلف أثر الجرائم بين النساء والرجال، ليس فقط في الاستهداف أو الإنقاذ، بل حتى في الأثر طويل الأمد لمثل هذه الجرائم. ولنعطي فكرة أوسع عن وحشيّة مرتكبي الجريمة الذين استخدموا سلاحا كيماويا على مناطق مأهولة بأبناء وبنات بلدهم، مناطق محاصرة لا يستطيع أهلها الخروج منها، خدماتها مهدّمة من القصف اليومي، وأن يختاروا وقتاً، الناس وخاصة النساء والأطفال فيه نياما، في يوم صيفي بامتياز. ويحدث أن يكون لهذا المجتمع إرثه الديني والمجتمعي الخاص به تتمثل بعادات وتقاليد معينة، ليس من السهل ولا من المعتاد فيها التعامل بشكل مريح تعرية جسد امرأة لإنقاذها. ولا يوجد أيّ جاهزية بالأصل للتعامل مع سلاح كيماوي ولا تدريب أو تخطيط مسبق لهذا الفعل. وفي تلك اللحظات التي أنقذ فيها المنقذون الكثير من الأرواح، كانوا قد استنشقوا ولامسوا الغاز أيضاً، أي ليسوا في حالتهم الجسدية والعصبية والنفسية الجيدة أبداً، وليس هناك تجهيزات لتحميهم هم أولا، عليهم أن يفكروا بكلّ شيء، وقد فكروا فعلا وفعلوا وأنقذوا ما استطاعوا، ومات الكثير منهم في عمليات الإنقاذ لإنقاذ شخص إضافي واحد.

ربّما كان من الممكن إنقاذ عدد أكبر من النساء المصابات لو كانت هناك نساء منقذات، ولربما كان التعامل مع أثر الكيماوي على أجساد النساء سيكون أسرع وأكثر فعالية. وبنفس الوقت كانت ستموت الكثيرات من المنقذات خلال قيامهن بعمليات الإنقاذ، كما ذكر أحد الناجين أنّ أخته توفّيت وهي تساعد وتنقذ الناس نتيجة استنشاقها لكمية كبيرة من غاز السارين. ولو كان المجتمع أقل محافظة من ناحية العادات والتقاليد التمييزية المتعلقة بالنساء، لربما تصرف بعض الرجال المنقذين براحة أكبر ونزعوا الثياب عن أجساد النساء لتخفيف تعرّضهن لغاز السارين ورشوها بالماء بعد خلع الثياب كما فعلوا مع الرجال

كان هذا العيب المجتمعي المرتبط بالتعامل مع أجساد النساء عائقا في انقاذ النساء وإسعافهنّ حتى أمام الكوادر الطبيّة، كما يقول الدكتور خليل الأسمر في شهادته في تقرير "الاعتياد الجديد: الهجمات الكيماوية المستمرة في سوريا" بأنّ عدم وجود خصوصية للتعامل مع النساء في ظلّ الأعداد الكبيرة التي كانت تصل للنقاط الطبيّة ولزوم التعامل السريع والفعّال معها جميعا، قد شكّل ارباكاً للكوادر الطبيّة،[51] ارباكاً قد يكون أثّر في إنقاذ الكثيرات من النساء المصابات.

[51] A New Normal: Ongoing Chemical Attacks in Syria, SAMS, February 2016.

وبالطبع نجد أنّ العادات المجتمعية التمييزية ضد النساء قد لعبت دوراً سلبيا في الإنقاذ والإسعاف. لكن هذه العادات والأعراف لها جذورها في المجتمع وأسسه وقوانينه وسياسته قبل بدء الثورة وحالة الحرب، إنّما تتفجّر وتتفاقم في حالات النزاع تاركة الأثر الأكبر على الفئات المهمشة مسبقا والتي منها النساء، وهذا يؤكّد على مدى اختلاف أثر الجرائم على النساء والرجال في أوقات السلم والحرب.[52] ونؤشر أنّ هذه العادات والمفاهيم التميزيّة كانت عنيفة حتّى على المنقذين، الذين مازال بعضهم يعيش في ذنب حول إنقاذ النساء بشكل خاص في تلك الليلة، هل كان يجب أن نتصرف بطريقة مختلفة مع النساء؟ هل كان بالإمكان أن ننقذ نساء أكثر؟ هل كان بالإمكان أن تموت نساء أقل؟

لكن نحن نريد هنا أن نعيد صياغة هذه الأسئلة بما يتعلق بإنقاذ النساء على الشكل التالي:

لو لم يستخدم النظام السوري وقواته الأسلحة الكيماوية على أهالي الغوطة الشرقية هل كان سيموت نساء أقل؟ بالطبع نعم

لو لم تحاصر قوّات النظام السوري المنطقة وتعتقل أبناءها وبناتها هل كان سيموت نساء أقل؟ بالطبع نعم

لو لم تكن تستخدم القصف الجوي والمدفعي وتمطر الغوطة بعد استخدامها للسلاح الكيميائي، بالقذائف، هل كان سيموت نساء أقل؟ بالطبع نعم

لو كان هناك مجتمع دولي يستطيع إيقاف حكومة من ضرب سلاح كيميائي أو عادي على الشعب، هل كان سيموت نساء أقل؟ بالطبع نعم

ونقصد بالتذكير بهذه الأسئلة، أن نؤكد على الصورة الأكبر لأسباب موت النساء وهي وحشيّة تعامل النظام السوري مع شعبه، وتخاذل المجتمع الدولي في منعه من القيام بهذه الجرائم. لكن من واجبنا أن نسلط الضوء أيضاً على أنّ موقعيّة النساء في المجتمع والعادات والتقاليد التمييزية ضدهنّ تؤثر على نجاتهنّ في كل تفصيل من تفاصيل الحياة اليوميّة في الحروب والجرائم وبشكل مضخّم عمّا كانت عليه أصلاً في أوقات السلم.

[52] ننصح أيضاً بقراءة مقالة "نظرة جندريّة على مجازر الكيماوي في سوريا" للباحثة فرح يوسف، مبادرة الإصلاح العربي، 28 آب 2023.

لحظات الجريمة الأولى وآثارها بلسان المسعفات والمسعفين

أدوار الإنقاذ والإسعاف متداخلة كما ذكرنا سابقا، لكن الإسعاف فيما حدث في تلك اللحظات من وقوع الجريمة يعني أن تحمل الشخصيّات المسعفة إبر الأتروبين وأجهزة الأكسجين في سيّارات الإسعاف، وأن يكون لديها نفس المعدّات في أماكن تواجد المصابات والمصابين في النقاط الطبيّة والمدارس والجوامع. وليس من الضروري أن تكون الشخصيات مدرّبة، لأن كم الإصابات كان يحتاج لأيّ يد تستطيع أن تعطي إبرة أو تركب قناع الأوكسجين، وأي عقل وجسد لم يكن قد أصيب بشكل كبير بعد بغاز السارين ويستطيع المساعدة.

ما حدث مع النساء المسعفات وكيفية إسعاف النساء

لم نستطع الوصول إلى نساء مسعفات من نفس منطقة زملكا، لكن قمنا بمقابلة مسعفتين، ناجيتين: بيسان، ممرضة في منطقة حرستا[53] وذهبت للإسعاف في دوما. وتهامة، ممرضة كانت في منطقة جسرين[54] وأسعفت في مدرسة التطبيقية، ساحة الشهداء، ما بين منطقتي جسرين وسقبا.

استيقظت بيسان على أصوات سيارات الإسعاف الساعة 2:00 صباحاً، طرق ممرض زميل لها باب البيت وطلب منها أن ترتدي ثيابها بسرعة وأن تنضم له، فسألته عما يحدث فقال لها أنّ قوّات النظام السوري قد ضربت غازاً كيميائياً على مناطق سكّانية في الغوطة" ونحنا بوقتا ما كنا نعرف يعني شو كيماوي" لبست ثيابها وودعت أمّها التي دعت لها بالتوفيق. ركبت في سيارة إسعاف فيها زميلها الممرض، وامرأتين لا تعرفهما وشابين آخرين، وانطلقوا إلى مدرسة كبيرة في دوما تم نقل الكثيرات والكثيرين من الناس المصابة إليها. سألت بيسان عن الإجراءات فلا خبرة لديها بالتعامل مع الإسعافات الخاصة بغاز كيميائي، فكانت التوجيهات الوحيدة التي تلقتها وزملاؤها "أنت والصبايا افتحوا أوردة وعطوا اتروبين."

أمّا تهامة، التي كان والداها يعملان في المجال الطبي، فقد نزل والدها الطبيب إلى الشارع ليرى ما يحدث بعد أن استيقظوا جميعاً في منطقة جسرين على أصوات الناس حوالي الساعة 2:00 صباحاً. عاد ليقول لها أن تجهّز نفسها وأمها بسرعة، فقوّات النظام السوري قد ضربت غازا كيميائيا على السّكان "قلتلو أنا بالبيجاما، قالي البسي المريول فوق البيجاما إنت وأمك. "ذهبت تهامة مع والدها إلى منطقة سقبا، بينما طلب والدها من شاب لديه دراجة نارية أن يأخذ أمّها الممرضة إلى منطقة جسرين

هذا التخطيط والتنظيم العفوي والموجّه حصل تلقائيا من قبل المسعفات والمسعفين والكادر الطبي، دون أيّ تدريب مسبق حول كيفية علاج ناس مصابة بغاز كيميائي. **على الجميع المشاركة في هذه الكارثة الإنسانية، وخاصة النساء ممن لديهنّ القدرة على الإسعاف وهنّ قلائل، مقابل عدد كبير من النساء المصابات في كثير من المناطق في الغوطة الشرقيّة. لذلك كان التوجّه إلى المناطق الأقرب لهنّ هو الأولوية، كي يصلن بسرعة إلى المصابات والمصابين لربما استطعن إنقاذ البعض.**تشرح بيسان عن طريقة الإسعاف **أنّه كان يتم غسل النساء بالماء في ساحة المدرسة، وهنّ مرتديات لثيابهنّ التي كانت ثياب نوم صيفية أحيانا أو البعض كنّ قد ارتدين ثيابهنّ قبل أن يفقدن الوعي، ثم يتم ادخالهنّ إلى غرف الصفوف، فتقوم الممرضات بنزع الثياب عنهنّ لتخفيف أثر الغاز الكيميائي عليهنّ، ثم يقمن بإعطائهنّ إبر الأتروبين والأوكسجين حسب درجة الإصابة والأعراض، ثم**

[53] بيسان، العمر 32 سنة، متزوجة ولديها ثلاثة أطفال، تهجّرت قسرياً إلى إدلب عام 2018. عملت كممرضة منذ عام 2012 في منطقة الغوطة بسبب الحاجة لنساء ممرضات نتيجة الإصابات اليومية الكثيرة، وتعمل الآن في منظمة إنسانية في الشمال السوري.

[54] تهامة، العمر 34 سنة، انتقلت من الدراسة الجامعية إلى التمريض عام 2012 نتيجة النقص الشديد في الكوادر الطبية النسائية، وتدربت أكاديميا على التمريض مع منظمة الهلال الأحمر عندما كانت لا تزال موجودة في منطقة الغوطة الشرقيّة. تهجّرت قسرياً عام 2018 إلى الشمال السوري، ثم انتقلت وابنتها إلى تركيا ثمّ إلى فرنسا عام 2019.

تتم تغطيتهنّ بثياب غير ملوّثة، قد تم جمعها من قبل الناس بعد أن نادت الجوامع طلبا للثياب من الجميع. برأي بيسان، عدم إزالة ثياب النساء قبل الرشّ بالماء، قد زاد من إصابتهنّ، فالغاز متغلغل بالثياب. وتضيف أنهنّ الممرضات أيضاً تعرضن للإصابة ليس عن طريق الاستنشاق، بل عن طريق اللمس للثياب. "رجعت عالبيت كنت دايخة والرؤية عندي كتير مغبشة. قلت لماما حاسة منصابة، فاطلعت امي على عيني وقالتلي كل بؤبؤ عينك الأسود مانو مبين. فأنا أصبت من ملابس النساء المصابة. لهيك كانت فرصة نجاة الرجال المصابين برأيي أكثر من النساء بهداك الوقت."

تضيف بيسان، أنّ كادر الإسعاف النسائي كان قليل، وكنّ بحاجة لمساعدة الرجال، وقد تمّ ذلك أحيانا بينما امتنع البعض عن المساعدة حتّى تتم تغطية النساء قبل اسعافها "حتى كادر النساء بالإسعاف كان كتير قليل، هلق كان في رجال يساعدونا بس مو بنسبة عالية، كانوا مشغولين بإصابات الرجال كمان. نحنا بتذكر يوميتا كان في وحدة لابسة كتير شي خفيف ففات الممرض ورجع قلنا حطوا عليها شي ورجعوا نادولي. ومافينا ننكر إنّو قصة رجال ونساء كانت موجودة، يعني ما بعرف شو السبب الرئيسي... ممكن كمان لانو كان في تصوير، فيغطوا النساء، يعني كمجتمعات وعادات وتقاليد أكيد لعب دور"

تتحدث تهامة عن الوضع عند دخولها إلى المدرسة في منطقة سقبا وتصفه بيوم القيامة أيضا. جثث في كلّ مكان، أنابيب المياه، أطفال ضائعة تبحث عن أهلها، أهالي تبحث عن أطفالها. تم نقل النساء إلى الساحة الخلفية للمدرسة، وكان الكادر الإسعافي النسائي حوالي عشرة نساء، بعضهنّ ممرضات والأخريّات مارسن التمريض في تلك اللحظة لإنقاذ الناس. "كم وحدة زميلاتي وكم وحدة ما بعرفن، في نساء عندهن شوية خبرة وفي منهن ما كانوا مؤهلات، بس يعني كان الموقف ايا حدا عم يحاول ينقذ أي حدا، بس إعطاء الاتروبين بدو عيارات معينة وعالوزن بس كانت حالة شلل بهداك الوقت ف(صمت) ماحدا ممكن يتم لومه، يعني أيا حدا بيعرف يضرب ابرة بهداك الوقت كان بحس بالمسؤولية تجاه هي الناس."تصف تهامة المشهد الإسعافي بدقّة، وكيف ولد التنظيم الذاتي في تلك اللحظات من خبرة الناس المؤسفة في الإسعاف بسبب القصف اليومي، وبسبب رغبة الناس بإنقاذ أكبر قدر ممكن ولو تمت إصابتهم هم. **تقول تهامة أنّ بعد منطقة سقبا نسبيًا عن المنطقة المستهدفة، قد يكون أعطى مجالا للتنظيم ولو بسيط، وأنّ وجود كادر نسائي طبي جيد العدد، وجود مسعفة بجانب الأطباء الرجال عند علاج النساء، وتفريغ الساحة الخلفية لتكون للنساء فقط، قد ساهم في إعطاء خصوصيّة للنساء المصابات، حيث استطاعت المسعفات خلع الثياب المليئة بالغاز الكيميائي عن أجساد المصابات لتخفيف أثره، القيام بالإسعافات اللازمة، ثم تغطيتهنّ بالثياب والأغطية التي كان الناس يأتون بها إلى المدرسة.**

تتذكر تهامة بنفس الوقت الفوضى، وقلّة المواد الطبيّة ومواد التعقيم "نحن تقريباً وصلنا عالمدرسة الساعة 3:00 صباحاً فالمنقذين يجيبوا المصابين بأي وسيلة نقل ويحطوهون بالساحة ونحنا نأسعف المصابين. وكان في نوع

[54] القسطار الأصفر: أنبوب مجوف بلاستيكي أو معدني يتم وضعه في القناة الصفراوية لتساعد في إبقاء القناة الصفراوية مفتوحة بعد انسدادها جزئياً أو كلياً مما يسمح في استمرار تدفق السوائل مثل الصفراء عبر القناة الصفراوية وصولاً إلى الأمعاء للمساعدة في الهضم.

[56] القسطرة الوريدية: هي استخدام القسطار للوصول لمجرى دم المريض/ة عن طريق الأوردة. وهي إحدى العمليات الشائعة جداً والأساسية في تقديم الرعاية الطبية للمرضى.

[57] صكشن: كلمة من اللغة الإنكليزية وتعني الشفط الطبي وهو يستخدم لتصفية المجرى الهوائي من الدم، أو اللعاب، أو القيء، أو أي افرازات أخرى حتى يتمكن المريض من التنفس وشرحتها بيسان بعد سؤالنا عنها كما يلي: "أنبوب بلاستيكي تسحب إفرازات الجسم لما تدخل بقلب الأنف بخلي المريضة تتنفس، لأنو ما فيهون يتحركو نتيجة غاز الأعصاب، ما بيحسنوا يتنفسوا فيطالعوا هي الإفرازات لبرى لإن هنن يحالوا يتنفسوا بس عضلات جسمن كلا تشنجت ووجه النساء كان أزرق."

بسيـط من التنظيـم بحكـم انـو نحنـا أبعـد من بـاقي المنـاطق عن مـكان الضـربة، يـعني إنـه عمبحاولـوا ينقلـوا النسـاء والأطفـال عالبـاحة الخـلفية، البـاقي من الرجـال كانـوا ينحطـوا بالسـاحة الكبيـرة، السـاحة كانت مليـانة نـاس بـالأرض والأرض كلهـا مبلـولة مي، الاسـعافات عشـوائية جـدا كانت يـعني شبـاب عـم تشيـل تيـاب النـاس، شبـاب عـم تحـاول تعطيـهن ابـر اتـروبين، شبـاب عـم تعطيـهن اتـروبين استنشـاقي، والنسـاء بالطـرف الآخـر، عـم تسـاعد الممرضـات بشيـل تيـاب النسـاء، الـلي وعيـانة نعـملا اسـعافات والـلي مـو وعيـانة نحـاول نصحيهـا أو نشيـل تيابهـا ونغطيهـا ونطـلب من الدكاتـرة يجـو ياخـدوا إجراءاتـهن، لأن نحنـا بـس منعمـل الاسـعاف الأولي كممرضـات. كانت فوضـى عـارمة بهـداك الظـرف حتـى التعقيـم متـل مـا خبرتـك، كل شي بـالأرض، نمسـح الإبـر بالمراييـل، الـلي لقـى كحـول يعقـم بـس الـلي مـا لقى(صـمت) كان الوضـع كارثي ومـا كان في كهربـا. كانـوا جـايبين الشبـاب مولـدة صغيـرة وموصـولين عليهـا بـس 3 أجـهزة استنشـاق أوكـسجين بـكل المـدرسة (ماعـاد اتذكـر 3 أو 2) يـعني كان في شـوية تنظيـم بـهي نقـطة الإسـعاف التي ليـست صالـحة للإسـعاف. فعليـا أي مـكان كان ممـكن يتسـع للأشخـاص بالغـوطة، تحـول لنقـطة إسـعاف سـواء كان مؤهـل أم غيـر مؤهـل، جـاهز أو غيـر جـاهز لأنـو حجـم الإصـابة كان أكبـر من أن تستوعبـه النقـاط الـطبيّة الموجـودة، كل المنـاطق الـلي حـوالي زملـكا كانت مستنفـرة وعـم تأسـعف بـدون استثنـاء."

بعـد القيـام بـهذه الإسـعافات الأولية، تقـول تهـامة، أنّ من تـوفيّن من النسـاء تـمّ أخذهنّ إلـى المـدافن، ومن لـم تستعـد الـوعي أو تتجـاوب مـع الإسـعافات الأولية، كانت تُنقـل إلـى مشفـى التوليـد المجـاور للمـدرسة وذلـك في حـال توفـرت سيّـارة إسـعاف وتوفّـر مـكان هنـاك في المشفـى. ومن تحـسنت حالتهـا يطلبـون منهـا الخـروج إن استطـاعت أو يتـم نقلها إلـى أمـاكن استشفـاء.

بيسـان تعـرضت للإصـابة وتـمّ علاجهـا بإبـر الأتـروبين، بينمـا تهـامة كانت إصابتهـا أخف وتـم علاجهـا بالمـاء فقـط، كلتاهمـا أكملتـا العمـل حتـى سـاعات الصبـاح المتأخـرة. كلتاهمـا وصفتـا سـوء حالتهمـا النفسيّة عنـد رؤية النـاس المصـابة وكيف كانتـا قـريبتين من الانهيـار النفـسي من هـول مـا رأتـا. لـكنّ جمـل التشجيـع من الأطبـاء، وشـعورهما بالمـسؤولية قـد دفعتهمـا للاستمـرار بالإسـعاف لسـاعات طويـلة علـى الرغـم من إصابتهمـا وتعبهمـا. تقـول بيسـان عن صدمتهـا "من الخـوف ومن هـول المنظـر إقعـد إبـكي، والممـرضة إللـي مـعي تقـلي شبـك؟ قلا مـا عـم بحـسن. وقتـا إجـا دكتـور قـلي إنت ليش مـا عـم تشتغـلي! بتذكـر ماعـاد طلـع مـعي الـكلام، مصـدومة... يـعني صف كامـل بـس أطفـال صغيـرة.. بتذكـر طفـل عـم يطلـع بأمـه وهي عـم تختنق، عمـرو شي 3 سنين، عـم يحاولـوا يطلعـوا الزبـد من تما وهـوي عـم يطلـع بأمـه ويقـول يالـطيف ماما يالـطيف، أنـا لهـلق هـاد المنظـر مابـروح من بـالي. فقـلي الدكتـور: كل العالـم المصفـوفين هـون أمـانة برقبتنـا هـلق مـو وقت الصـدمة فصـار عنـدي طـاقة وقـوة وبـلشت إفتـح أوردة"

وكذلـك الأمـر بالنـسبة لتهـامة، التي زادت صدمتهـا بعـد وفـاة أول امـرأة مصـابة حـاولت إنقاذهـا "وصلنـا علـى بـاب المـدرسة وبـراسي الكلمتين الـلي قـلي اياهن بابـا: خليـكي قـوية متـل مـا انتي وأوعـك تنهاري! لأن الوضـع كان متـل يـوم القيـامة، العالـم بـالأراضي، بـرابيش المي، طـرود الكـولا، وهالقصـص... أطفـال ضايـعة... يـعني مشـهد كتيـر بشـع. أنـا وقفت للـحظة بـس شفت هيـك، كنت حإنهـار بـس استجمـعت قـوتي، أول مـا فتت فـكانت في حجّة (امـرأة كبيـرة في العمـر) بـالأرض وعـم يطلـع زبـد من تمهـا، دورت بـدي لاقي أتـروبين، مـالقيت (تلبـك) وكأني ماعـدت شفت بعيـوني... وللأسف تـوفت (صـمت) فهـون كانت لـحظة كتيـر صـعبة انـه أول وحـدة توجـهت أنقذهـا.. ماقـدرت وتـوفت، بـس استجمـعت قـوتي وحـسيت للـحظة إنـو مـافي غيـري"

صورة لنساء مصابات موجودات في أحد مساجد دوما في 21 آب 2013، رويترز.

ما حدث مع الرجال المسعفين وكيفيّة إسعاف الرجال

لـم يـكن حـال الإسـعاف وحـال المسـعفين الرجـال أفضـل منـه عنـد المسـعفات، بـل معظمهـم كانـوا يقومـون بالإنقـاذ والإسـعاف معـاً. اختـلفت حـال من كانـوا من المسـعفين في منـطقة زملـكا بحـسب قربهـم وبعدهـم عن الصـواريخ المتسـاقطة بغازاتها الكيمـاوية. أبـو صخـر،[58] منـطقة زملـكا كان الأقـل حظـاً، حيث سقـطت الصـواريخ بالقـرب منـه، وكان يعـاني من الربـو. حـاول انقـاذ البـعض من أفـراد عائلتـه قبـل أن يفقـد الـوعي، وتـوفيّت أختـه وأصيبت كلّ العائـلة

"بـلشت اختنق، أنـا مـعي ربـو، والصـواريخ الي ضربوهـا مـا انفجـرت، أو هيـك فكـرت، ووقتـا كنت بـدي روح جيب إختي لأنها عـايشة بـمزرعة، فسـمعت العالـم بـلشت تقـول كيمـاوي، فـرحت عالـمزرعة جيب إختي، قـلتلا فـوتي البـسي، ماخلـصت كلـمتي كان نـازل علينـا 3 صـواريخ بـرؤس كيمـاوية. انبطـحت بـالأرض عالسـريع، إجـى قـريب مني وبـلش يـدخن وينفـس لـون أصفـر بعـدين أبيض بعـدين نـار عالسـريع. أخـدت أختي وبيت سـلفا واللـي قدرنـا عبيتـهن بالسيـارة وطلعنـا بـس كنـا محاصـرين بالكيمـاوي. المنـطقة هية بـرات البلـد، تحاصرنـا بالصـواريخ، بعـدين اختي صـارت تقـول: قـلبي، قـلبي واستشـهدت. واستشـهد عالـم كتيـر، بيت سـلفا لأختي وقـرايبين زوجهـا بهـداك اليـوم. أنـا وصـلت لنـص الطـريق وأغـمي عـليي. ووقـعت بـالأرض يومتـا. مـع إني وقعـان بـالارض بـس عـم شـوف النسـوان والاولاد بالشـوارع بـالارض، صـرت قـول للعالـم في نسـوان وولاد متصـاوبين مشـان يسـعفوهن ووقتـا أسـعفونا كلياتنـا وأخدونـا ع دومـا، أخدونـا عالمـدارس وبعـدا عالمشـافي وبعـدا مـا عـاد عـرفت لـوين"

أبـو فـارس من منـطقة زملـكا المصـابة، كان مـسؤولا عن نقـطة طبيّة في منـطقة جوبـر وعن نقـطة استشفـاء في منـطقة بيت نايـم، تـمّ إخبـاره عن طـريق جهـاز اللاسـلكي بأن يأخذ سيـارة الإسـعاف الإحتيـاطية مـع كادر طبّي، وإبـر أتـروبين وأقنـعة قمـاشية، والتوجـه إلـى منـطقة زملـكا. استخـدم أبـو فـارس هذه الإبـر لإنقـاذ الكثيـر من النـاس وأيضـاً لإنقـاذ نفسـه والـكادر الـطبّي وليستمـروا بالمهـمّة. يقـول أبـو فـارس

"كنـا نتواصـل نحنـا الكـوادر الـطبية باللاسـلكي، فتواصلـوا معنـا وقالـوا اتوجهـوا علـى المنـطقة وخـدوا معـكن كل الكـوادر وجيبـوا أقنـعة وأبـر. وكان عنـا سيـارة إسـعاف احتيـاطيّة، فتنـا علـى زملـكا السـاعة 2:15 الصبـح، كانت في حـركة مخيفة، هستيـرية... النـاس عـم تـركض بطـريقة غـريبة. انصدمنـا... كان في جثث بالشـوارع، فهـون أنـو لازم نتعامـل مـع الوضـع، أول شي، سـكرت كل منافـس الهـواء بالسيـارة، كان في عنـدي قنـاع قمـاش، ربـطت الـكنزة الي لابسـا فـوق القنـاع. وهـون بلشنـا نأخذ تعليمـات لـوين نـروح وكيف نسـاعد. فادتنـا الأقنـعة، وكنـا عـم ناخـد أتـروبين فاستفدنـا كمـان. أنـا من النـوع الي كنت آخذ احتياطـاتي مـع هيـك انـصبت بـس بشـكل خفيف."

[58] أبـو صخـر، العمـر 36 سنة، من منـطقة زملـكا، كان مسـعفا، أسـعف وأنقذ في ليـلة الجريـمة وأصيب. بقي في الغـوطة الشـرقية حتـى تـمّ تهجيـره قسـرياً عـام 2018 إلـى الشـمال السـوري، وهـو متزوج ولديـه 3 من الأطفـال. يعـاني حاليـا من مشـاكل في التنفـس وتشنج رئـوي حـاد.

يـصف أبـو فـارس[59] الوضـع بالـكارثي بالنـسبة للنـاس وللكـوادر الـطبيّة، ويذكـر وفـاة كادر طبي كامـل في إحـدى النقـاط الـطبيّة في منـطقة زملـكا تأثـرا بالغـاز الكيميـائي استنشـاقاً وملامـسة. استطـاع أبـو فـارس وكادره القليـل عدديـاً أن يقومـوا بثلاث نقلات إسـعاف بين منـطقتي زملـكا ومشفـى الإحسـان في منـطقة حمّـورية واستمـروا بالإسـعاف حتـى السـاعة السـادسة صباحـاً. يقـول أبـو فـارس أنّ كل المشـافي الميـدانية كانت في الأقبية، لذلـك كان من الصـعب والخـطأ وضـع المصـابين هنـاك "غـاز السـارين ثقيـل وبينزل علـى الأرض والطـوابق السـفلية" لذلـك كانـوا يقومـون بـصفّ المصـابين علـى الأرصفة، رشّـهم بالميـاه، ومحـاولة إسـعاف من يمـكن إسـعافه "أنـا شـلت عشـرات القتلـى، كنـا نحـطن عالـرصيف مشـان نخفف عبء عن المشفـى ومـا نحطـون بـالأقبية ,حتـى كان في كادر بالمشفـى مـات لأن اتأثـر من ملامـسة المصـابين. بزملـكا كانت العالـم بـالأرض، نـرش مي عليهـم، والـلي بحالفـه الـحظ يقعـد علـى منفسة الأوكـسجين، والـلي لاء كان يمـوت. "أصيب أبـو فـارس، علـى الرغـم من احتياطاتـه، حيث ظهـرت عليـه عـوارض عـدم القـدرة علـى الـرؤية، ضيق نفـس وهذيـان، لذلـك توجـه إلـى مزرعة في منـطقة بيت نايـم، واستلقـى نائمـا حتـى السـاعة الثـانية ظهـرا.

أمّـا أبـو بكـر، فقـد كان مـع أصدقائـه علـى سـطح نقـطة إخلاء قـريبة من مشفـى كـوين في منـطقة عين ترمـا. كانـوا علـى السـطح في محـاولة للنـوم في ذلـك الجـو الحـار. سـمع ورفاقـه بين السـاعة 2:00 والسـاعة 2:15 أصـوات النـاس تنـادي، ثـم اتصـل الراصـد وأخبرهـم بخـروج ستة إلـى سبـعة صـواريخ من جـهة جبـل قاسيـون وبصـوت غـريب "صـوت في غبّة، متـل لمـا تزتي بـطيخة ببحـرة مي". يذكـر أبـو بكـر أن فـرق الإنقـاذ بـدأت بالذهـاب إلـى منـطقة زملـكا دون أن يعـود منهـا أحـد... "وبـلشت فـرق الإنقـاذ تـروح ومـا حـدا يرجـع منهـا، [صـمت] انـا بعـرف فـرق راحت وماحـدا رجـع منهـا أبـداً كلو تصـاوب."

انضـم أبـو بكـر إلـى فـرق الإنقـاذ وذهبـوا إلـى زملـكا. يـصف أبـو بكـر مشـهد النـاس عندمـا دخـل إلـى منـطقة زملـكا في أول مـرة " كان متـل مـدينة زومبي، العالـم عـم تـمشي بالشـوارع والزبـد عـم يطلـع من تمهـا، هـدول اللـي كانـوا صحيـانين وانصابـوا ونزلـوا عالشـارع..."

قـام بإخلاء العديـد من النـاس من بيوتهـا، من الشـوارع، تقديـم إسـعافات أولية، ونقلهـا إلـى منـطقة دومـا، قـام بذلـك مـرتين، ولـم يستطـع الاستمـرار ورفاقـه بـسبب إصابتهـم. ارتاحـوا قـليلاً وعنـد السـاعة السـابعة صباحـاً انضمـوا إلـى المجموعـات التي تسـاعد بـدفن الموتـى.

"يـعني كان شي جديـد مـا كنـا عرفـانين شـو ممكن نتصـرف، يـعني شـو طالـع بايدنـا نعمـل؟ يـعني نوصـل عالمشفـى إبـر الأتـروبين ماضـل، مـا عنـا غيـر الحـل البـدائي، يضـل الأوكـسجين والميـاه فقـط لا غيـر، يـعني هـاد الحـل البـدائي، يـعني الطفـل الرضيـع مـا بيتحمـل، يـعني قـدي رئتينـو، ولا شي شـو بـدو يتحمـل؟"

[59] أبـو فـارس، العمـر 42 سنة، كان يعمـل بالمونتـاج قبـل الثـورة، وكان من الـمنقذين في ليـلة الجريـمة وقبلهـا وبعدهـا. بقي في الغـوطة الشـرقية حتـى تـمّ تهجيـره قسـرياً عـام 2018 إلـى الشـمال السـوري، وهـو مقيـم حاليـا في تركيـا. متزوج ولديـه 2 من الأطفـال، حاليـا عضـو في إحـدى روابـط ضحايـا الكيمـاوي.

أصيب أبـو بكـر بالغـاز الكيميـائي، بـدأ يحـس بضيق في صـدره، عـدم قـدرة علـى التنفـس، حسـاسية في الأنف. يـصف حالـه بكلماتـه "صـدري صـار يوجـعني ومـا إحـسن إتنفـس، صـار عنـدي متـل حسـاسية بأنفي، وجـع بصـدري يـعني دايق خـلقي كتيـر كتيـر، شـوب وعيـوني يحرقـوني. إجـى شب عطـاني إبـرة كيمـاوي، نحنـا منقلهـا ابـرة كيمـاوي، يـعني إتـروبين أو ادرينـالين، هنن التنتين نفـس الشي، تسـرعوا ضربـات قـلبي، رجفة، بـرودة بالأطـراف، آخـد اتـروبين، غسـل وجـهي مثلاً، بعـدين هـديت شـوي، ريـح شـوي بعـدين اشـرب مي. في أشخـاص مثلاً صـار مـعن إقيـاء أو يطلـع الزبـد من تـمن، في منهـون نجـو وفي أشخـاص مـا اتحمـلت، أنـا مثلاً مـا حـسنت صـارت مـعي رجفة كتيـر كتيـر قـوية، لحتـى عطـوني الابـرة وهـديت وغسـلت وجـهي، شـلون مـاكان بـس الواحـد يغسـل وجهـو، واقعـد عجنب بـس لإهـدى، وضـل ديق النفـس موجـود يـعني مـا أحـسن أخـد نفـس بشـكل كامـل، بـس بـدي اتنفـس مـا قـادر، خنقة مخنـوق".

هذا كان حـال بـعض المسـعفات والمسـعفين، وهذا كان حـال معظـم الكـوادر الـطبيّة والإسـعافية في كل المنـطقة بحـسب بـعض التقاريـر التي تـم نشـرها من جهـات طبيّة عن الهجمـات الكيمـاوية لاحقـا. مـات العديـد من أفـراد الكـوادر الـطبيّة أثنـاء الإسـعاف، وتأثـر وأصيب البـعض الآخـر نتيجة الاستنشـاق المباشـر أو الملامسة للمصابين والمصابات.[60] استطاعـوا واستطـعن بمـواد طبيّة قليـلة، ومعـدّات بسيـطة أن ينقذوا حيـاة الكثيـرات والكثيـرين. **علـى الرغـم من حصـول بـعض الهجمـات بالغـازات الكيمـاوية سـابقاً من قبـل قـوّات النظـام السـوري علـى المنـطقة وخـاصة علـى الجبهـات، إلّا أن استعـداد النقـاط الـطبية وكوادرهـا كان طبعـاً في حـدّه الأدنـى نتيجة الحصـار، انقطـاع المـواد الـطبية والأدوية، والقـصف اليـومي الجـوي والمدفـعي، والعمـل بوضـعية الطـوارئ علـى مـدار 24 سـاعة. إبـر الأتـروبين، الأتـروبين الاستنشـاقي، الأوكـسجين هي إسـعافات أولية قـد تسـاعد علـى تقليـل أعـراض الحـالة.** حتّـى هذه المـواد كانت غيـر متوفـرة في كلّ النقـاط الـطبيّة، وإن توفـرت فعددهـا لـم يـكن كاف، لنقـاط طبيّة متهالـكة المعـدّات والكـوادر ولا تملـك تـرف المسـاحات الواسـعة، استقبـل بعضهـا أكثـر مئـات الإصابـات في لحظـات.[61]

[60] مجزرة تـحيي ذكـرى مجزرة والمـسؤول واحـد؛ هذا هـو حـال الغـوطة الشـرقية اليـوم، أمـس، وربّمـا في الغـد، حنين النقـري، عنب بلـدي، 23 آب 2015.

[61] **بحسب د. زاهر سحلول، الرئيس السابق للجمعية الطبية السورية الأمريكية، "أخبرني أحد الأطباء من عين ترما، الذي يدير مشفى ريفياً يتسع لعشرين مريضاً، بصوت مرتجف أنه استقبل حوالي 700 مريض في غضون ساعات قليلة. وعلى الرغم من الجهود البطولية التي بذلها هو وفريقه الطبي التطوعي طوال تلك الليلة، فقد توفي 141 من مرضاه، بما في ذلك 66 طفلاً. أخبرني طبيب آخر أن العديد منهم وصلوا مصابين بفشل في الجهاز التنفسي - يختنقون ببطء، ويصدرون رغوة ويتشنجون. لم يتمكن من إنقاذ سوى عدد قليل منهم بوضعهم على أجهزة دعم الحياة، مع وصول محدود لأجهزة التنفس الصناعي. اختار إنقاذ أصغرهم، لأن لديهم حياة أطول ليعيشوها. لا ينبغي وضع الأطباء في موقف حيث يتعين عليهم لعب دور الله. في سوريا، حيث الموارد الطبية شحيحة، وحيث غض المجتمع الدولي الطرف إلى حد كبير، يحدث هذا كل يوم". هذا مقطع من تقرير منظمة سامز "A New Normal" ذكر سابقاً.**

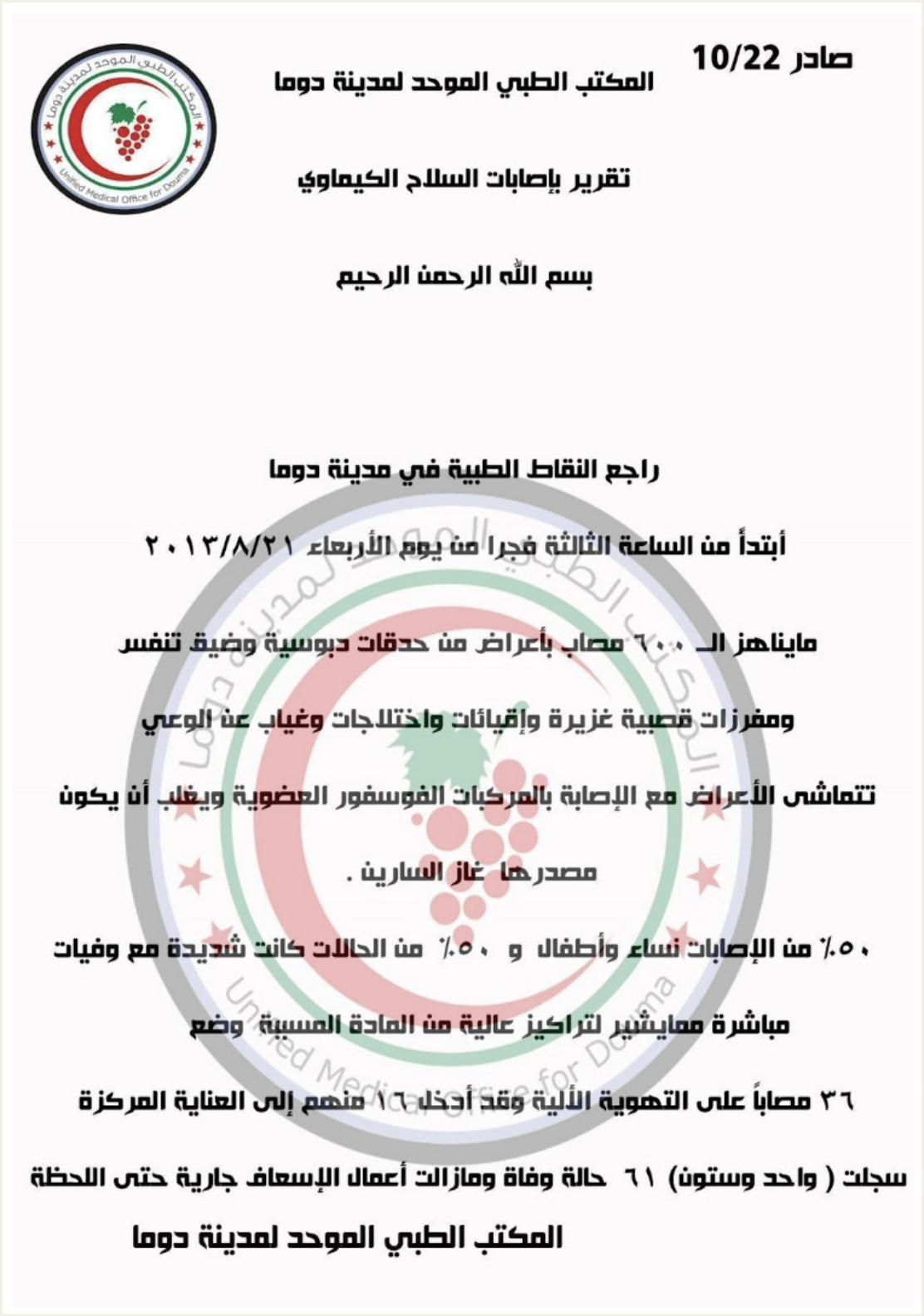
صادر 10/22

المكتب الطبي الموحد لمدينة دوما

تقرير بإصابات السلاح الكيماوي

بسم الله الرحمن الرحيم

راجع النقاط الطبية في مدينة دوما

أبتدأ من الساعة الثالثة فجرا من يوم الأربعاء ٢٠١٣/٨/٢١

ماينا هز الـ ٦٠٠ مصاب بأعراض من حدقات دبوسية وضيق تنفس

ومفرزات قصبية غزيرة وإقيائات واختلاجات وغياب عن الوعي

تتماشى الأعراض مع الإصابة بالمركبات الفوسفور العضوية ويغلب أن يكون

مصدرها غاز السارين .

٥٠٪ من الإصابات نساء وأطفال و ٥٠٪ من الحالات كانت شديدة مع وفيات

مباشرة معايشير لتراكيز عالية من المادة المسببة وضع

٣٦ مصاباً على التهوية الألية وقد أدخل ١٦ منهم إلى العناية المركزة

سجلت (واحد وستون) ٦١ حالة وفاة ومازالت أعمال الإسعاف جارية حتى اللحظة

المكتب الطبي الموحد لمدينة دوما

شارك هذه الوثيقة معنا الدكتور محمد كتّوب، والذي كان في المكتب الطبّي الموحد لمدينة دوما وقت حدوث الجريمة.

الفصل الثالث:

آثار الجريمة على حياة الناس بعد أيام من ارتكابها

تفاصيل التوثيق والدفن ومصير المقابر

في ظـلّ كل هذا الضيـاع والأسـى والتـعب، كان لا بـدّ من دفن من قُتلـوا في هذه الجريـمة. صعـوبة هذه المهـمة لا تقـلّ عما سبقها من مهام إنقـاذ وإسـعاف. تأتي صعوبتها من حجـم المـوت الموجـود، مـوت لا دمـاء فيـه أصـاب الآلاف مـمن كان أكثرهـم وأكثـرهنّ نياما، وخـاصة الأطفـال. تأتي أيضـاً من عـدم القـدرة علـى تـوثيق كلّ الأسـماء، نتيجة تشتت العائـلة الواحـدة في كثيـر من الأمـاكن، أو اسـعاف عائـلة كامـلة إلـى منـطقة بعيـدة لا يعرفهـم فيهـا أحـد، أو إصـابة ذوي الضحايـا وتواجدهـم وتواجـدهنّ في نقـاط إسـعاف مشتتة، وهنـاك الكثيـرات والكثيـرون هـم من خـارج الغـوطة ونزحـوا إليهـا من مناطقهـم المتأثّـرة بالقـصف والاعتقـال، فلا يعرفهـم سـكان المنـطقة جيـداً، وصـاروا من مجهـولي الهـويّة بعـد أن ماتـوا في هذه الـمجزرة كما ذكـر بـعض النسـاء والرجـال خلال المقـابلات. في نفـس الـوقت لـم يـكن متاحـا، وخـاصة بـسبب درجـات الحـرارة العـالية، إبقـاء الجثث ليـوم أو أيّـام أخـرى للتعـرف علـى المجهـول منهـا، فرائـحة المـوت بـدأت تخـرج من الجثث.

صـوّر الموثقـون الجثث، ووضعـوا عليهـا أرقاماً. وأخذت النـاس -من عـاش منهـا- تبـحث بين الصـور لتـرى إن كان أهلها وأطفالها وذويها في هذه الصـور أم لا. من تـمّ التعـرف عليهـم وعليـهنّ، سجّـلت أسـماءهم وأسـماءهن المـكاتب الإعلاميّة والتنسيقيـات في منـطقة زملكا وبـاقي المنـاطق. أمّـا من لـم يتـم التعـرف عليهـا أو عليـه، وضِـعت عليهـم أرقامـا وماتـوا مجهـولي ومجهـولات الهـويّة.

"ضلينـا نسـعف للسـاعة ستة الصبـح فـرحت علـى منـطقة حمـورية علـى نقـطة طبية. قالـولي إنـو في شـهداء إذا بـدك تفـوت تشـوف وعليهـم أرقـام. ففتت لقيت أبي منن وفي لزقة علـى جبينـو رقمهـا 91 قلتلـو هـاد والـدي... وسألني عن البقايـا قلتلو أي بعـرفن، فسـميت أكتـر من شخـص، بـس لمـا إجـاني الخبـر التـاني إنـو استشـهد أخي اللـي كان عالجبـهة... [صـمت] وبعـدين قالـولي إنـو ولاد أخـوك مفقـودين، وهنن أبـوهن معتقـل وفي عنـدو ولـد عمـرو سنة ونـص اللـه يرحمـو، وكمـان أبـوه توفـى بالمعتقـل بـسنة 2016. فهـون تـركت الإسـعافات وفتـلت الغـوطة شي 140 مـرة لحتـى دور عليـهن، فلقينـاهن كلن ميتين، ولاد أخي وكل البيت كانـوا شي 25 شخـص دفنـاهن ودفنـا أخي. وطبعـاً كانت والـدتي بمنـطقة ومـرتي بمنـطقة يـعني متـل يـوم القيـامة هـداك اليـوم" (أبـو أحمـد)

لذلـك يقـول معظـم من قابلناهـم وقابلنـاهنّ أن الأعـداد التي تـمّ تداولها إعلاميًـا، 1400 أو 1500 قـد لا تمثـل عـدد الوفيّـات الفعـلي، فقـد تـمّ دفن الكثيـرات والكثيـرين بهـويّة مجهـولة، واكتشـاف المزيـد من الضحايـا في الأيـام اللاحقة للجريـمة.[62]

[62] "بروكسـل، 24 أغسـطس/آب 2013 ـ أفـادت ثلاثة مستشفيـات في محـافظة دمشق السـورية تدعمهـا المنظـمة الإنسـانية الـطبية الـدولية أطبـاء بلا حـدود لمنظـمة أطبـاء بلا حـدود بأنهـا استقبـلت نحـو 3600 مـريض يعانـون من أعـراض التسـمم العـصبي في أقـل من ثلاث سـاعات صبـاح يـوم الأربعـاء 21 أغسـطس/آب 2013. ومن بين هؤلاء المرضـى، تـوفي 355 مريضـاً.

صورة لرجل يحمل جثة طفل ميت نتيجة الهجوم الكيميائي من قبل قوّات النظام السوري، 21، آب، 2013، دوما، بسام خبيّة، رويترز.

كانت فظاعة حالة الفقد وعدم اليقين بعد حدوث الجريمة في الأيام الأولى عند الكثير من الناس عن حال أهاليهم وأطفالهم وأقاربهم وجيرانهم هي العذاب الأكبر. فهناك أشخاص لم تستيقظ إلّا بعد أيّام، فكيف لها ان تعلم أين دُفن أفراد عائلتها وإنّ تمّ التعرف عليهم أم لا قبل الدفن؟ "في ناس مالاقت بعض وفي جثث اندفنت، واتأخرت الناس لسألت عنها. مثلاً فممكن يلاقوهن بتربة معينة وممكن مايعرفوا وينن... وبعد كم شهر العالم رجعت الناس تتأقلم لأن مافي حل تاني. "(فاروق)

أمّا عن طريقة الدفن، فلم يتم وضع معظم الجثث في برّادات المشافي لعدم اتساعها إلّا للقليل. أفاد من قاموا بالدفن ممن قابلناهم، وممّن قابلناهنّ وكانوا على دراية كيف تم دفن أحبائهم وأحبائهن، بأنّ الدفن بمعظمه كان جماعي وبشكل طابقي، أيّ بعد حفر حفرة طوليّة كبيرة. يتم دفن الموتى بجانب بعضهم وليس بشكل منفصل كما تجرى العادة الاجتماعية والدينية، وليس بشكل منفصل من ناحية الجنس أيضاً، فلا قدرة على القيام بذلك مع هذه الأعداد الهائلة وتحت وابل القذائف. وبعد صف الموتى وامتلاء الحفرة، يتم ردم التراب على الجميع ويتم إنزال جثث جديدة فوق القديمة يفصلها عن بعضها التراب... وهكذا. ولذا سموها بمقبرة طابقية[63]. وقليل من العائلات قامت بدفن من فقدت من أحبّائها في مقابر فردية.

وعن أماكن المقابر فقد تم ذكر الكثير من أماكن المقابر الجماعيّة خلال المقابلات، في بساتين سقبا وسميّت بمقبرة الشهداء "صايرة ببساتين سقبا في مقبرة قديمة لأهل البلد وصاروا يدفنوا فيها الشهداء وسميت بمقبرة الشهداء لأن صارت كبيرة والناس صارت تتبرع بأراضي للدفن للشهداء اللي من خارج الغوطة أما ياللي من داخل غوطة يندفنوا بمقابرن. بعد المغرب ما قدرت ساعد أكتر لأن خلصت كل طاقتي كنت حابب ساعد أكتر بس ماقدرت" (أبو فراس)

مقبرة جماعية في عين ترما، تقول أم محمد التي بقيت تبحث عن ابنتها 27 يوما حتى علمت أنه قد تمّ دفنها بمنطقة عين ترما "بنتي ضلت ضايعة 27 يوم عم دور عليها، فزوجي كان عم يشتغل عالسيارة فحكى لواحد بعين ترما إنو عم ندور على بنتنا الضايعة من وقت الكيماوي، فقلو: أنا دافن بنت بعين ترما ما بعرف هيي بنت مين. هاد الشخص وقت دوّر على عيلتو لاقى مرتو ميتة وابنو الشب وبنتي كانت معن، فكرها بنت ابنو، فضما وقلا ياجدو. الله ستر أنو أخدلا صورة قبل دفنها، تاني يوم لاقى بنت ابنو عايشة، ولو ما الصورة ما كنا عرفنا لهلق وينا". (أم محمد)

مقبرة زملكا "ومتل ما منعرف تم دفن الشهداء تبع الكيماوي مباشرة، تم حفر خنادق طولية بالمقبرة وتم دفنن بشكل طابقي لإن العدد كان كتير كبير وشهداء الكيماوي مو بس بمقبرة زملكا بل بكل مقابر الغوطة الشرقية" (حسام)

Brussels, 24 August 2013 - Three hospitals in Syria's Damascus governorate that are supported by the international medical humanitarian organization Médecins Sans Frontières (MSF) have reported to MSF that they received approximately 3,600 patients displaying neurotoxic symptoms in less than three hours on the morning of Wednesday, August 21, 2013. Of those patients, 355 reportedly died.

Thousands suffering neurotoxic symptoms treated in hospitals supported by MSF, Médecins Sans Frontières, 24 August 2013.

[63] "الأجساد التي صفت إلى جانب بعضها البعض في الردهات الطويلة المعتمة. لفت بالأكفان البيضاء أو البطانيات القديمة، لا يظهر منها إلا وجوه مزرقّة ورغوة جمدت على زوايا الأفواه، وأحياناً خيط من الدماء يختلط بالزبد. على الجبين أو على الكفن، كتب رقم، أو اسم، أو كلمة "مجهول". من مقال كتبته المختفية قسرا رزان زيتونة في وصفها لمقابر شهداء وشهيدات الكيماوي بعنوان: عن مجزرة الكيماوي، 21 آب 2013.

وتذكر أم عبيدة التي فقدت ابنتها:

”دفنوهن دفن جماعي بأرض بيت إدريس وراء منشأة النعمان بزملكا، كانوا بدن يعملوها تربة لبيت ادريس فصارت تربة الشهداء وحتى شفت من زمان مقاطع الدفن، وكان دفن جماعي قسم رجال وقسم نساء ومجموعة كبيرة كانت... بنتي مابعرف وين دفنوها... قالولي اندفنت مع العالم هني وحطوها مع سلفها بنفس المقبرة... لهيك كنت روح لهنيك زورها...“

” يعني كانت قبل الثورة عم يقولوا هي **مقبرة زملكا الجديدة** ما كان حدا مدفون فيها فأول عالم هنن إلي استشهدوا بمجزرة الكيماوي اندفنوا فيها وبليلة الكيماوي صاروا يدفنوا العالم بسرعة لإن كان كتير شوب وصاروا يدفنوا العالم“ (يسرى)

نقل جثث الضحايا نتيجة الهجوم الكيميائي، منطقة حمورية، 21. آب. 2013،
بسام خبيّة، رويترز.

دفن جثث الضحايا نتيجة الهجوم الكيميائي، منطقة حمورية، 21. آب. 2013،
بسام خبيّة، رويترز.

أشخاص دُفنت وهي على قيد الحياة

لم تتوقف الفاجعة عند هذا الحد، فللأسف اكتشف البعض ممن أنقذوا وأسعفوا لاحقا، أنّ هناك أرواح تمّ دفنها وهي قد تكون مازالت على قيد الحياة. **هناك أشخاص استرجعت وعيها بعد 24 ساعة، صُدم الجميع بهذه الحالات، فهذا يعني أنّ هناك الكثير ممن دُفنوا قد استيقظوا في القبر، وهنا الهاجس وشعور الذنب الأكبر عند الكثيرين والكثيرات: هل دُفن أحباؤنا أحياء؟** هنا إحدى الحالات التي يتمنى فيها الإنسان موتا فعليا لمن فقدهم، وهي الحالة الوحيدة التي يغدو فيها الموت أرحم من أي سيناريو مرعب آخر قد يكون حصل.

"إجت عيلة بدها تاخد ابنها متصاوب بالكيماوي، يمكن ما ضل غيروا لأنو كنّا عم ندفن باقي العيلة بإيدينا. واحد من يلي عم ندفنهن ونحنا عم ندفنه صحي، صار يتنفس، فايت بغيبوبة يعني صارت في أخطاء طبية للأسف كتير بعرف أشخاص وهنن عم يكفنوهن يرجعوا يتنفسوا...[صمت]" (أبو بكر)

"أنا مثلاً دفنت أخي كان كله لونه أزرق وبعد ما دفنا الجثث ب 15 ساعة، وصلنا خبر إنو ما لازم ندفن حدا قبل 24 ساعة لأن ممكن يكون الشخص عايش بس ماعم يقدر يحكي" (أبو أحمد)

" طبعاً أختي دفناها وعندي ابن إختي كمان، متشنج كلو، عمرو كان سنتين أنا غسلتو، كان راسو ماعم يتحرك بس ايده اليمين أو الشمال لينة.. وهاد الحكي بعد 7 ساعات مو فورا يعني متأكدين أنو متوفي... [صمت]" (أبو محمد)

لم تكن هناك خبرة عند الكوادر الطبيّة والمسعفين والمسعفات حول الإجراءات الكاملة التي يجب اتباعها عند إصابة الناس بهذا الغاز. **هذه الخبرة المؤسفة بكيفية التعامل مع مصابي ومصابات غاز السارين وغيره من الغازات المحرّمة دوليا تكوّنت لاحقا بعد أن استهدفت قوات النظام السوري وحلفائه المنطقة بضربات عديدة حتى عام 2018.**[64] لكن حينها، كان الإجراء الإسعافي الوحيد الممكن، هو ما تم اتباعه فعلا. فأين يمكن أن يتمّ استيعاب كلّ هذه الإصابات؟ ومن تمّ جسّ نبضه أو نبضها ولم يجدوه، كان يتم إعلانه وإعلانها ميّتة. وهذا الجسد الذي ظنّوه ميتا لا يمكن أن يبقى في نقاط الإسعاف الطارئة لأنّ هناك المئات من الناس المصابة بحاجة لعلاج وإنقاذ. وكان يجب دفن الجثث بسرعة بسبب الحرّ الشديد وعدم تحمّل المولدات الكهربائية العمل لساعات طويلة في منطقة قُطعت عنها الكهرباء منذ أشهر عديدة بشكل كامل.

تشرح تهامة المسعفة عن حالات الفقد والبحث والدفن الخاطئ لناس حيّة "بدأت أهوال الكارثة تبين أكتر، اللي فاقد أهلو واللي فاقد عيلتو. هي اللحظات لسا أصعب من لحظات الإسعاف بصراحة، خلص خلال الاسعاف الشخص قدامك إما أنقذتو أو ما قدرت للأسف أنقذه، أما بس يجي هاد يسألك أو هي تسألك أو يللي عم يعطوا صور لعيلتن، أو اللي عم يقلك اسم وهاد اللي بيعطيكي علامة، وهاد كان لابس كذا وهي كانت لابسة كذا... هي أصعب بكتير. وغير هيك في حالات اندفنت وهي عايشة لأنو غاز السارين غاز أعصاب ممكن يعمل سكتة دماغية أو قلبية لفترة معينة وممكن يرجع يصحى الإنسان. فكانت من الأخطاء انه خلص جسوا نبض الشخص، مافي نبض؟ خالص حطوه بالكفن ف هي أحد المصائب بس مو ذنب حدا."

[64] ذكرى هجوم كيماوي دوما 7 نيسان 2018، رابطة ضحايا الأسلحة الكيماوية، 7 نيسان 2024.

إذاً موت جماعي، وفقد وضياع وبحث، وهواجس أن تكون قد دفنت روحاً مازالت على قيد الحياة، قصف جويّ مباشر بعد ساعات أودى بحياة الكثيرين والكثيرات، حصار وجوع وتعب وخوف، ماذا بعد؟ هناك الكثير ليقال عما حدث بعد ذلك، فكلّ من قابلناهم وقابلناهنّ ظلّوا في الحصار والقصف وتلقوا ضربات غاز كيميائي لاحقة وتمّ تهجيرهم وتهجيرهنّ قسرياً إلى الشمال السوري عام 2018.

لكن ما نريد ذكره هنا أنّ الجهة المجرمة وفي محاولة لجعل جريمتهم كاملة وخالية من الأدلّة، حاولوا ومازالوا التخلّص من المقابر الجماعية الناتجة عن الهجوم. حتى المقابر ومن دفن فيها لم يسلموا من وحشية هذا النظام وحليفته روسيا، فلقد تمّ نبش هذه القبور بعد دخول النظام إلى المناطق عام 2018، على الأغلب لإخفاء أيّ دليل قد يدين النظام في المستقبل، أو لأسباب إضافية أخرى. بل أنّ قواته اعتقلت كلّ من بقي هناك وشهد هذه الجريمة وخاصة المصورون، الشهود والشاهدات، ومن كانوا في الكادر الطبيّ والإسعافي. تذكر العديد من الجهات الحقوقية ومنها المركز السوري لحقوق الإنسان كيف يقوم النظام السوري بمتابعة جهوده لطمس أيّ دليل على ارتكابه لجريمة استخدام الأسلحة الكيماوية عن طريق نبش المقابر واعتقال كلّ من له ولها أيّ صلة بما حدث وخاصة من ظلّوا في منطقة الغوطة الشرقيّة.[65] وتكتب منصات صحفيّة مثل أخبار بلدي عن محاولات قوّات النظام السوري بطرح مناطق المقابر مثل مقبرة حرستا التي تضم آلاف الموتى للاستثمار، أيّ إقامة أبنية أو مساحات عامّة أو خاصة فوق هذه المقابر.[66] والأرشيف السوري هذه الجهة التي أعدّت قاعدة بيانات عن جرائم الأسلحة الكيماوية، تذكر أيضاً في منصّتها قيام قوّات النظام السوري بتدمير المقابر لتدمير الأدلّة الماديّة التي تمّ جمعها أو يمكن الاستدلال بها لمحاكمة الجهة المجرمة. [67]

ولا يمكن هنا أن نغفل الأثر المعنوي العميق الذي يتعرض له ذوو الضحايا نتيجة لهذه الأعمال الشنيعة التي تستهدف جثث من فقدوا وفقدن. إن الاعتداء على جثث الضحايا لا يتسبب فقط في جرح إضافي لذويهم، بل يُعَمِّق المعاناة ويزيد من الإحساس بالقهر والعجز. فهذه الأعمال لا تتجاوز انتهاك حرمة الموتى فحسب، بل تمس بمشاعر الكرامة والاحترام التي هي حق لكل إنسان، حتى بعد وفاته. وبالإضافة إلى ذلك، **فإن الاعتداء على الأماكن التي تحمل قدسية لذوي الضحايا يرمز إلى تجاهل تام لمشاعرهم ومشاعرهنّ وانتهاك لحقوقهم وحقوقهنّ الإنسانية الأساسية مراراً وتكراراً.**

[65] سبعة أعوام على مجزرة الكيماوي في "غوطتي دمشق".. عدالة دولية غائبة والنظام السوري يواصل طمس الأدلة والعمل على قلب الحقيقة، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 21 آب 2020.

[66] النظام يطرح مقابر الشهداء للاستثمار بالغوطة الشرقية، بلدي نيوز، ملهم العسلي، 6 آب 2019.

[67] قاعدة بيانات هجوم الغوطة الكيميائي- النتائج، الأرشيف السوري، 21 آب 2023.

القبور الجماعية لضحايا جريمة الكيماوي، منطقة زملكا، 21. آب. 2014،
بسام خبيّة، رويترز.

ماذا حلّ بأهل الغوطة بعد ارتكاب الجريمة؟

حال الناس والمكان في الأيام والأسابيع الأولى

تفرّقت العائلات بين نقاط طبيّة عديدة في الغوطة الشرقيّة في الأيام الأولى بعد الجريمة، فمن خرج ليُنقذ الناس، عاد ولم يجد عائلته وأهله في منازلهم، حيث أسعفها أناس آخرون إلى نقاط طبيّة عديدة. ومن أغمي عليها من تأثير الغازات، استفاقت في منزلها أو في نقاط الإسعاف لا تدري أين أهلها أو أطفالها وهل هم أحياء أو أموات، ولا تعرف أين دُفن من مات منهم. ومن كان يحاول مساعدة الناس في منطقة غير منطقته، توفي بعد إصابته بالغازات ولم يعرف هويّته أحد. ومن أسعف عائلة كاملة، لم يجد لأفرادها مكان في نقطة طبيّة، فوضع البعض في هذه النقطة وأخذ الباقي إلى واحدة ما زال فيها متسع، فتقرقوا وتفرقنّ عن بعضهم البعض... وكأنّه كابوس عن نهاية جماعيةّ للعالم، إلّا أنّه للأسف واقع وليس بكابوس، وليس لكل الناس في العالم، بل لهذه المجموعة المحاصرة من الناس في سوريا.

كان الوضع مأساوي بالنسبة للأطفال الذين تفرقوا عن أهاليهم، وللأهالي التي تبحث عن أطفالها المفقودة. تقول بيسان أن عددا كبيرا من النساء والرجال كانوا يبحثون ويبحثن عن أطفالهم وأقاربهم. وأنّ أطفالا كثيرة استعادت وعيها وهي في حالة صدمة ولم تجد أهلها "وحتى بالنسبة للأطفال اللي شافوه بهديك الفترة ما بينوصف، ماعندن أهل كمان، في شي خمس أطفال صغار، جابولنا ياهون تاني يوم بعد الضهر، قلنا الدكتور إحكوا معهن شوي، شوفوا شو بدن خليهن ياكلوا، فكانت الصدمة بعيونن وبلشت الأعراض تخف، ويسألوا عن أهلون. "ويضيف أبو فراس أنّ هناك أطفالا صغيرة لم تكن قد تكلّمت بعد أي بعمر السنة أو السنتين، فلم يستطيعوا نطق أسماء أهاليهم أو من أيّ منطقة هم.

أمّا الكبار، فهناك الكثيرون والكثيرات ممّن فقدوا الذاكرة مؤقتاً أو حتى بشكل دائم ولم يتعرفوا أو يتعرفن على أطفالهم وذويّهم

"مثلاً في ولاد صغار مابتعرف تحكي، ومايعرفوا وين أهاليهن وأهاليهن مايعرفوا وينن، في ناس التقت بأهاليها بعد شهر، في عالم كانت مفكرة أنو أقرباهون ميتين ويرجعوا يلتقوا فيهن بالصدفة. مشاهد كتير مؤثرة ماقدرت وثقها بالتصوير، الأهالي ماقبلوا وفي ناس فاقدة الذاكرة، في شخص بعرفو فقد الذاكرة كليا وما بعرف لهلق بعدا مفقودة أو لا، يعني في عالم ماعرفنا كيف بدنا نعزيها من وين بدنا نبلش، في إلي شخص بعرفو، صديقي هوي، موجود هلق بالشمال استشهدت عيلتو كاملة نزل صاروخ الكيماوي بحارتون، رحنا لنعزي صار هوي يعزينا.. هستر" (أبو فراس)

في الأسابيع الأولى بعد هذه الجريمة، كانت منطقتا زملكا وعين ترما ومعظم المناطق المتأثرة بالغازات الكيماوية كمدن الأشباح، أحياء بكاملها مات معظم ساكناتها وساكنيها حتى الحيوانات والنباتات تمّ القضاء عليها. كان من الصعب العودة من الناحية النفسية إلى تلك المناطق، فهناك صدمة الإصابة بحدّ ذاتها وصدمة الموت والفقد.

وكذلك من الناحية الأمنية فالقصف الجوّي مستمر من قبل قوّات النظام السوري على هذه المناطق. وظلّ الناس في خوف دائم من تكرار استخدام السلاح الكيماوي، وخاصة ليلاً، فبقيت الكثيرات والكثيرون في أرق دائم لليالي طويلة خوفا من الموت وهنّ وهم نياما.

"كنّا خايفين من الليل من ضرب الكيماوي، وحتى الصبح والضهر ما نحسن نام من الطيران والقصف وما ننام بالليل مشان إذا صار ضرب نسعف حالنا، بس نحنا نخاف من الليل مو مشان الطيارة بس الكيماوي كان أصعب من الطيارة يعني موت جماعي وبلا دم! فكتير صعبة تشوفي عيلة انبادت كلا فصرنا نخاف إنو بلكي ضربوا كيماوي ونحنا نايمين! لهيك عنا صار قلق مانقدر نام، هي ضربة الكيماوي أثرت فينا أكتر من القصف." (أم علاء)

وصفت النساء بشكل تفصيلي إلى حدّ ما أكثر من الرجال، كيف كانت أحوالهنّ بعد أيام من الجريمة، كنّ منهكات من التعب والإصابة، من الفقد والخوف، وفوق ذلك كان عليهنّ القيام بمهام الاعتناء بالأطفال والعائلة "كنا تعبانين كتير من الإصابة، بعدين إجتنا صدمة عمي وإلي استشهدوا، ومعنا أطفال بدنا نهتم فيهون" (أم أحمد).

بقين ساهرات طوال الليالي خوفا تكرار استخدام الغاز الكيميائي والموت وهنّ وأطفالهنّ نياما. وممّا زاد عليهنّ تعب تلك الليالي اضطرارهنّ أن يبقين ساهرات وهنّ مرتديات للباسهنّ من حجاب وثياب طويلة، في أيام الصيف الخانقة، كما تقول يسرى "يعني نحنا بهاد الوضع عطول لابسات وجاهزات" أردن أن يبقين مرتديات لثيابهن على الرغم من تجربتهنّ بأنّ الغاز الكيميائي يتغلل في الجسم من خلال الثياب أيضاً وليس فقط الاستنشاق، لكن بالنسبة لهنّ كان الموت بثياب تستر الجسد أفضل من النجاة عريّا. كم هو قاس وظالم أن تفكر امرأة بكيفية موتها بصورة مقبولة بالنسبة لها ولمن حولها، والّا تجلب العار المرتبط بجسدها للعائلة ولرجالها، وأن تفضّل هذه الحال على نجاتها. وكم من الصعب أن نفهم نحن من نكتب ونحلل كيف أخذت النساء مثل هذه القرارات، في تلك الظروف الكارثية، وكيف يمكن لامرأة أن تتصرف في ظرف تتوقع فيه ضربة جديدة من الأسلحة الكيماوية من قبل حكومة بلدها، وأن يصبح موتها بصورة تفضلها عن غيرها هو ما تفكّر به بعد ان رأت أن موتها ومن حولها لا يعني شيئا لهذا العالم. وكم هي قاسية وتمييزية تلك الأنظمة الحياتية والمجتمعية التي يصبح فيه جسد المرأة عائقا ومشكلة أمام نجاتها من جريمة ضدّ الإنسانية.

تذكر بعضهنّ شكل الشوارع ورائحتها، ملامح الموت التي تعمّ المكان، الشوارع الخاليّة إلّا من أحذية الناس التي كانت تركض فزعة في الشوارع، الحيوانات التي هلكت وماتت في الطرقات، عتمة البيوت ووحشتها بعد أن فقدت الكثير من أهلها وأثره النفسي عليهنّ.

"كانت زملكا فاضية، الشحاطات تبع العالم بالأراضي، والغنم ميت والعصافير حتى الجاج والأرانب كانوا ميتين. بس فتنا عالبيت لقينا شي أبيض عالأكل متل هيك طبقة بيضا متل الزبد إلي كان يطلع من تم الولاد، حتى المي غيرناها بالخزانات لأنو خفنا يكون فيها أثر من الكيماوي. نحنا رحنا ناخد بس كم غرض حتى الواحد مالو نفس يرجع على زملكا فضلينا شي سنة قاعدين بكفر بطنا وهون بلش الحصار وبلشت تديق عالعباد. " (أم احمد)

" بس فتت بلش معي ديق النفس وأنا الدكتور كان واصفلي بخاخ رذاذ فكنت حط منو، فلما رجعت ماكان في حدا راجع عزملكا، وكانت ريحة البلد بشعة لأن في كتير كلاب ميتة فصاروا الشباب يجيبوا صهاريج مي وينضفوا الشوارع والحارة حتى في بيت كان قديم قبال بيتنا كان دايما في عصافير واصحى على صوتن كل يوم، بعد الكيماوي كلن ماتوا ماعاد في أمل ما رجع شي متل قبل. "(روان)

بينما تحدّث الرجال أكثر عن وضع القصف في الأيام التالية والذي بقي مستمرًا من قبل قوّات النظام السوري بريًا وجويًا، مما صعّب الأوضاع أكثر على الحركة والبحث عن المفقودين والمفقودات، وعلى استيعاب ما حدث من موت جماعي كارثي. أمّا عن الجوّ العام الذي خيّم على الناس والأماكن فوصفه أبو فارس بكلماته "كانت العالم حزينة كئيبة ما كان في مكان للابتسامة كان جو كئيب يعني منطقة محاصرة فقدت كم هائل من العالم بليلة وحدة وحتى العالم اللي ماصرلها شي كانت مصدومة ومستحيل الناس تنسى الي صار"

وما زاد على هذه الكآبة هي الاكتشافات اللاحقة لمزيد من الموتى والضحايا من الأهالي، فبعد أيام ومن خلال البحث والتواصل وجد الكثيرون أنّ عائلات بأكملها قد ماتت في الأقبية أو في بيوتها ولم يعرف عنها أحد في تلك الليلة. وكان لهذا أثره العام على الناس والخاص على المنقذين الذين عاشوا ولا زالوا في عقدة الذنب من عدم وصولهم إلى عدد أكبر من الناس، وهذا ما سنشرح عنه أكثر في فقرة الأثر النفسي على الناجين والناجيات.

يذكر أبو أحمد أن جريمة الكيماوي غيرت من اهتماماته، فلم تعد متابعة الأخبار والآراء الدولية أولوية عنده، بل أصبحت النجاة ودوره في الحماية والبحث عن حلول ضمن الواقع من خلال التجهيز المكثف والتنسيق بين النقاط الطبيّة هو الهاجس الأكبر.

"يعني ضلينا أكتر من 3 شهور ماعرفانين شي أنا والمحيط إللي معي كنا بصدمة، أما الوعود إلي صارت من برى إنو أمريكا هددت النظام نصير نضحك يعني نحنا من صدمة الكيماوي ما كان عنا طاقة لهيك أحاديث، بعد الضربة صار في تنسيق وتواصل أكتر بالمشافي بالغوطة"

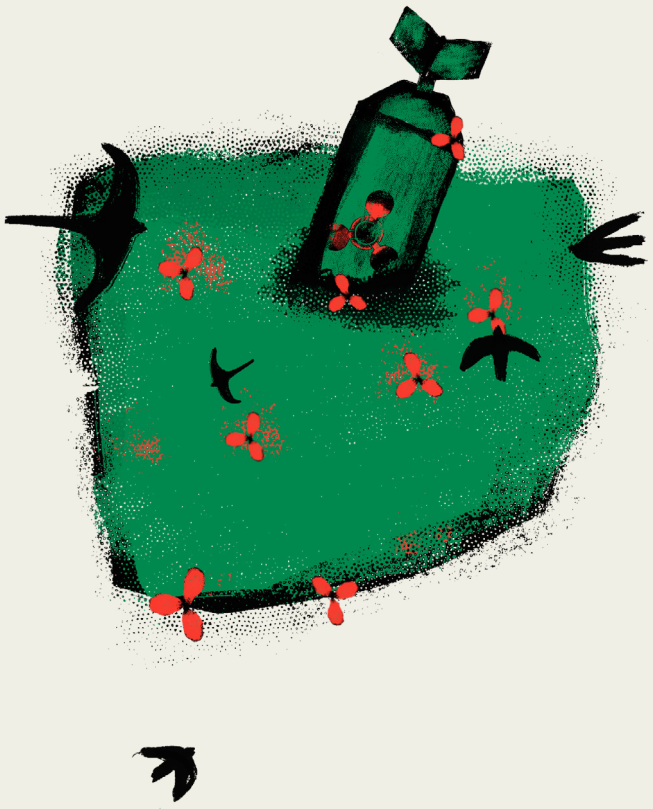

أهالي الغوطة بين الحصار والقصف حتّى التهجير القسري عام 2018

بعد جريمة الكيماوي هذه، استمرت جريمة الحرب الأخرى "الحصار" لمن تبقّوا على قيد الحياة. قامت قوّات النظام السوري بتطبيق حصار تام على المنطقة، عانى فيه الجميع في كلّ تفصيل من كلّ يوم.[68] عانت النساء بشكل خاص بسبب دورهنّ في إيجاد الحلول البديلة لمعظم ما تمّ فقدانه خلال الحصار، فعليهنّ أن يخبزن الخبز في البيت ولو من الشعير الذي كان يعدّ من البدائل المقبولة آنذاك مقارنة بغيره، وإيجاد مكوّنات لطبخة ما مهما كانت، غسل الثياب على اليدين، تأمين بدائل عن حفّاظات الأطفال وعن الفوط النسائية، إيجاد طرق لتسخين المياه... الخ هذا إضافة لما كنّ يقمن به من أدوار أخرى كالعمل في المراكز الطبيّة أو في المراكز المدنيّة وحتى أحيانا في المنازل لتأمين لقمة للعيش لهنّ ولعوائلهنّ، والإحساس بالذات وبقيمتها. أمّا الرجال فصاروا يبحثون عن أيّ مصدر للدخل، أو مواد للأكل، وخاصة بعد أن بدأ تجّار الحرب في عام 2015 باستغلال الوضع وإدخال بعض من هذه المواد عن طريق الأنفاق مقابل مبالغ هائلة من النقود لم يملك أهالي المنطقة منها شيئا.

تصف يسرى حالها وحال الناس والبدائل التي اضطرّوا إلى إبداعها في وقت الحصار "في ناس تعمل بسطة بنزين ومازوت، وبعدين صاروا يصنعوا مادة الفيول يعني يكرروا البلاستيك يحطوه بمي يغلي بس ياما ماتت عالم من وراها، أولاد عمتي اشتغلوا فيها، ففي ناس توقع فيها وبلاستيك عم يغلي ويموتوا. الحصار بالغوطة ما يضل مستمر يصير في فرج أحيانا بس المنفوش[69] يفوت أغراض مثلاً معقود وجبنة مطبوخة وقمر الدين[70] فتصير المراكز تقول المنفوش نزّل بضاعة، ففينا ناخد عن طريق البطاقة[71] بس ربطة خبز وحدة، وطبعاً الأهالي هالربطة يطعموها للأطفال. والأنفاق بس فتحت صارت العالم تطلع وفي هاد النفق المفتوح لحرستا صاروا يدعموا أهل بلدهون، بس كان في استغلال بنفس الوقت كمان"

كما عانى الجميع من فقد الأدوية والمواد الطبيّة للعمليات الجراحيّة، خاصّة مع حالات إصابة يوميّة بسبب القصف البرّي والجوي المستمر، إضافة إلى الأمراض المزمنة التي يعاني منها الناس عادة والتي من شأنها ان تشتد في أوقات الحصار وسوء التغذية والحالة النفسيّة المتدهورة. يصف أبو بكر العجز الطبّي والبدائل قائلا "إلّي يجينا مريض معو كسر أو مرض عصبي يا بموت يا الله بيشفيه، يعني مريض العصبي بدو شي خمسين إبرة التهاب حتى يتجاوز مرحلة الخطر... ما في هيك شي، لأن ما في أدوية، ما في مواد أولية تغطي النقص."

[68] "كانت الحصارات استراتيجية ناجحة للحكومة السورية، حيث سمحت للجيش السوري باحتواء المناطق المتمردة واستنزاف مواردها، وفي نهاية المطاف تهجير الكثير من السكان غير المرغوب فيهم. وفي النهاية مكّن التدخل العسكري الروسي في عام 2015 الجيش السوري من الاستيلاء على المناطق المحاصرة". المصدر: Final Report Out of Sight, Out of Mind: The Aftermath of Syria's Sieges, Siege Watch and PAX, 2018, p. 8

[69] لمنفوش ليس الوحيد في الغوطة.. عبد الدايم والوزير ينافسان: تجار صنعهم الحصار في سوريا"، محمد حمص، عنب بلدي، 11 آذار 2018.

[70] "تشتهر غوطة دمشق –وخاصة مدينة عربين– بصناعة قمر الدين من محاصيل المشمش الوفيرة فيها. ولإمكانية تخزينه دون حاجة إلى مبردات، منع الثوار المعنيّون خروج هذه البضائع إلى مناطق النظام، ظنّاً منهم حينها أنهم يحاصرونه ويضيّقون عليه.

هذا الشرح مقتطع من مقال بعنوان: "ما لم يُقل عن حصار الغوطة" أوس مبارك، الجمهورية، 17 تشرين الأول 2014.

[71] بطاقات وزّعها المكتب الإغاثي التابع للمجالس المحليّة على الأهالي للحصول على الخبز.

أمّا النساء فكانت لديهنّ معاناة أخرى متمثلة بظروف الحمل والولادات، حيث لا طعام أو مكمّلات غذائية، ولا مخدّر لإجراء عمليّات الولادة. "أول حملي ب 3 شهور شو ما إشتهي ما لاقي وحتى طلع معها نقص كلس فما كان في لا هدوء ولا أكل ولا أدوية،بعدين إجاني خبر الصدمة إنو زوجي التاني استشهد وأنا حامل ببنتي يعني بنتي كمان ما شافت أبوها متل إبني من زوجي الأولاني، بعدين أنا قررت إنو مابدي الطفل إلي ببطني بس الحمدالله ضلت البنت، آخر شي بالشهر التاسع منطقة حمورية بطلت أمان فرحت على سقبا ورحت لعند دكتور جراح بمشفى الزهراء بالأقبية بسقبا، وعملت وقتا قيصرية وماكانت غرفة العمليات جاهزة لا أدوات ولا تعقيم، بس الدكتور كان كتير شاطر وكانت ولادتي سهلة الحمدالله، وانقصفت المشفى وأنا عم ولد وإبني عم يستناني عباب المشفى قلت أكيد صرلن شي " (أم علاء)

"كانت مشفى ميداني تالت طابق تحت الأرض لهلق بتذكر نزلت كل درجين سوا، والطيارة كانت عمتضرب. بدو ينزل الخلاص بس من الخوف انفجر ببطني وصرت أنزف وحموت فصاروا يسحبولي ياه بالملقط فما كان في بنج ولا شي، كنت عم اصرخ من الوجع مابنسى هاليوم. وماكنت ولدانة صرلي أربع تيام قصفوا البناية الي حد بيت أهلي حملت بنتي من رجليها بدل راسا من الخوف وضلينا بالقبو يومين." (أم رامي)

" أنا وقت الكيماوي كنت حامل وكنت خايفة لأن قالوا كتير في تشوهات بالأطفال بس بنتي خلقت كتير ضعيفة ولهلق عم عانى من النحف معها لأن وقت خلقت كان في سوء تغذية لا حليب ولا أكل. " (أم أحمد)

استمرّ هذا الحال على الناس من حصار وقصف وفقد ودمار، حتى أوائل عام 2018 عندما قرّر النظام السوري وحلفائه استعادة المنطقة بأيّ ثمن وبأيّ سلاح. بدأت الحملة العسكرية التي يصفها الناس بـ" الحملة الشرسة" بقصف يومي استُخدم فيه كلّ أنواع الأسلحة،[72] وذلك مباشرة بعد أن صوّت مجلس الأمن على قرار إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق المحاصرة وإيقاف إطلاق نار جزئي. لم يأبه النظام السوري وحليفته روسيا إلى هذا القرار، بل عملوا بعكسه تماما وقاموا بتلك الحملة التي صار فيها القصف الجوّي مستمرا على مدار 24 ساعة مع تقدم القوّات البريّة. ونذكر هنا أن الأسلحة الكيماوية المحرّمة دوليا قد تمّ استخدامها ضدّ أهل الغوطة الشرقية عشرات المرّات، وفي كامل سوريا مئات المرّات من قبل النظام السوري وحلفائه.[73] سنستفيض بالشرح أكثر عن ردّ الفعل الدولي تجاه هذه الجرائم ونتيجته في الفقرة الأخيرة من هذا البحث. **لكن سنذكر هنا ما أخبرنا به من قابلناهم وقابلناهنّ عن الهجوم بالسلاح الكيميائي على أهالي الغوطة وبشكل خاص على منطقة دوما التي قامت بها قوّات النظام السوريّ وحلفائه عام 2018 كأسلوب أخير للترهيب للسكّان.** في تلك الحملة العسكريّة الشرسة، لم يعد بالإمكان لأهل المنطقة إلا العيش في الأقبية، والانتقال من قبو إلى آخر بحثا عن أمان مؤقت أو وهمي.[74]

[72] قام النظام وحلفاؤه الروس باتّباع استراتيجية مُحطّمة ثلاثية الأجزاء تشتمل على عنف عشوائي شديد، عمليات عسكرية برية، ومفاوضات موازية لما يسمى باتفاقات المصالحة – وهي عملياً اتفاقات استسلام بحتة رغم اسمها الذي لا يدل على ذلك. بتتابع سريع، استسلمت مستوطنة تلو الأخرى في الغوطة الشرقية تحت الضغط المتراكم لسنين من الحصار والعنف الهائل والعشوائي لهذه الحملة العسكرية".

هذا الشرح مقتطع من بحث بعنوان الأساس المنطقي/الإرهاب الاستراتيجي للأسلحة الكيميائية- توبياس شنايدر وتيريزا لوتكيفند، أبريل 2020

[73] للاطلاع على عدد وتفاصيل هجمات السلاح الكيميائي في سوريا، يمكن النظر إلى الخط الزمني في تقرير منظمة سامز الذي يذكر بالتفصيل كلّ الهجمات حتى عام 2016. متاح في: منظمة سامز. والخط الزمني في تقرير GPPI حتى عام 2018. متاح في: GPPI

[74] في 24 شباط، صوَّت مجلس الأمن على قرار تأخّر كثيراً، دعا فيه إلى إدخال مساعدات إنسانية إلى الغوطة الشرقية وإلى وقف إطلاق نار جزئي. وفي حين أن هذا القرار يمثل تطوراً مرحباً به، فإن المدنيين الذين يتضوّرون جوعاً بانتظار وصول المساعدات التي تنقذ حياتهم وتوفير الحماية لهم من القصف المتعمد، يجب ألا ينتظروا قراراً لمجلس الأمن أو وقفاً لإطلاق النار. في 25 شباط، وردت أنباء بشأن وقوع هجوم كيميائي في الغوطة الشرقية

تـصف أم سـعيد بـعض لحظـات الخـوف وهي مختبئة مـع النـاس في الأقبية وتنتظـر موتهـا وأطفالهـا الحتـمي، إمّـا عن طـريق القـصف الجـوّي أو الاقتحـام البـريّ "بلشـوا يقصفـوا كل المنـاطق، ويشتـد القـصف عـصلاة الصبـح، فرحنـا قعدنـا عنـد بيت حمـاي بقبـو بزملـكا، وبـلشت العالـم تنزح وبـلش القـصف علـى حمـورية وبعـدين حزة وبعـدين زملـكا وضلينـا بالقبـو عنـد بيت حمـاي. ووقت كنـا بالقبـو فجأة لقينـا في غبـرة علينـا، طلـع في صـاروخ نـازل بين البنـايتين قالولنـا لازم نطلـع من القبـو فهـون بتخـافي، وكنت هـون فـارطة وكنت حامـلة ابني وكانت منيـحة صحتـو ومـا أحـسن إحملـو أنـا منهـكة. فطلبت من واحـد يحملي ابني مشـان انفـد ومـا حـسن يحملـو من الخـوف والـرعبة، ووقتـا رحنـا علـى قبـو تـاني وقالولنـا أنـو حيضـرب كلـور ويقلولنـا هـلق حيضـرب عالقبـو، قلتـلن مابقـى تقولـوا شي خلينـا هـون قاعـدين وبـس. بعـدين قلتـلن خلينـا نـروح عقبـو عنـد بنتي رحت لعنـدا ردوا قصفـوا القبـو الـلي كنت قاعـدة فيـه فأجـوا إخـوة زوجي لعنـدي واشتـد القـصف والجيش وصـل علـى حزة وأنـو عـم يدبـح العالـم، فأنـا أستنـى هي اللـحظة الي حيفوتـوا لعنـا ويقتـل ولادي قـدامي، وغيـر كل هيـك مـافي أكل ولا شي ومافيـكي تطلـعي من مكانـك من شـدة القـصف."

بيسـان المسـعفة، بقيت في عملهـا وزوجهـا المسـعف أيضـاً، لـكن مـع اشتـداد القـصف اضطـرت إلـى النزول إلـى الأقبية مـع طفلهـا. مـات كلّ أحبائهـا ولـم تستطـع حتـى أن تـحزن بعـد أن نجت مـع طفلهـا، فـكان عليهـا أن تسـعف المصـابين والمصابـات. تـصف اللحظـات التي وصـل فيهـا صـاروخ نابالـم إلـى القبـو الذي كانت فيـه وطفلهـا

" أنـا كنت ضـامة ابني الصغيـر وكنـا شي شـهر مـا شـايفين ضـو الشـمس، فجأة بتشـعل هيـك الدنيـا والنـاس بتصيـر تصـرخ والبنـاية إلـى كنـا سـاكنين فيهـا ضربـوا عليهـا أكتـر من صـاروخ لوصـل عالقبـو وكان بقلبـو نابالـم. شفت النـاس عمتحتـرق، ونـاس عـم بتـدور علـى أطفالهـا. كان إبني الصغيـر جنبي ضميتـو، صـرت إصـرخ إنـو طالعـوني لأن بطـلت أعـرف وين البـاب بتذكـر كان في جنبي مي، كتيت مي علـى شـالي مشـان مـا احتـرق. القبـو كان كلـو نـازل فأنـا اطلّـع علـى الحجـارة وروح بالطـريق الغلـط، الطـريق عاليـمين أنـا روح يسـار، لإن كل الملامـح اختفت إنـو بـدي أعـرف الطـريق، وكنـا نحنـا خمـسين شخـص بـس نسـاء وأطفـال مـا كان في أبـداً رجـال وكان معنـا وحـدة ولـدانة بـس صرلها 3 أيـام، مـاتت الله يرحمهـا... ووقتـا من دعـوات إمي نجينـا. إجـا الدفـاع المـدني وأخدونـا لـلنفق وجـوزي كان مسـعف كان بدومـا إجـا من دومـا علـى حرستـا، قـام إجـا دكتـور قـلي هـلق لازم تسـاعدينا قـومي، قلتلـو بـس هـدول رفقـاتي إلي ماتـوا صرلنـا شـهرين مـع بـعض! قـلي مـا عنـا وقت للـحزن لازم نسـعف، بتذكـر يومـا إبن عـمي كان كتيـر قـريب عـلي ونحنـا كنـا رفقـات كتيـر فقـلي جـوزي إنـو مـات إبن عمـك قلتلـو الله يرحمـو وكان متـل أخي وروحي التـانية يـعني ماضـل في مشـاعر أبـداً"

ويتذكـر أبـو فـراس الـمنقذ حالـه وحـال النـاس في تلـك الأيـام، فقـد أنهكـه الإنقـاذ والصمـود والـعجز في نفـس الـوقت لمـدة 7 سنـوات متواصلـة، وخـاصة في تلـك الحمـلة العسـكرية التي بـدأت في شبـاط 2018 والتي لـم تتـرك مجـالا لإنقـاذ أو اسـعاف من كثـرة الدمـار والأنقـاض والمـوت "رحت مـع رفيقي علـى سقبـا لأن لازم جيب غيـارات لي ولعيـلتي، لقيت بنـايتي مقصـوفة بـس مـو مدمّـرة، والبنـاية الي وراي نزلت علـى الأرض، كان صـرلي سـاكن فيهـا 5 سنين وكل الجيـران بيعرفـوني. فجيـراني صـاروا يطلبـوا مني انـو نطالع العالـم الي تـحت الأنقـاض وكان كتيـر صـعب أنـو نوصـلن ومـا في معـدّات فمـا عـرفت شـو بـدي جـاوب فقلتـلن: أقسـم بالله العظيـم لـو أم فـراس وولادي تـحت الأنقـاض مـاكان فيني سـاعدهن، مابقـدر أعمـل شي. فتركـوني ماعـاد طلبـوا منّي شي. رحنـا علـى حزّة مشـان نسـاعد المصـابين تقريبـا كان 20% منن متـوفين والبـاقي قـدروا يطلعـوا ويروحـوا عـالأقبية لأن مـافي مجـال للحيـاة فـوق الأرض. لـوقت الـلي وقعـوا اتفـاقية التهجيـر وقف القـصف بهالأثنـاء فحاولنـا نحـاول نوصـل آليـات لتشتغـل بالأنقـاض فالأغـلبية كانـوا ميتين ناخـدن عالطبيـات وعالـدفن وكان في جثث موجـودة بـس مـا الـكل قـدر يأخذ جثث اهاليـهن."

يذكر الجميع في المقابلات فظاعة ما حدث في الهجوم العسكري المكثف الذي بدأ في شباط 2018، [75] بل أنهم أرادوا وأردن الحديث عنها دائما رغم أنّ المقابلات هي لسرد أحداث جريمة الأسلحة الكيماوية في 21 آب 2013 وما قبلها وبعدها بقليل وذلك لفهم السيّاق. إلّا أنّ الرغبة بالبوح كانت جد واضحة، ولذلك تركنا المجال للتفريغ والحديث، بل وقررنا أن نكتب الملامح العامّة للانتهاكات اللاحقة التي عاشوها في هذا البحث، حيث إنّ الانتهاكات في الحروب ليست منفصلة عن بعضها البعض، فعندما يبدأ الحصار تبدأ معه جرائم حرب أخرى من استخدام العنف المفرط والمجازر وتنتهي شكليًا بالتهجير القسري للسكان من أماكنهم. ولا نذكر هنا الجرائم والانتهاكات التي تحدث في ذلك المكان المحاصر على المستوى الفردي، فهذا يحتاج لسنوات من الكتابة. ونقول أنّ جرائم الحرب هذه تنتهي شكليًا بجريمة التهجير القسري لأن فصلا كاملا من المعاناة سيستمر في حياة كلّ من قابلناهنّ وقابلناهم والكثيرات والكثيرون ممّا تعرضوا لكلّ هذه الانتهاكات ابتداء من لحظة التهجير الأولى. هذا إلى جانب أثر كلّ الجرائم التي نجوا منها النفسي والصحيّ المستمر والذي مازال يتضاعف كلّ يوم دون أي عون أو مساعدة أو حتى ظروف إنسانية مناسبة لإعالة الذات.

تهجّر كل من قابلناهنّ وقابلناهم قسريًا بين آذار ومنتصف نيسان من عام 2018 إلى مناطق في الشمال السوري تمّ تحديدها من قبل النظام السوري وحليفته روسيا ضمن ما تمّ تسميته "باتفاقيات المصالحة" والتي بدأت تحدث في سوريا في عدّة مناطق منذ عام 2014. [76] [77]، وبالطبع من غير المسموح لهنّ ولهم بالعودة إلى الأماكن التي كانوا وكنّ فيها، وقد بدأوا جميعا من نقطة الصفر، وانتقلوا من مكان إلى آخر بحثا عن الأمان ولقمة العيش، وما زالوا وزلن حتى الآن في عملية البحث هذه.[78] وبالطبع أثّر هذا التهجير وكل الجرائم والانتهاكات التي تعرّض لها أهالي الغوطة الشرقية وأهالي كلّ المناطق السوريةّ التي على الصحّة الجسدية والنفسيّة وحرمهم وحرمهنّ من كامل الحقوق من العودة ومن التصرّف أو حتى المطالبة بالملكيات والأراضي وكلّ ما كان لهم ولهنّ، ممّا يؤثر على الأحوال المعيشية التي هي أصلاً متدهورة. [79]

ولكيلا نُغفل ردود الأفعال الدولية، فقد قامت لجنة الأمم المتحدة للتحقيق بشأن سوريا، بتقديم تقرير في جنيف في شهر يونيو 2018 ذكرت فيه أنّ الحصار الذي عاناه أهالي الغوطة لمدة خمس سنوات والقصف المستمر خلالها يرقى إلى مرتبة جرائم الحرب. وأنّ الحملة العسكرية التي قامت بها قوات النظام السوري والجهات الحليفة له على المنطقة وسكّانها قد تسببت بمقتل المئات ودمّرت كل المرافق الطبيّة والأسواق والمنازل وأنّ هذه أيضاً ترقى إلى مرتبة جرائم الحرب. أيضاً استنتجوا أنّ المعاناة التي عاشها الناس عقليًا ونفسيا وصحيًا ترقى إلى مرتبة جريمة ضدّ الإنسانية. وأمّا عن التهجير القسري فقد تمّ استخدام هذا المصطلح إلى جانب مصطلح اتفاقيات الهدنة وتمّت إدانته أيضاً، وإدانة اعتقال الكثيرين والكثيرات ممن حاولوا الخروج من الغوطة أثناء القصف.[80] طبعاً لم يكن هناك أي أثر حقيقي على الناس لمثل هذه التقارير ولا لقرارات صدرت من مجلس الأمن سابقا بما يتعلق بالمشهد في سوريا، ونذكر منها قرار 2139 في شباط 2013 "وطالب القرار جميع أطراف النزاع

[75] الكارثة الإنسانية التي تتكشف في الغوطة الشرقيّة، منظمة العفو الدولية، 28 شباط 2018.

[76] تهجير برعاية المذابح وضمانة التضليل، محمد كتوب، الجمهوريّة، 5 آب 2021.

[77] Syria: 'We Leave or We Die': Forced displacement under Syria's 'reconciliation' agreements, Amnesty, November 2017.

[78] التهجير القسري: المأساة السوريّة الهائلة، وردة الياسين، الحركة السياسية النسوية السوريّة، 2 كانون الأول 2020. .

[79] ورقة موقف حول وجهات نظر نساء سوريّات مهجّرات قسرياً، وحدة البحث النسوي، منظمة النساء الآن، كانون الثاني 2021. .

بإنهاء الهجمات غير القانونية على المناطق المأهولة بالسكان والحصار والاعتقال التعسفي والاختطاف والتعذيب والاختفاء القسري. "ثم تلاه القرار 2165 بعد شهر" الذي يسمح بتسليم المساعدات عبر الحدود وخطوط النزاع من قبل الأمم المتحدة وشركائها المنفذين دون موافقة مسبقة من الحكومة. "لم تساعد هذه القرارات بإيقاف المجازر والتجويع ولم تتجاوب معها الأطراف المرتكبة للجرائم. ثم في كانون الأول 2015 تبنّى مجلس الأمن القرار رقم 2254 "الموافقة على خارطة طريق للتسوية السياسية بما يتماشى مع بيان جنيف، وهي خطة انتقالية صدرت في حزيران 2012 بعد اجتماع مجموعة العمل من أجل سوريا المدعومة من الأمم المتحدة. "والذي لم يتم تنفيذه حتى الآن. [81]

ونودّ هنا أن نعبّر عن مشاعر القهر وخيبات الأمل من ردود الأفعال الدوليّة الواهية هذه بتبنّي كلمات وردت في افتتاحيّة صحيفة "لوتون" بعنوان "في الغوطة، الكلمات الزائدة عن اللزوم" بتاريخ 22 شباط عام 2018، بقلم لويس ليما حيث كتب

" [الأهوال] التي تنهال في هذه اللحظة على سكان الغوطة الشرقية بمحاذاة دمشق أصبحت غير قابلة للتوصيف، ليس لأن الأطفال وأقاربهم يفقدون فيها أرواحهم، ولكن أيضاً وبالخصوص بسبب الاستخفاف والازدراء الذي لا يُصدق المحيط بعملية القتل المبرمج هذه". فعلى سبيل المثال، فإن "روسيا – التي كان يُفترض حتى الأمس القريب أن تكون "طرفا ضامنا" لما يُشبه وقف إطلاق النار في هذه الجهة التي أعلن أنها "منطقة خفض التصعيد" – تنخرط قواتها اليوم بنشاط في المذبحة بتعلة أن الأمر يتعلق – مرة أخرى – بـ "ملاحقة الإرهابيين" المختبئين وسط حوالي 400 ألف ساكن يقيمون في الغوطة"، أما فرنسا إيمانويل ماكرون، فهي لا زالت تضرب أخماسا بأسداس وتُخمّن بشأن حقيقة سلسلة من الهجمات الكيماوية المرتكبة في الفترة الأخيرة من طرف النظام السوري، منتظرة "ثبوت الأدلة بوضوح" قبل "الضرب". [إن] الدليل الذي كان يبحث عنه النظام السوري وروسيا قد تم العثور عليه فعلا، لكنه مختلف تماما: بإمكان المجزرة أن تستمر ومهما كانت "الخطوط الحمر" التي يتم تجاوزها، فلن يتحرك أحد لمساعدة سكان الغوطة الشرقية". [82]

[80] UN Commission of Inquiry on Syria: The siege and recapture of eastern Ghouta marked by war crimes, crimes against humanity, OHCHR, June 2018.

[81] المصدر نفسه في 77.

[82] بتصرف من موقع Swissinfo. المصدر: "جحيم الغوطة الشرقيّة جزء من حرب الكل ضد الكل في سوريا، مي المهدي وكمال الضيف، شباط 2018.

الفصل الرابع:

الآثار الجسدية والنفسيّة والاجتماعية والاقتصاديّة طويلة الأمد

أثر الجريمة على الصحة الجسدية للناجيات والناجين حتى يومنا هذا

تنويه: لسنا هنا بصدد تأكيد أن الأمراض المزمنة التي تعاني منها الناجيات والناجون هي نتيجة التعرض للغازات الكيميائية، فهذا الربط أو عدمه يجب أن تقوم به جهات طبيّة متخصصة وننوّه أيضا أننا على دراية كاملة أنّ الشخصيّات التي قابلناها عانت ظروف صحية صعبة نتيجة التعرض لأنواع متعددة من الأسلحة والقصف على مدار سنوات، إضافة إلى انعدام توازن النظام الغذائي خلال سنوات الحصار الطويلة، عدا عن الضغوط النفسية المرافقة لكل هذه الانتهاكات ولغيرها مثل الاعتقال والفقد والخوف والقلق اليومي المرافق لها. لكنّنا هنا لتقديم ما حصلنا عليه كمادة مهمة للجهات الطبيّة والباحثات والباحثين في هذا المجال.

قبل أن نبدأ بالكتابة حول الوضع الصحي للناجيات والناجين من جريمة استخدام السلاح الكيميائي في ليلة 21 آب من عام 2013، سنذكر بعض التفاصيل الهامّة عن هذا الغاز الفتّاك واستخداماته وأثره على جسم الإنسان.

السارين هو غاز أعصاب شديد السمية تم تطويره لاستخدامه في الحروب الكيماوية. تم تصنيعه لأول مرة في عام 1937 في ألمانيا خلال البحث عن مبيدات حشرية أفضل. تم استخدام السارين لأول مرة في سياق عسكري خلال الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات. يمكن أن يكون التعرض للسارين قاتلاً في غضون دقائق إلى ساعات. في شكليه البخاري والسائل، يمكن استنشاق السارين أو امتصاصه عبر الجلد أو العينين أو الأغشية المخاطية. نظراً لتأثيره العالي، يعتبر السارين قاتلاً بنسبة 50 بالمئة من الأفراد الذين يتعرضون له بجرعات تتراوح بين 100 إلى 500 ملغ عن طريق ملامسة الجلد، أو 100-50 ملغ/دقيقة/م^3 عن طريق الاستنشاق، بناءً على متوسط وزن الجسم حوالي 70 كغم.[83] يعتبر السارين من أكثر مركبات الحروب الكيماوية المعروفة فتكاً وعلمياً هو عبارة عن مركبات فسفورية عضوية تمنع نشاط الأستيل كولين في الجسم مما يؤدي إلى تراكمه في النهايات العصبية والذي يؤدي بدوره إلى آثار طويلة الأمد في الجسم[84] ترتبط بالتسمم الحاد والذي يمكن أن يسبب تشوهات مناعية عصبية خفية لا تظهر إلا في الأعراض السريرية.[85]

ذكر جميع الرجال والنساء المشاركين والمشاركات في البحث ممن نجوا ونجون من جريمة السارين، أنهم يعانون حتى يومنا هذا من أمراض مزمنة مختلفة، إضافة إلى عدم تلقيهنّ أو تلقيهم أيّة خدمات طبية وعلاجية أو أي دعم طبي مستدام. حاول فريق البحث وثيق هذه الحالات وذلك بهدف عرضها في هذا البحث طبعا بعد أخذنا الموافقة التامة على ذلك وبهدف المساعدة وإيجاد جهات تستطيع تقدم الرعاية الصحيّة المستدامة.

[83] Institute of Medicine (US) Committee on Health Effects Associated with Exposures During the Gulf War; Fulco CE, Liverman CT, Sox HC, editors. (2000). Gulf War and Health: Volume 1. Depleted Uranium, Sarin, Pyridostigmine Bromide, Vaccines. National Library of Medicine.

[84] مادة أستيل كولين هي من أهم النواقل العصبية في الجهاز العصبي. يتم إنتاج مادة أستيل كولين في الجسم كما يُمكن الحصول عليها من مصادر طبيعية. تُعد مادة أستيل كولين مسؤولة عن جميع الحركات اللاإرادية في الجسم. يتم إنتاج مادة أستيل كولين من كل من حمض الأسيتيك ومادة الكولين. المصدر: ويب طب

[85] Hajimohammadi, S., Balali-Mood, M., Etemad, L., & Moshiri, M. (2024). Sarin. In Elsevier eBooks (pp. 421–433). doi:10.1016/b978-0-12-824315-2.00544-3.

تـم تفنيـد الحـالات الصـحية بعـد سؤال مباشـر للرجـال والنسـاء عن الوضـع الصـحي الحـالي ومن خلال سيـاق الحـديث معهم ومعهن. ثـم من خلال استمـرار التواصـل معهنّ ومعهم بعـد انتهـاء المقـابلات، ولقـد تـمت مشـاركة التقاريـر الطبيّة الخـاصة بالوضـع الصـحي وذلـك في محـاولة للتـوثيق، والـسؤال عن جهـات داعـمة طبيّة

آثار على الجهاز التنفسي:

إنّ مشـاكل الجهـاز التنفسـي هي المشتـركة والتي ذكرهـا غـالبية من تـمت مقابلتهـم ومقابلتـهن بنـسبة 90%." أنـا عنـدي حسـاسية من وقت مـا ضـميت اختي وهي مصـابة. لحـد الآن مـعي حسـاسية من الروائـح، ووقت ضربـوا كلـور تحسـست كتيـر بـس طبعـا مقابـل الكيمـاوي (تقصـد غـاز السـارين)، الكلـور مـا بيتقـارن وكتيـر نـاس شفتـا من بعـد الكيمـاوي عنـدن حسـاسية وديق نفـس... يـعني مـا بقـدر اتنفـس تنفـس كامـل، بـس اتثـاوب بحـس حـالي عـم آخـد نفـس" (يسـرى)

ويقـول زيـاد أنـه يعـاني إلـى الآن من آثـار الكيمـاوي علـى جهـازه التنفـسي، دون وجـود قـدرة مـاديّة لمراجـعة أي جـهة طبيّة أو تـلقي أي علاج رغـم أن حالتـه تزداد سـوءاً عامـا بعـد عـام، وخـاصة في أيـام الـصيف الحـارة أو مـع تغيـرات الطقـس. وكذلـك الأمـر مـع روان، فـهي تعـاني يوميًـا من مشـاكل تنفـسيّة وتقـوم دائمـا بجلسـات رذاذ في المشفـى عنـد إصابتهـا بحـالات اختنـاق

تذكـر أم علاء أنهـا بقيت فتـرة طـوية تشـعر بالاختنـاق حتـى وصـلت إلـى مـدينة إدلب عـام 2018 لتبقـى في مرحـلة العلاج لمـدة سبـعة أشـهر" وأنـا صـرت اسـعل كتيـر وبحـس حـالي دايخة ووجـع راس، وكنـا بـالأقبية وقتـا ووقت طلـعت من الغـوطة علـى إدلب أخـدت إبـر موسـع قصبـات وجلسـات رذاذ بالمشـافي وحتـى إبني صـار عنـدو ربـو من بعـد ضـربة الكلـور، حتـى أنـا بـس روح صـور القصبـات يقلـولي إنت مـدخنة؟ لإن القصبـات عنـدي فيـهن علامـات. "

بينمـا أم عبيـدة وقـد أصيبت هي وعائلتهـا بالكيمـاوي واحتـاجت لأشـهر بعـد الكيمـاوي لتسـترد صحتهـا، فتقـول أنهـا تعـاني من مشـاكل بالـرئتين هي وابنهـا وابنتهـا وتقـول "لهـلق عنـدي مشـكلة بالـرئتين أنـا وإبني أمـا بنتي بتشـكي من الـرئة اليمنـى بـس نحنـا الثلاثة مأثـر علينـا أمـا بنتي الصغيـرة أحـسن من وضعنـا بشـوي".

بالنـسبة للـمنقذين، فقـد ذكـر معظمهـم عن معاناتـه مـع مشـاكل صـحية مستمـرة. يتحـدث كـرم عن تغيـر وضعـه الصـحي هـو وعائلتـه وأصدقائـه واستمـرار المشـاكل التنفـسية لديـه حتـى بعـد تهجيـره عـام 2018 قـائلاً " إمي صـار يضيق نفسـها ونظرهـا بتشـكي منـو كتيـر وأنـا لهـلق النفـس بضيق عنـدي كتيـر، عنـدي سـعال وديق نفـس وأخـدوا مني خزعتين بالغـوطة ومـا قالـولي شـو طلـع مـعي ومـا أقـدر ارتـاح غيـر لاستخـدم جهـاز الـرذاذ أو المنفسة (جهـاز استنشـاق الأوكـسجين). ومن فتـرة اجتني نفـس هي الحـالة أسـعفوني علـى المشفـى وعملـت تحاليـل، طبعـاً مـو كل التحاليـل لإن غـالية شـوي". وكذلـك هـو الحـال مـع زوج ام أحمـد الذي سـاعد في الإنقـاذ في ليـلة الجريـمة، إذ تـصف حالتـه بعـد الكيمـاوي بأنـه أصبـح لديـه نقـص تـروية ويعـاني من خنـاق في الصـدر ويـعيش فعليـا علـى الأدوية " وهـلق زوجي عـايش علـى المسـكنات وبيصيبـه خنـاق صـدر إذا تـرك بـس حبة وحـدة بـروح علـى العنـاية كـم سـاعة وبيطلـع، والدكاتـرة قالـوا إنـو هـاد بـسبب الكيمـاوي"

يعـاني أيضـا بـعض المسـعفات والمسـعفون من مشـاكل صـحيّة عديـدة. أبـو صخـر المسـعف، لديـه صعـوبة بالتنفـس وشـرح مرضـه قـائلا "من هـداك اليـوم لهـلق عنـدي ديق نفـس وتشنج بالـرئة اليـمين وإيـدي اليـمين بتيبـس ولهـلق مـا بقـدر اتحمـل روائـح"

آثار على الجهاز التناسلي:

بعد اطلاعنا على عدّة مقالات علميّة حول أثر غاز السارين على الصحّة الإنجابية لدى النساء والرجال، لم نجد دراسات كافية حول هذا النوع من التأثير على الجنس البشري، وبالطبع ليس هناك دراسات حول أثر السارين المختلف بين النساء والرجال. بل أنّ معظم الدراسات التي وجدناها تؤكد تجربة غاز السارين على الحيوانات وعدم وجود أثر له على الصحة الإنجابية. وهنا نعلن عدم دعمنا لمثل هذه الدراسات التي تستخدم الحيوانات، بدلا من متابعة حالات إنسانية تعرّضت لهذه السموم في حرب الخليج عام 1991 وفي سوريا منذ عام 2012.

لاحظنا من خلال المقابلات تكرار ذكر حالات الإجهاض التلقائي لدى النساء، وإنجاب أطفال بتشوهات غير مسبوقة. تذكر بيسان المسعفة ارتفاع معدلات الإجهاض لدى النساء اللواتي نجون من الكيماوي وظهور حالات عديدة لتشوهات لدى الأطفال إذ تقول: "صار في كتير إجهاض عند النساء وصار في كتير تشوه بعد فترة أطول بعد الكيماوي للنساء اللي تعرضوا للكيماوي وحملوا بعدين. يجوا الأطفال مشوهين مثلاً بلا إيدين، يعني مرة وحدة اجت تولد نزل الولد بكيس أسود ومصارينه جوى الكيس، وقتا الدكتور قلي إنو بحياتي ما شفت هيك تشوه. والرجال كمان صار عندن مشكلة بالإنجاب والنساء كمان حتى هون بحلب بيسألونا إنو ليه بالغوطة عندكن في مشكلة بالإنجاب"

تذكر أم عبيدة أن عدد من قريباتها عانت من ولادات مشوهة واجهاض تلقائي أثر على صحتهنّ الجسدية فضلا عن أعباء الرعاية لأطفال ولدوا و ولدن مع تشوهات ولادية تقول : "بنت اختي صارت تجيب ولاد بتشوهات، تحبل يكون ما في لا راس ولا اجرين من الكيماوي، وبنت عمي بنتها على أثر الكيماوي نزلت الولد لإن الولد مشوه والّام ما عاشت كتير بعد منها وماتت لإن ما كان في هالتجهيزات ، وقرايبتنا كمان كانت حامل ما يثبت الحمل وبس يثبت إجاها بنت شكلا بخوف متل الخيطان شكلها لساتا مانا كاملة مع إنو ولدتها بالتاسع بس قالوا لها من الكيماوي ، عاشت بس بتحسيها مو طبيعية"

بينما يذكر حسام أنه بعد الكيماوي أصبح هناك الكثير من الولادات لأطفال مشوهة أو حالات إجهاض للنساء في محيطه " عندي أصدقاء إجاهن أولاد مشوهين وعندي رفيق مرتو حملت وبعد 5 أشهر أجهضت زوجته وحتى الطفل كان مشوه "

وأما أم علاء فتذكر عن رؤيتها لأطفال مشوهين وكان السبب الشائع التعرض للكيماوي تقول: "يعني في ولاد ولدوا ما عندن إيدين أو رجلين أو أصابع بسبب إنو الأم متعرضة للكيماوي"

الولادات المشوهة هي حالة تم ذكرها كثيرا ورغم أننا لم نجد دراسات تتفق على ارتباطه بغاز السارين بشكل قطعي، إلا أنه حالة تكرر ذكرها من الناجيات حيث أثّرت نفسيّا واجتماعيّا عليهنّ، وذكرن أن هذا الأمر شكل جل مخاوف النساء الناجيات اللواتي حملن بعد الكيماوي لتمضي المرأة تسعة أشهر إن اكتمل حملها بالخوف والترقب والحالة النفسية السيئة. تذكر أم أحمد حملها وولادتها لطفلتها في الغوطة فتقول: " أنا وقت الكيماوي كنت حامل وكنت خايفة لأن قالوا كتير في تشوهات بالأطفال بس بنتي خلقت كتير ضعيفة ولهلق عم عانى من النحافة معها لأن وقت خلقت كان في سوء تغذية لا حليب ولا أكل".

لا ندري أيضا ما التأثير طويل الأمد على الجهاز الإنجابي للنساء على مدى سنوات ولا على الرجال ولا على الأجيال القادمة، وهذا يحتاج لدراسة معمّقة ومفصلة تقوم بمتابعة بعض الحالات ورعايتها. بل انّه يجب أن تكون هناك جهات خاصة تقدم خدمات طبيّة مجّانية ونصائح للنساء اللواتي تعرّضن للغازات الكيميائية وللرجال أيضا دون أن تكنّ أو يكونوا في مجال أيّة دراسة.

آثار على الجهاز العصبي:

اضطرابات الجهاز العصبي وهو عرض شائع نتيجة التعرض لغاز السارين حيث يكون حدوث الآثار على الجهاز العصبي أعلى لدى الأفراد الذين تعرضوا بشدة للغاز، ويمكن أن تحدث أيضاً في الأفراد الذين تلقوا تعرضا منخفض المستوى أقل، تشمل الأعراض الأكثر شيوعا اضطراب الوظائف المعرفية ومشاعر عدم الارتياح والتوتر والتعب.[86] أشارت العديد من الدراسات إلى أعراض الإصابة لغازات الأعصاب، مثل، تغير شديد ومستمر في السلوك والوظائف المعرفية، وخاصة ضعف التعلم والذاكرة، والتعب والألم واضطرابات المزاج وضعف الإدراك [87] نتيجة لتلف الأعصاب الشديدة في الدماغ التي تنطوي على تنكس الخلايا العصبية [88] ونخر مناطق الدماغ المختلفة بما في ذلك الحُصين المرتبط بتغيير الوظائف المعرفية، الأمر الذي يعزى إليه العديد من الاضطرابات العصبية التي تحتاج إلى فرق طبية لفحصها ومراقبتها. هذا ما تحدث عنه بعض النساء والرجال في المقابلات من أعراض استمرت حتى بعد سنوات من حدوث الجريمة. تحدث أبو محمد وهو من ذوي الضحايا عن تأثر أحد أقربائه بالغاز لدرجة تلف الجهاز العصبي واضطراب الوظائف المعرفية لديه حتى الآن يقول: "وقت الضربة كان الصداع مستمر كتير وعندي أبن اخت هوي الي اتأثر زيادة وصار شبه مجنون ألا شوي وهلق عم يتعالج مانو عنيف بس بحاكي حالو". بينما تتحدث أم علاء عن استمرار آلام رأسها والصداع والتنميل في أجزاء من الجسم وخاصة في يديها.

آثار على الرؤية والجهاز البصري:

ذكر المشاركون والمشاركات أنهم يعانون حتى الآن من مشاكل في العين والرؤية وكلها مشاكل كانت لاحقة لجريمة الكيماوي، مع اختلافات ترتبط بشدة التعرض لغاز السارين. يصف كرم ذلك بكلماته "عندي وجع بعيني كأنه هيك حاطة كمشة برغل بعيني كلو هاد بعد الكيماوي. وتذكر أم أحمد أنها حتى الآن تعاني من مشاكل في الرؤية وألم في العينين.

تعتبر العين والهياكل البصرية الملحقة (على سبيل المثال، الملتحمة والجهاز الدمعي والجفون) أهم عضو حسي في الجسم، وبنية العين معقدة للغاية، وتحتوي على مجموعة متنوعة من الأنسجة ذات الوظائف المتميزة التي تعتمد بشكل حاسم على البيئة الهيكلية والخلوية للوظيفة المناسبة. وبالتالي، فإن أي إصابة تتداخل مع الرؤية يمكن أن تكون مدمرة للغاية أو عاجزة أو حتى مهددة للحياة. درجة انكشاف العين والهيكل الداخلي المعقد لها يجعلها حساسة للغاية للإصابة من قبل مجموعة واسعة من عوامل الحرب الكيماوية.[89] يمكن أن تتراوح المظاهر الأولية بالتهاب الملتحمة الخفيف إلى تقرح القرنية وفقدان الرؤية. شدة الاستجابة هي نتاج الجرعة والعامل والظروف البيئية، ويتم التوسط فيها من خلال التفاعلات المحددة لكل عامل مع البيئة الفسيولوجية والكيماوية الحيوية للعين. في بعض الحالات، قد يتأثر الشفاء من التسمم بشكل كبير بالقدرة التجديدية لأنسجة العين الفردية. [90]

[86] Behavioral toxicity of nerve agents, Handbook of Toxicology of Chemical Warfare Agents, Chapter 33, ScienceDirect, 2020.

[87] Acetylcholinesterase inhibitor exposures as an initiating factor in the development of Gulf War Illness, a chronic neuroimmune disorder in deployed veterans, National Library of Medicine, 2020.

88 Paul Johns BSc BM MSc FRCPath, Cellular mechanisms of neurological disease, in Clinical Neuroscience, ScienceDirect, 2014.

[89] D'Agostino, P. (2005). CHEMICAL WARFARE AGENTS. In Elsevier eBooks (pp. 495–505). doi:10.1016/b0-12-369397-7/00068-6.

[90] Ibid. المصدر نفسه

آثار على القلب:

كان من اللافت ذكر آثار على القلب لدى بعض الرجال. من خلال البحث المكتبي وجدنا أن للسارين أعراض على الجهاز الوعائي أو القلب، وتسبب أيضاً الجرعات الزائدة من الأتروبين وهي المادة التي تم استخدامها كعلاج لحالات الكيماوي اضطرابات في وظيفة القلب.[91] من خلال المقابلات ذكر ثلاثة من الرجال احتياجهم لعمليات جراحية بالقلب بعد فترة من جريمة استخدام السارين، يقول أبو أحمد: "بعد الضربة ركبت قسطرة قلبية كمان فكتير تدهورت صحتي بعد الكيماوي وعايش على المسكنات والمهدئات يعني باخد باليوم شي 12 حبة دواء" حتى الآن يحتاج أبو أحمد لعمل جراحي في القلب مع انعدام القدرة الماديّة للقيام بها. بينما يذكر كرم أنه احتاج لتركيب شبكات في القلب نتيجة حدوث جلطة قلبية يقول: "أنا ركبت من سنتين شبكات بالقلب اجتني جلطة وقف قلبي فقت على الصدمات الكهربائية يعني كلو مو متل الكيماوي".

آثار على الجهاز المناعي:

لا يعمل جهازنا المناعي بمعزل عن تجاربنا الحياتية، فكيف لو كانت التجربة سامّة لدرجة التعرض لغاز الأعصاب. يتم استهداف الجهاز المناعي بشكل خاص من قبل عوامل الحرب الكيماوية والتي تشمل السارين وغازات أخرى.[92] وتُظهر الأدلة من التاريخ الماضي والأحداث المعاصرة أن جميع أنواع عوامل الحرب الكيماوية (Chemical Warfare Agents أو CWAs) مثل عوامل الأعصاب، وعوامل الاستنشاق، وعوامل الدم، لها درجات متفاوتة من السمية المناعية،[93] وينعكس ذلك في مجموعة متنوعة من الحالات المرضية الناجمة عن التعرض الحاد والمزمن. تتأثر كل من الاستجابات المناعية بهذه العوامل، كما يتضح من التغيرات في علامات مناعية محددة مثل عدد خلايا الدم، ومستويات الغلوبولين المناعي، ونشاط البلاعم، واستجابات الأجسام المضادة، وفرط الحساسية من النوع المتأخر.

أثناء إجرائنا للمقابلات ذكر بعض الناجين معاناتهم من أمراض مناعيّة، ولكن لا نستطيع تحديدها نحن كفريق بحثي إنما تحتاج لجهود طبية وأبحاث بإشراف كوادر متخصصة لتحديد السمية والتأثر على الجهاز المناعي.

من بين الحالات حالة أبو بكر وهو شاب يبلغ من العمر حوالي 25 عاما فاجأه داء كرون[94] بعد جريمة استخدام السارين. واجه تحديات في تشخيص المرض في البداية وفي تلقي العلاج لاحقا يقول أبو بكر: "أنا مثلا من لما كنت بالغوطة بعد الحادثة كان معي وجع بأمعائي بعد الكيماوي وعلى المعدة أكتر شي، الوجع، وشوي شوي يزيد، وكل مرة يظهر شي جديد، لوقت ما وصار معي نزيف أكتر شي هوي النزيف، قول انو ما في مشكلة، نزيف عادي، لصرت اخسر وزني بشكل ملحوظ وإسهال وفقدت وزني والشهية وشعري صار يتساقط. وعملولي تنظير انو في أعراض

[91] Aronstam, R., & Patil, P. (2009). Muscarinic receptors: autonomic neurons. In Elsevier eBooks (pp. 1141–1149). doi:10.1016/b978-008045046-9.00692-6.

[92] Gulati, K., & Ray, A. (2015). The immune system as a target for chemical warfare agents. In Elsevier eBooks (pp. 639–655). doi:10.1016/b978-0-12-800159-2.00044-0.

[93] Wang, X., Coppi, A., & Lebrec, H. (2018). T-Cell-Dependent Antibody Response assay: Biology, Methods, and application. In Elsevier eBooks (pp. 376–398). doi:10.1016/b978-0-12-801238-3.64235-6.

[94] داء كرون - المعروف أيضًا بمرض كرون - هو التهاب مزمن يصيب الأغشية المخاطية في الجهاز الهضمي. ويتناوب المرض بين مراحل تكون خالية من الأعراض ومراحل أخرى يسود فيها ألم في البطن وإسهال شديد لدرجة تجعل ممارسة روتين الحياة اليومية بالكاد ممكنة. الأسباب الدقيقة لحدوث داء كرون غير معروفة. حيث يفترض أن العوامل الوراثية والتأثيرات البيئية وأمراض المناعة الذاتية تلعب دورًا في ذلك الصدد

لتقرحات بس ما بسبب نزيف، بعدين قلت لحالي بلكي الضغط النفسي، يعني الخوف، ضليت شي 15 يوم ما رحت على طبيب، صرت كتير نام، ما اصحى أبدا، أخدوني الاسعاف، وحطولي دم لأن قيمي الحيوية نزلت تماما وقلي الدكتور إنو رح نعالجك وإنو حأتحسن بس ما عم أستجيب على الأدوية، ما ضل دوا، سيروم تغذية الصبح والمسا، أوردتي ما عاد طلعت، ايدي صار لونون أزرق. ما عرفانين شو أساس مرضك يعني داء كرون الو أعراض بس الشي اللي عم بصير معك غير، عطوني الابر البيولوجية ما حسنت وقف على رجليي، حولوني على قسم الجراحة وعملت عملية استئصال لقسم من الأمعاء وما استفدت شي ولا استجابة 1% بعد العملية كأنه ما عملت شي، وجع نزيف، قالي الدكتور انو جسمك **متعرض لحالة سموم عالية**، والمناعة عم تهاجم الجسم وسألني الدكتور إنو انت شو صاير معك. قلتله قصتي قلي **ممكن الغازات السامة والسارين والبارود والفوسفور** ". حتى الآن يعاني أبو بكر من عدم الفهم لحالته الصحية وتدهورها يوما بعد يوم

الآثار على الجهاز الهضمي:

للسارين أثار على العمليات العصبية اللاإرادية والهضم واحدة منها رغم أن آثاره قصيرة المدى واضحة على جهاز الهضم (الإسهال والإقياء والمغص) إلا أنه لا توجد دراسات حاسمة تؤكد آثاره طويلة الأمد على الجهاز الهضمي، ولكن آثاره على الجهاز العصبي والمناعي تستمر بالظهور على شكل أعراض ظاهرية في الجهاز الهضمي. تذكر دراسة أنه ربما تظهر آثار عوامل الحرب الكيميائية على الجهاز الهضمي على شكل متلازمات المعدية المعوية الشديدة، مثل القيء والمغص والمخاط الدموي والبراز وقد يصاحبها تلف الكبد (التهاب الكبد واليرقان). ولكن مثل هذه الظروف نادرة نسبيًا في الوقت الحاضر وقد حلت محلها التسمم طويل الامد الذي يتطور ببطء وبشكل ماكر؛ وبالتالي، قد يكون تلف الكبد، على وجه الخصوص، غالبًا ما يكون خبيثًا أيضاً."[95] أكتر من شخص صادفتن عند دكتور الكلى وواحد معو سرطان الكل يقولون الدكاترة متعرضين لغازات سامة" (أبو بكر)

يعاني أبو فراس من مشاكل بالقولون تطورت ليتم استئصاله واستئصال أجزاء من الأمعاء وحتى الآن لم يصل لمرحلة الشفاء أو التعافي "بسنة 2015 صار عندي مشاكل بالقولون زادت حالتي سوء لسنة 2017 صرت خاف أكل وأشرب حس حالي راح أختنق، فالأعراض كانت ضيق بالصدر فعملت صورة طبقي محوري فوجد تضخم بالقولون بشكل غريب. بوقتا الدكتور قرر يستأصل جزء صغير من القولون تحسن وضعي بس بعد فترة صار معي انسداد والتصاق بالأمعاء ورجعوا فتحوا البطن واكتشفوا في متل شلل بالقولون فطلب خزعة من المستقيم فطلعت النتيجة عندي تموت للخلايا العصبية تبدأ من المستقيم وتنتقل للأعلى، فالحل انو في جهاز بدخل الأمعاء من خلف المستقيم و بيفتح فتحة ببداية الشرج والمستقيم بسكرو، وعملتا للعملية من سنة وأموري الهضمية تحسنت وزاد عندي حالات الخروج وإسهال دائم، والإسهال عم يعمل عندي تعب وصار عندي سوء امتصاص وهلق عم آخذ كورسات حديد فبعد 13 جراحة وهلق عم حضر لجراحة جديدة لجدار البطن" العلاج والدعم الصحّي للناجين والناجيات من الكيماوي

من خلال العشرين مقابلة التي تمت ومراجعة مقابلات لأشخاص نجوا ونجون من الكيماوي لم نجد أنه تم التعامل معهم طبيا بشكل خاص أو دراسة الآثار الصحية الممتدة والتي يمكن وصفها بالمزمنة بعد عشرة أعوام من معاناة النساء والرجال من مضاعفات الكيماوي. وإنما حتى في علاج أثر من الآثار لا يتم ربطه بالكيماوي بشكل مباشر أو الخضوع لعلاج للسمية الواقعة على أجهزة الجسم. بل الاكتفاء بمعالجة العرض الظاهر، وبشكل مدفوع ومكلف،

[95] Recent research on Gulf War illness and other health problems in veterans of the 1991 Gulf War: Effects of toxicant exposures during deployment on Gulf War illness and other health problems in veterans of the 1991 Gulf War: Effects of toxicant exposures during deployment - ScienceDirect January 2016.

من خلال زيـارات النسـاء والرجـال للعيـادات عنـد توافـر القـدرة المـاديّة وفي الحـالات الإسـعافيّة. فضلا عن عـدم تـلقي الرجـال والنسـاء لأي برنـامج دعـم وتأهيـل نفـسي رغـم الصدمـات المـركبة التي عاشـوها قبـل وبعـد الكيمـاوي إذ لاحظنـا أنـه حتـى الآن لـم يتـم التعـافي علـى مستـويي الصـحة النفـسية والجسـدية.

خلال مرحـلة المقـابلات ومـا بعدهـا، وجدنـا أنّ تدهـور الحـالات الصحيّة هـو مـا تكـرر ذكـره لـدى كل من تعـرضت وتعـرض لغـاز السـارين، والقـصف والحصـار وغيرهـا من الانتهـاكات. كان لابـد من أن نقـوم بفعـل مـا تجاههـا، لذا قمنـا بتصميـم المـلف الـطبي الذي يتضـمن الحـالات الأشـد احتياجـاً، وبالتنـسيق مـع فـريق الاستجـابة في النسـاء الآن استطعنـا تغـطية تسـعة حـالات ولمـرة واحـدة بمبـلغ مـادي، وتأمين العـلاج لحـالة واحـدة، ولـكن غـالبية الحـالات مزمنة، لذا حاولنـا التنـسيق مـع العديـد من المنظمـات الـطبية العامـلة شـمال غـرب سـوريا ولـكن للأسف لـم نجـد أية قبـول أو دعـم غيـر مشـروط ، لذا نأمـل أن يكـون هذا البـحث ورقة مرجـعية لـدراسة بـرامج تأهيـل ودعـم صـحي وإشـراف وبـحث وتشخيـص للحـالات النـاجية من الكيمـاوي ليـس فقـط في غـوطة دمشق وإنمـا النـاجين والناجيـات من جميـع ضربـات الكيمـاوي في سـوريا والبـالغة 217 مـرة بحـسب الشبـكة السـورية لحقـوق الإنسـان.

أثـر الجريمـة على الصحـة النفسـية للناجيـات والناجين حتى يومنـا هـذ

”أنـا بحـس حـالي منتـهية بـس عـم استنـى اللـه ياخـدني... وضـعي النفـسي تعبـان مـا عـاد إلي أمـل بالحيـاة مـا بـحب حـدا يقـلي كيفـك!“ (أم عبيـدة)

عـاشت أم عبيـدة (56 عامـاً) حيـاة قـاسية ضـمن وضـع اقتصـادي مقبـول قبـل عـام 2011، ثـمّ اعتقـل ابنهـا وتـوفي زوجهـا لاحقـا. في ليـلة جريـمة الكيمـاوي، تـوفّيت ابنتهـا وكان عمرهـا 18 سنة، وفقـدت أم عبيـدة الكثيـر من أقاربهـا وأصيبت هي ومـازالت تعـاني من أمـراض في رئتيهـا، كمـا أصيب ابنهـا وابنتهـا الصغـرى. في تلـك الليـلة، لـم تـلتفت أم عبيـدة لإصابتهـا، قضت كل ليلتهـا تـركض من منـطقة إلـى منـطقة ومن نقـطة طبية إلـى أخـرى أملاً في مـداواة ابنتهـا وبحثـا عن ابنهـا حتـى انهـارت تمامـا بـسبب إصابتهـا. لـم ينتبـه أحـد إليهـا إلا متأخـراً، أصيبت وفقـدت وحوصـرت وهُجّـرت، ثـم بـدأت معاناتهـا اللاحقة للتهجيـر والمعانـاة من الأمـراض المـزمنة. والآن أكثـر مـا يتعبهـا ويخيفهـا مستقبـل ابنتهـا الصغـرى وحـال ابنتهـا الكبـرى الـمتزوجة التي تعـاني من زوج متسـلط يعنّفهـا باستمـرار. وتقف أم عبيـدة عـاجزة أمـام كل هذه الصعوبـات، لا تملـك المـال لإكمـال تعليـم ابنتهـا الصغـرى ولا تملـك القـدرة علـى إنقـاذ ابنتهـا من زوجهـا. وأكثـر مـا يرهقهـا نفسيـا تفاصيـل يومهـا هـو محيطهـا الاجتمـاعي الذي يشـكك في روايتهـا حـول الكيمـاوي ومـا حصـل معهـا ومـع ذويّهـا.

هذا ملخص غير كاف عن بعض ما حدث لإحدى ضحايا جريمة الكيماوي، والانتهاكات الكثيرة الأخرى التي عانت ولا زالت تعاني من آثارها ونتائجها دون أيّ رعاية نفسية، أو صحيّة، أو دعم اقتصادي، أو قانوني يخفف من الضغوط التي تعيشها ويعطيها بعض الأمل والقوّة للاستمرار في الحياة.

كان هذا التعب النفسي الشديد واضحاً خلال المقابلات مع كلّ الرجال والنساء في كلّ تفصيل، في الصوت، الصمت، التنهيدات الطويلة، البكاء، صعوبة التنفس، صعوبة الحديث والاستذكار. وعند سؤالنا مباشرة عن الحالة النفسية أو كيف تصف وتصفين حالتك الآن؟ لم تكن القدرة على الإجابة سهلة أو مباشرة أحيانا، ولم يكن الجواب مفهوماً أو واضحاً أحياناً أخرى. ولكن في كلّ الحالات عكست الإجابات مشاعر مصدومة وصراعات داخليّة لم يتم التعافي منها ولا الاستشفاء من آثارها "يعني من لمّا بلشت احكي عن المجزرة تبع الكيماوي تشنجت، الواحد بيزعل بس يرجع يتذكر الأحداث" (أبو صخر)

ومن خلال مراجعتنا لبعض الدراسات ذات الصلة والتي نضعها في المراجع ضمن الهامش، وجدنا أنّ هناك أثر نفسي وجسدي خاص لمن تعرضوا وتعرضن لغاز السارين، يمكن أن يؤثر سلباً على الوظائف العقلية والأداء اليومي للناجين والناجيات. وتبين الدراسات الحديثة أن التعرض المزمن للسارين يمكن أن يؤدي إلى انخفاض القدرة على التركيز والانتباه، والتأثير على الذاكرة والتفكير واتخاذ القرارات على المدى القريب والبعيد. بالإضافة إلى ذلك، قد يلاحظ الأفراد الذين تعرضوا للسارين تدهوراً في أداء الحياة اليومية مثل القيام بالأنشطة اليومية والعمليات الحركية. [96]

هناك أيضاً العديد من التقارير والدراسات التي تربط اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) بالتعرض لعوامل الحرب الكيماوية وغاز السارين تحديدا مما يتسبب في الشعور المستمر بالخوف والعيش بالذكريات المؤلمة. ويعاني الناجون والناجيات من زيادة ملحوظة في مستوى القلق والاكتئاب، بالإضافة إلى صعوبة ملحوظة في التركيز والانتباه، والتعرض لتغيرات جوهرية في الذاكرة واضطرابات في نمط النوم. بالإضافة إلى ذلك، فإن تأثيرات السارين تؤدي أيضاً إلى تدهور العلاقات الاجتماعية، ويصعب على الناجين التكيف مع نظرة المستقبل المتفائلة. "أنا ما عندي هدف عيش منشانو بس أنا ما عرفانة كمل ما بعرف... صمت " (أم علاء).

ففي دراسة بعنوان "مراجعة منهجية للآثار العصبية طويلة الأمد بعد التعرض الحاد لغاز السارين"[97] والتي أجريت بواسطة مكتب تقييم الصحة والترجمة التابع للبرنامج الوطني للسموم، ومعهد الصحة البيئية الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية (NTP) عام 2019 تم التأكيد على بعض الآثار العصبية والنفسية[98] وربط السارين باضطراب ما بعد الصدمة. ويعتبر علم المناعة العصبية النفسية مجالا طبيا جديدا يربط التفاعلات بين العقل والجسد وهو المجال الذي يبحث الطرق التي تتفاعل فيها النفس، أي العقل ومحتواه من العواطف مع الجهاز العصبي وكيف

[96] Sarin: Potential Long-term Neurological Effects, National Toxicology Program.

[97] Monograph: Systematic Review of Long-Term Neurological Effects Following Acute Exposure to Sarin, June 2019, NIH. GOV.

[98] علم المناعة النفسية العصبية، قنون خميسة، بن سماعين رحيمة، Algerian Scientific Journal Platform، تشرين الأول 2014.

يشكل كلاهما رابطا أساسيا مع دفاعاتنا المناعية. هذا المجال وربطه بآثار غاز السارين الجسدية والنفسية يجعلنا نرى صورة مخيفة للآثار النفسية للسارين ولسنوات عديدة من التعب والكبت والضغط النفسي والذكريات المؤلمة على الناجين والناجيات وأهمها ذكرى جريمة الكيماوي.

"ذكرى الكيماوي كل ما نتذكرها منذايق ومنفكر نسينا بس لساتا حازة بنفسنا وكيف ناس بتحبيها ماتت وبس تفوتي عصفحات تواصل عم يكتبوا إنو كانت تمثيلية بس هلق في ناس عم تتضامن مع هالقضية ولما بتتذكري عيل كاملة انبادت ولهلأ بس قابل بنت خالي رغم ابتسامتها بس ما فينا نتركا لإن أهلا كلن راحوا فهاد الشي ما بروح من بالنا" (يسرى).

" هلق إذا صار معك شي شغلة كانت فوق طاقتك، وقت تتذكريها شو بتحسي؟ أحيانا منكون قاعدين منتذكر شغلات منصير نبكي، في ناس كتير عزيزة علينا ماتوا. في أيام كثير نضحك ونمزح مانا نسيانين بس عم نتناسى."(أبو محمد)

وهنا نجد العلاقة المتبادلة للآثار النفسيّة للمرور بهذه الفاجعة، التعرض للسارين وعيش كلّ ما بعدها مع الأعراض الصحيّة أيضا. فأثر الكارثة وأثر الغاز يسببان آثار جسديّة ونفسية قد لا نستطيع تحديد من هو سبب للآخر، هل الأثر الجسدي للسارين على الجسم والأمراض المزمنة أدّت إلى حالة نفسية متدهورة؟ أم أنّ الحالة النفسيّة الصعبة نتيجة الصدمة والكارثة الإنسانية الفردية والجمعيّة قد أدّت إلى هذه الأمراض المزمنة؟ أم أنّ العلاقة أكثر تعقيدا من كلّ ما نذكره هنا؟ في كتاب الطبيب جابور ماتيه بعنوان" عندما يقول الجسد لا "[99] يعرف الضغط النفسي على أنّه سلسلة معقدة من الاستجابات الجسدية والبيوكيماوية للمنبهات العاطفية القوية من الناحية الفيزيولوجية. فإن العواطف في حد ذاتها عبارة عن إفرازات كهربائية وكيماوية وهرمونية للجهاز العصبي. تؤثر العواطف وتتأثر بنشاط أعضائنا الرئيسية وسلامة دفاعاتنا المناعية وتأثير العديد من المواد البيولوجية المتدفقة التي تساعد في ضبط الحالة الجسدية. إن كبح المشاعر وكتمها يعطل دفاعات الجسم ضد المرض ويربك دفاعاتنا الفيزيولوجية، يشوشها بحيث تنحرف عن مسارها الصحيح عند بعض الناس وتصبح مدمرة للصحة لا حامية لها، الأمر الذي يظهر في عدة أمراض مثل التهاب القولون التقرحي وداء كرون ومتلازمة الإعياء المزمن واضطرابات المناعة الذاتية والصداع النصفي واضطرابات الجلد وبطانة الرحم المهاجرة والعديد من الحالات التي يعتقد بأن القمع العاطفي كان مرتبطا بها، لاحظنا في الآثار الصحية الجسدية وجود أشخاص يعانون من داء كرون وأشخاص عانوا وما زالوا يعانون من مشاكل هضمية وصحية ربما تكون الحالة النفسية أيضاً مؤثرة في تطورها.

[99] Maté, G. (2019b). When the body says no: Exploring the Stress-Disease Connection. Vermilion.

الشعور بالذنب ولوم الذات

يحمل أغلب الناجين والناجيات من الأزمات والأخطار الكبيرة المهددة للحياة حملاً ثقيلاً ومعقداً من المشاعر التي تتأرجح بين لوم النفس والقلق والاكتئاب والشعور بالذنب لنجاتهم وخسارة أقارب أو أصدقاء وصديقات أو حتى أشخاص غرباء من النسيج المجتمعي. وهذا ما يسمى علميّا باضطراب ذنب النجاة[100] وهو نوع خاص من الذنب يتطور ويظهر عند الأفراد الذين تعرضوا وتعرّضن لخطر كبير هدد حياتهم، كالكوارث الطبيعية وغيرها. ظهر بشكل أقل عند النساء منه عند الرجال، فبعض النساء عبّرن انهنّ يفكرن دائما ما الذي كان يمكن ان يفعلنه أكثر "وأنا جبت ولادي قبل الثورة ولهلق بتذكر كيف قدرنا ننقذ ولادنا وقت الكيماوي، لهلق ما عم أحسن اطلع من هي العقدة أنو شو كان لازم نعمل" (روان).

لكن يبدو أن هذا الشعور متضخّم عند الرجال وخاصة من ساهم منهم بعمليات الإنقاذ، فحجم الموت الذي رأوه، الأطفال، النساء، العدد الكبير، الصدمة، إضافة إلى الإصابة بالسارين، كل هذا المزيج أنتج مشاعر صعبة ومركبة حول لوم الذات أو الشعور بالذنب. هذا ما ذكره مباشرة أبو فراس، "فالتأثير الي صار عندي لليوم ما بنساه لأن المناظر الي شفتا ما عم إقدر أنساها بضل عم غص وبدي أبكي مع أنو أنا متدرب على ضبط أعصابي بس كان صعب ما أقدر... ووقت كنت درب الشباب على الموضوع ما يقدروا البعض منن ينهاروا"

في ليلة جريمة الكيماوي، كان معظم حديث أبو فراس حول لوم الذات والتفكير دائما أنه كان يستطيع أن ينقذ أكثر وحتى لديه تساؤلات عن سبب فقدانه لطاقته بعد عدّة جولات إنقاذ خلال ليلة الجريمة، حتى وهو يعلم أنّه فقد طاقته بسبب استنشاقه لغاز السارين. واليوم وبسبب وضعه الصحي المتردي نتيجة كلّ الانتهاكات التي عاشها، هو غير قادر على إكمال مهنته في الإنقاذ بشكل كامل مع الدفاع المدني[101] وهذا ما يزيد العبء النفسي عليه ويجعله فاقداً لأي دافع للحياة

"ما عم بقدر لا أنا ولا أي حدا شاف المناظر بليلة الكيماوي... أنا بطل عندي نفس بشي بحياتي، بطّل الها معنى، ومع وضعي الحالي، ما بحب ساوي شي ولا بحب اطلع على أي مكان حتى بالبيت صارت الحياة باهتة ما في شي متل الأول".

وحاول حسام وهو من المنقذين تجاهل سؤال ظلّ في باله طوال السنوات اللاحقة لليلة الكيماوي وهو "كيف حسوا قبل ما يموتوا؟" ويصف لحظة انهياره بعد جولات الإنقاذ التي قام بها في ليلة الجريمة

"فتت عم أعمل دوش مي، فرجع هون الشريط متل كأنه كنت بكابوس... فأنا ما عاد رجلي يحملوني من الصور الموجودة بذاكرتي من أطفال ونساء بعد الضربة"

[100] ذنب الناجي.. اضطراب ما بعد الكوارث، مبادرون، 18 شباط 2023.

[101] الدفاع المدني السوري، الخوذ البيضاء، الصفحة الرئيسية..

يـعيش أبـو أحمـد، وهـو من الـمنقذين الذين أصيبـوا لاحقـا- حـالة نفـسية صـعبة نتيجة فقـده لأبيـه وأخيـه وعـدد من أقاربـه في مجزرة الكيمـاوي. ولـكن الأصـعب شـعوره بـالذنب بـسبب مشـاركته في دفن والـده وعلمـه لاحقا أنـه لـم يـكن يجب دفن الضحايـا إلا بعـد مـرور 24 سـاعة للتأكـد من الوفـاة "أنـا لازم كنت ضـل صـاحي مشـان سـاعد العالـم، وحتـى قـدرت ادفن أخي وأبي، هي كذكـرى مؤلـمة كتيـر كانت صـعبة. يـعني اطلـع بمصـاب سـوق 16 كيلـو وبـس وصّـل مـا يكـون في مـكان حـط فيـه المصـاب. فبضـل فكـر إنـو أنـا قصـرت مـع حـدا؟ وخصـوصي لمـا عرفنـا إنـو مـا لازم نـدفن قبـل 24 سـاعة هـون كانت الصـدمة الكبيـرة هـل ممـكن أبي كان عـايش؟؟ لأن كان جسـمه دافي وقت الـدفن... صـمت"

ويـصف أبـو فـارس حالتـه: "أنـا قبـل الضـربة كنت شـوف المـوت ألـو رهبة عنـدي. بعـد ضـربة الكيمـاوي، صـار المـوت طبيـعي بالنـسبة لي يـعني أنـا توفـى أبي من فتـرة سنتين بالنـسبة لي أنـا مـا تأثـرت من كتـر الصدمـات يـعني من لحظـات الضـربة لهـلق مـا بمـرق نهـار مـا بتخطـر عبـالي يـعني أنـا شفت كتيـر أشلاء نـاس بـس هي الضـربة كانت أقـوى متـل أنـو تشـوفي طفـل رضيـع ميت كانت من الشغلات الصـعبة كتيـر، بحـاول أنـو أنسـى الصـور والعالـم الي كانت عـم تنـازع بالفتـرات الأخيـرة بـس مـا بنسـى".

أهميّـة الدعـم والـعلاج النفسـي المسـتدام للناجيـن والناجيـات مـن جريمـة الكيمـاوي

نتبـع في قسـم الأبحـاث النسـوية في منظـمة النسـاء الآن منـهجية تقـوم علـى تقديـم الدعـم النفـسي والرعـاية النفـسية للمشـاركين والمشـاركات في الأبحـاث بشـكل عـام وبشـكل خـاص الأبحـاث التي تكـون مواضيعها عن الانتهـاكات الجسيـمة، الفقـد، الصدمـات أو أي تجـربة ذات أثـر عـميق في النفـس الإنسـانية، كمعيـار أخلاقي وإنسـاني. ونظـرا لحسـاسية السياقـات التي تعمـل عليها وحـدة الأبحـاث النسـوية، تـم العمـل علـى تصميـم وتطويـر مرحـلة تـسبق المقـابلات التي تحتـاج سـرداً أو استذكار أحـداث من المـاضي، وهي المرحـلة التمهيـدية للبـحث، والهـدف منهـا استدعـاء الذاكـرة بطـريقة لا تؤذي اصحابهـا وصاحباتهـا. في هذه المرحـلة تـم عمـل ثلاث جلسـات جمـاعية مـع النسـاء من قبـل الاختصـاصيّة الدكتـورة عزيزة البنـا. وكانت من نتائجها أن النسـاء المشـاركات كن قـادرات إلـى حـد مقبـول علـى البـوح والتعبيـر عن مشـاعرهن وذواتـهن. بالمقابـل تـم تنفيذ جلـستين تمهيديـات مـع الرجـال مـع الدكتـور مطـاع بـركات، تضمنتـا الحـديث عن الخـوف وآليـات التعامـل مـع المخـاوف وكيفية مـراقبة الشخـص لذاتـه. أيضـاً تـم الحـديث عن أعـراض الصدمـات والتعامـل معهـا والتعامـل مـع الضغـوط وقـدرة المتحـدث خلال البـوح أو المقـابلات علـى إدارة مشـاعره وفهـم ذاتـه وإشـاراتها، والإجراءات الـواجب اتباعهـا لحمـاية أنفسـهم أثنـاء المقـابلات. وتـم الاستمـرار في تقديـم جلسـات الدعـم -بشـكل جمـاعي أو فـردي للنسـاء والرجال-قبـل وأثنـاء وبعـد المقـابلات. كنّـا كفـريق بـحثي وبمسـاعدة قسـم الحمـاية والدعـم النفـسي في منظـمة النسـاء الآن علـى تواصـل دائـم من النسـاء والرجـال في هذا البـحث للاطمئنـان علـى الحـالة النفـسية ولمعـرفة الانطباعـات حـول طـريقة الدعـم النفـسي المقـدّمة. وبشـكل عـام يمـكن القـول أنّ أثـر الدعـم النفـسي المـرافق للبـحث كان إيجابيـا وسـاعد علـى عـدم تـرك الجـروح النفسيّة الناجـمة عن تذكّـر أو البـوح دون عنـاية ومـداواة.

”أنا كتير مرتاحة بالجلسات الحمدالله وعم أحسن طلع الشغلات اللي خايفة طلّعها، لأن كتير الأزمات ورى بعض، الأقبية والتهجير وكيف كنا عايشين بالأقبية وما في مي ولا في شي. ما عاد في رياحة صار عندي فوبيا، وأنا جبت ولادي قبل الثورة ولهلق بتذكر كيف قدرنا ننقذ ولادنا وقت الكيماوي، لهلق ما عم أحسن اطلع من هي العقدة أنو شو كان لازم نعمل، وبضل فكر أنو الحمدالله نحنا نجينا والله نجانا! حتى وقت الزلزال بقول ياالله كم مرة بدنا نطلع من الموت! مرة كنت أنا وإبني بالطريق قام ضربت راجمة قمت عبطت إبني واتخبينا بالزاوية مشان احميه. بس ضاع موبايلي بتحسي القدر بدو يمحيلنا الذكرى كل الصور راحت والذكريات راحت، بس الذكريات حق لألنا وهاد أبسط حق“ (روان)

لدى أم رامي أيضاً ماضي من الذكريات المؤلمة والفقد وإصابة أولادها بالكيماوي ومسؤولية إعالة الأسرة بعد وفاة زوجها واستمرار هذا الضغط عليها خلال عيشها في أحد دور الأيتام تذكر أنها تصمد من أجل بناتها ومستقبلهن فقط رغم الكثير من التحديات التي تواجهها

”نفسيا أنا لو ما بصبّر حالي، وبشوف الشغلات المنيحة مشان بناتي، وإلّا كانت نفسيتي سيئة وصحتي تعبانة بالمرة. بقول لازم درس البنات هاد الي بهكل همو، بس ما حدا بيعرف شو عم بصير فينا هون وبنتي كيف بدي درسها بالجامعة؟ وبفكر انو إرجع ع سوريا بس شو ح يصير بالبنات؟ كلها أفكار ببالي عم آخذ جلسات مع الدكتورة عزيزة ومرتاحة معها كتير“.

استطاع العلاج النفسي المقدم من النساء الآن التأثير إيجابيا على حالة بعض الرجال والنساء النفسية بشكل ملحوظ وبناء ثقة مع الناجين والناجيات على حد سواء ”الدكتور شخص مريح ولطيف وواقعي والشي الي بطمن وبريح إنو واحد بهالعلم وهالتطور والمعرفة هوي ابن بلدنا وبيئتنا فهاد شي منفتخر فيه “(حسام). علما أنه كان هناك مخاوف حقيقية لدى الاخصائية والأخصائي النفسيين حول قدرة الرجال والنساء على البوح والتفريغ وقبول الرعاية النفسية في بداية العمل.

بالنسبة للنساء كان هناك إقبال ملحوظ على تلقي خدمة الرعاية النفسية إن كانت جماعيّة أو فرديّة، وأبدين مرونة أكبر من الرجال في المشاركة في الجلسات الجماعية بشكل خاص. تقول د عزيزة البنا

”في بداية الأمر كنت أتوقع أن نواجه مقاومة في استقبال فكرة الدعم النفسي على الرغم من الاحتياجات العميقة والضرورية لذلك، فسرد تلك التجارب المؤلمة ومعايشة الصدمات مرة أخرى كان أمراً في غاية الحساسية بالنسبة لهن. كما أنهنّ يعانين من توقف داخلي عن الحياة – وشعور عميق بالحزن والانتهاك للحقوق والقيمة – ومعاناة من المشكلات المترتبة على ذلك سواء أكانت مشكلات نفسية أو عائلية ومنها أيضاً المشكلات المادية والصحية والعلاقات داخل الأسرة الواحدة“.

أمّا بالنسبة للرجال، كانت لديهم رغبة مقبولة في تلقي الرعاية النفسية، ولكن لم تكن فكرة طلب هذه الرعاية سهلة عليهم. إذ يعاني جميع الرجال الذين قابلهم الدكتور مطاع بركات الأخصائي من صعوبة في مسألة طلب المساعدة النفسية أو حتى (طلب موعد لجلسة)، وكان على الفريق البحثي أن يسأل بشكل غير ضاغط مرارا وتكرارا عن حاجة الرجال لتلك الجلسات والتنسيق لها مع الأخصائي. وقد يكون السبب هو عدم اعتياد الرجال على البوح أو طلب المساعدة بسبب التنميط المجتمعي الذي يطلب من الرجل أن يكون حزنه صامت وان يظلّ قويا مهما حصل. ويضاف لذلك الصعوبات التي يواجهونها في التواصل مع البيئة المحيطة بهم، حيث إنهم جميعاً قد (هُجّروا) إلى

بيئة جديـدة، وأن علاقتهـم مـع هذه البيئة سـلبية علـى العمـوم. ويستقبـل أبنـاء البيئة المحيـطة أي أخبـار أو معلومـات حـول معاناتهـم وبالتشـكيك والاتهـام بالمبـالغة والتهويـل، أو بالمقـارنة الظالـمة التي تبـدأ بعبـارة (كان ألمنـا نـحن أشـد وأكبـر) وبإجـراء هذا النـوع من (المباريـات في حجـم الجـراح)، لذلـك أصبـح معظمهـم ميـالاً إلـى التكتـم وعـدم الدخـول في نقاشـات تتضـمن أي شيء عن معاناتهـم السـابقة.

تحتـاج عمـلية التعـافي لبـرامج مصمـمة خصيصـا للنـاجين والناجيـات من الكيمـاوي يتـم فيهـا تحليـل الصدمـات التي عاشـوها وعشنهـا والتي تنعكـس آثارهـا تنعكـس آثارهـا علـى حياتهـم/ن إلـى يومنـا هذا. إذ أن لعوامـل الحـرب الكيمـاوية وخـاصة السـارين آثـار واضـحة علـى الحـالة النفـسية للنـاجين والناجيـات وهـو مـا لاحظنـاه كفـريق بـحثي من خلال المقـابلات والدراسـات والمراجـع ومـا تـم ذكـر بعضـه صـراحة من قبـل الناجيـات والنـاجين. ونتسـاءل عن سبب نسيـان ضحايـا الكيمـاوي بـهذا الشـكل وعـدم تشـكّل أي جهـات مختـصّة دوليّة أو محـليّة تقـدم رعـاية مستمـرّة ومستـدامة لـمن تعرضّـوا لـهذه الجريـمة. لقـد سألنـا الجميـع إن كانـوا وكنّ يتـلقين أيّة رعـاية نفـسية وكانت الإجـابة سـلبيّة من الجميـع، إلا بـعض الأشخـاص مـمن تـمّ تقديـم خدمـات دعـم نفـسي مؤقتة لهـم ولهنّ.نـحن نتحـدث هنـا عن أثـر معـروف عالميـا وطبيـا لـهذه الغـازات علـى الضحايـا من النـاحية النفـسية، فهنـاك دراسـات منذ الحـرب العالـمية الأولـى علـى هذا الأثـر. ففي دراسة باسـم "تأثيـرات الأسـلحة الكيمـاوية النفـسية: دراسة متابـعة لقدامـى المحـاربين في الحـرب العالـمية الأولـى" تبـحث في التأثيـرات النفـسية طويـلة الأمـد للحـرب الكيمـاوية علـى قدامـى المحـاربين في الحـرب العالـمية الأولـى. تقـوم الـدراسة بتقييـم نتـائج الصـحة النفـسية لـدى المحـاربين الذين تعرضـوا لعوامـل كيمـاوية، مـع التـركيز بشـكل خـاص علـى قضايـا مثـل القـلق والاكتئـاب واضطـراب مـا بعـد الصـدمة.[102] وتؤكـد علـى أن "الأسـلحة الكيمـاوية تتـرك تأثيراً نفسيـاً دائماً وقويـاً في كثيـر من الأحيـان. وقـد تـم التعـرف علـى ذلـك خلال الحـرب العالـمية الأولـى عندمـا تبين أن أعـراض التوتـر تحـاكي أعـراض التعـرض الخفيف للغـاز. "وتذكـر دراسة أخـرى حـول ضحايـا هجـوم طوكيـو بغـاز السـارين في آذار من عـام 1995، عن آثـار جسـدية ونفـسية غيـر مفهـومة وتختـلف بـاختلاف مـدى التعـرض لسـموم غـاز السـارين "من خلال تجـربة تقديـم الرعـاية لضحايـا غـاز السـارين في متـرو أنفـاق طوكيـو في أعقـاب هجـوم آذار 1995، لاحظ المؤلفـون العديـد من الأعـراض الجسـدية غيـر المبـررة بالإضـافة إلـى الأعـراض النفـسية. يبـدو أن معظـم الأعـراض الجسـدية لـدى هؤلاء الضحايـا لـم تـكن مرتبـطة بالتسـمم بالسـارين، بـل بالآثـار النفـسية اللاحقة.[103] [104]", وتشيـر دراسة قدمتهـا الأمـم المتحـدة حـول الآثـار النفـسية طويـلة الأمـد لـمن تعرضـوا وتعـرّضن في ضـربة 21 آب من عـام 2013 معتمـدة علـى المقـارنة من النـاجين والناجيـات من الهجـوم الكيمـاوي في الحـرب بين إيـران والعـراق التي نفذتهـا القـوّات العـراقية عـام 1987 و1988 أنّ "وحتـى مـع العـلاج، هنـاك آثـار خطيـرة طويـلة المـدى بالنـسبة للنـاجين من هجـوم غـاز الأعصـاب

[102] Jones, E., Everitt, B., Ironside, S., Palmer, I., & Wessely, S. (2008). Psychological effects of chemical weapons: a follow-up study of First World War veterans. Psychological Medicine, 38(10), 1419–1426. doi:10.1017/S003329170800278X.

[103] Kawana, N., Ishimatsu, S., Matsui, Y., Tamaki, S., & Kanda, K. (2005).

Chronic posttraumatic stress symptoms in victims of Tokyo Subway Sarin gas attack. Traumatology, 11(2), 87–102. doi:10.1177/153476560501100204.

[104] Sugiyama, A., Matsuoka, T., Sakamune, K., Akita, T., Makita, R., Kimura, S., Kuroiwa, Y., Nagao, M., & Tanaka, J. (2020).

The Tokyo subway sarin attack has long-term effects on survivors: A 10-year study started 5 years after the terrorist incident. PloS One, 15(6), e0234967. doi:10.1371/journal.pone.0234967.

الصدمة والقلق والاكتئاب والإجهاد بعد الصدمة بعد الحرب الكيماوية هي عواقب طويلة الأمد على الصحة النفسيّة. [105] **لكن تفتقر هذه الدراسات إلى المنظور الجندري واختلاف الأثر على النساء،** حيث انفردت دراسة واحدة معمّقة قدمتها GPPI حول الآثار النفسية طويلة الأمد على النساء المتعرضات لجريمة الكيماوي، وتداخلها وتقاطعها مع الأدوار النمطيّة والمحدثة خلال النزاعات، وتؤكد أنّه بالإضافة إلى التأثيرات الجسدية، تتحمل النساء أعباء نفسية كبيرة نتيجة أدوارهن في العائلات والمجتمعات. تكشف دراسات تاريخية، مثل حالات العائلات الإيرانية بعد حرب إيران والعراق، عن تأثيرات نفسية طويلة الأمد، بما في ذلك اضطراب ما بعد الصدمة الثانوي (PTSD) لدى النساء اللاتي يعتنين بأفراد أسرهن المتضررين. النساء غالباً ما يستوعبن معاناة أحبائهن، مما يؤدي إلى تطوير أعراض PTSD لديهن، بجانب الضغوط والقلق الناتجة عن موازنة صحتهن الخاصة مع متطلبات الرعاية الجسدية لأحبائهن.[106] وتؤكد فرح يوسف من مبادرة الإصلاح العربي في مقالتها "نظرة جندرية على مجازر الكيماوي في سوريا" على النظر من منظور جندري وتقاطعي للآثار النفسية لجرائم الأسلحة الكيماوية حيث كتبت "توضح هذه الشهادات أن الفهم الشامل للمجزرة يتطلب التدقيق في العوامل المتداخلة خلف الأحداث، بدءاً من الوضع الاقتصادي والاجتماعي وصولاً إلى الظروف الصحية والنفسية التي أثرت على النساء بشكل خاص. وإذا أردنا تحقيق العدالة والمساءلة، يجب أن ننظر إلى هذه الأبعاد والتحديات من منظور جندري، ونتخذ خطوات نحو توثيق الأدلة وتحقيق العدالة لكل الضحايا."[107]

الأثر النفسي على فريق البحث وفريق الرعاية النفسيّة

علينا أن نذكر هنا أننا كفريق بحثي ورغم خبرتنا الطويلة في التعامل مع من عاشوا وعشن انتهاكات كثيرة من اعتقال وتهجير وفقد وتهريب، لم نر ثقلا نفسيا كهذا الذي تحمله ويحملنه ناجيات وناجو جريمة الكيماوي. أثناء عملنا على هذا البحث، واجهنا نحن الباحثات العديد من التحديات النفسية والعاطفية. كان من الصعب علينا عدم التأثر بما يُعرف بـ "الصدمة الثانوية"[108]، حيث أثر فينا سماع قصص الناجيات والناجين المؤلمة وتفاصيل الجريمة المروعة وآثارها المدمّرة على الناجيات والناجين ومجتمعاتهم إلى يومنا هذا. **شعرنا بضغط عاطفي كبير، خاصة خلال المقابلات الاستماع المتكرر إلى هذه القصص والذي كان بمثابة مواجهة مستمرة مع مشاعر العجز والحزن العميق.**

[105] Uribe, C. (2013, September 4). Syrians now face the long-term effects of exposure to chemical warfare - UN Dispatch. UN Dispatch.

[106] Global Public Policy Institute (GPPi). (n.d.). The last straw.

107 نظرة جندرية على مجازر الكيماوي في سوريا، مبادرة الإصلاح العربي، فرح يوسف، 28 آب 2023.

ورغـم أننـا شـعرنا بتعـاطف قـوي مـع الضحايـا، فقـد حرصنـا علـى الحفـاظ علـى أخلاقياتنـا ومعاييرنـا البـحثية النسـويّة وعـدم تقديـم وعـود وآمـال قـد تكـون غيـر قابـلة للتـحقيق. للتعامـل مـع التحديـات النفـسية، حصلنـا علـى دعـم نفـسي من منظـمة "النسـاء الآن"، والذي كان لـه دور كبيـر في مسـاعدتنا علـى معـالجة المشـاعر التي أثارتهـا القصـص التي تعاملنا معها. كما أن حـوارات التفريغ العـاطفي مـع بعضنـا البـعض كانت مصـدراً مهماً للدعـم، حيث سـاعدتنا علـى تبـادل التجـارب والمشـاعر بشـكل مفتـوح، ممـا خفف من الأثـر العـاطفي للعمـل.

لقـد أدركنـا أهـمية أخذ فواصـل منتظـمة للـراحة ومحـاولة إيجـاد تـوازن بين العمـل والحيـاة الشخـصية. ورغـم الدعـم الذي تلقينـاه، كان من الصـعب أحيانـاً تـحقيق هذا التـوازن، وظهـرت بـعض الآثـار علـى صحتنـا العقـلية، مثـل القـلق أو الاكتئـاب. نـحن نـدرك أن العمـل في مثـل هذه الظـروف يمـكن أن يكـون لـه تأثيـرات طويـلة الأمـد علـى صحتنـا النفـسية. لذلـك، نعتبـر أنـه من الضـروري طـلب الدعـم الاحتـرافي إذا لزم الأمـر، والحفـاظ علـى وعينـا بأهـمية العنـاية بأنفسنـا أثنـاء متابـعة هذا العمـل المهـم.

وقـد امتـد هذا الأثـر النفـسي حتـى علـى فـريق الرعـاية النفـسيّة الدكتـورة عزيزة البنـا والدكتـور مطـاع بـركات، الـلذين قدّمـا الدعـم والرعـاية النفـسية للنسـاء والرجـال منذ بـداية العمـل البـحثي. قامـا بذلـك عن طـريق جلسـات تمهيـدية جماعية منفصلـة حـسب النـوع الاجتمـاعي. ثـم خلال البـحث وإلـى يومنـا هذا من خلال جلسـات فـردية حـسب الـرغبة والحـاجة، وجلسـات جمـاعيّة لتقديـم الدعـم النفـسي الجمـاعي.

تقول د. عزيزة:

> "بـعض الحـالات التي قابلتهـا أحـدثت بي ألمـا نفسيـا وتعاطفـا فـاق قـدرتي في وقتهـا، وكان دافعـا لي لطـلب المسـاعدة الشخـصية من قبـل مجمـوعة دعـم نفـسي اتابـع الحضـور معهـا مـرة شـهريا لكـسب المزيـد من الخبـرة الـعلاجية ولتـلقي الدعـم النفـسي والـمؤازرة علـى المستـوى الشخـصي كعامـلة في مجـال الدعـم النفـسي للناجيـات من الـعنف بأنواعـه"

ويذكر د. مطاع وصفا مشابها عن حالته فيقول:
" بالنسبة لي هناك حالات كنت أحاول ألا أدخل في توحد معها نتيجة لتأثري وتعاطفي".

وذكـر كل من المختـص والمختـصّة أهـمية القيـام بأبحـاث ودراسـات في المجـال النفـسي حـول الأثـر المستمـر والمتناقـل عبـر الأجيـال، وأشـارا إلـى رغبتهمـا في العمـل علـى هـكذا نـوع من الدراسـات، إضـافة إلـى أهـمية تقديـم بـرامج دعـم نفـسي وتحليـل نفـسي مستـدامة للناجيـات والنـاجين وإحـالة بـعض الحـالات إلـى مختصـات ومختـصين في المجـال الـطبي.

[108] الصـدمة الثانـوية، أو "الصـدمة بالـوكالة"، هي حـالة نفـسية تنشأ عندمـا يتعـرض شخـص مـا لأعـراض صـدمة نتيجة تعرضـه لتجـارب صـادمة بشـكل غيـر مباشـر، غالبـاً من خلال عملـه مـع الضحايـا الذين يعانـون من الصدمـات. يمـكن أن تؤثـر هذه الحـالة علـى الأشخـاص العامـلين في مـهن مثـل الرعـاية الصـحية، الخـدمة الاجتمـاعية، الإغـاثة الإنسـانية، والصحـافة، حيث يتعرضـون بانتظـام لقصـص وتجـارب مؤلـمة. للمزيـد

Figley, C. R. (1995). Compassion Fatigue: Coping with Secondary Traumatic Stress Disorder in Those who Treat the Traumatized. Brunner/Mazel.

أهميّة الدعم الاجتماعي والاقتصادي المستدام للناجين والناجيات من جريمة الكيماوي

يعيش غالبية من تمّ تهجيرهنّ وتهجيرهم في وضع اقتصادي واجتماعي متدهور إلى حدّ كبير: لقدا تعرّضوا وتعرّضن إلى الكثير من الانتهاكات قبل التهجير، وخلاله وبعده. وللأسف معظم من قابلناهم وقابلناهنّ كانوا أيضاً من ضحايا الزلزال الذي ضرب جنوب تركيا وشمال سوريا في 6 شباط من عام 2023، ممّا زاد من سوء الحالة على جميع الأصعدة ومحى أثر بعض الانتصارات الصغيرة المؤقتة التي استطعن واستطاعوا تحقيقها بعد معاناة، مثل عمل يؤمن بعض الدخل أو بيت للإيجار يحمي من انتقال ونزوح وتهجير جديد، وأطفال قد دخل البعض منهم ومنهنّ وأخيرا إلى مدرسة ليتعلموا. وبالطبع تختلف آثار هذه الانتهاكات والمصائب بين النساء والرجال، فوضعيّة المرأة المسبقة في المجتمع والتهميش والوصم التي تعاني منه نتيجة التمييز المجتمعي والاقتصادي والقانوني المبني على الجنس والنوع الاجتماعي المرتبط به، قبل أن تتعرض لكل الانتهاكات في حالة الحرب والنزاع يزيد من ثقل هذه الصعوبات عليها، إضافة إلى المسؤوليات الجديدة الموكلة إليها من إعالة الأسرة ورعاية شؤونها والبحث عن عمل، ومحاولة إدارة الأملاك في أماكنهنّ الأصليّة.

يظهر بحث "ملكيتي حقّي" الذي قامت به منظمة النساء الآن حول حقوق الملكية لنساء مهجّرات إلى شمال غرب سوريا الأثر النفسي والمجتمعي القاسي للتهجير وفقد الملكيات ومحاولات المطالبة بها على النساء وكل تفصيل من حياتهنّ اليومية وعلى علاقاتهنّ بأطفالهنّ وعوائلهنّ ومحيطهنّ الاجتماعي.[109] وتقول أم سعيد واصفة حالتها النفسية نتيجة الضغوطات بعد التهجير وفقدها لزوجها وتعرضها واطفالها للزلزال

> "بس طلعنا لهون بلشت الأمراض تطلع فينا، بس يرتاح جسمك بتبلش الأعراض فينا وحتى حالتي النفسية وصار قلبي يدق بسرعة وضغطي يرتفع بس الحالة نفسية وخصوصي بعد الزلزال كتير سيئة، تمنيت لو زوجي كان معي بس هي الحسرة الي عندي. "أم سعيد مثال لامرأة تحاول إعالة أسرة كاملة يعاني فيها الأطفال من آثار نفسية نتيجة العنف المعاش ووفاة الوالد "في عندي بنتي بكالوريا بضل خايفة ما بتاكل وما بتشرب بس تسمع صوت وزاد هاد الشعور عندن بعد ما شافوا أبوهن ميت وحتى هي بنتي ما بتطلع عالبرندة الي تصاوب فيها زوجي، وكان أبني كتير متعلق بأبوه ووقت بيقعد يحكيني بقلو معليش سبقنا عالجنة، حتى أبني ما بعبر عن مشاعرو يعني بيمرق عليه فترة بعذبني كتير بس أنا بعرف شو مشكلته، بكون مشتاق لأبوه فبروح بيقعد يبكي لحالو وحتى مرة بس فتنا عالخيمة صار يبكي من غير ما يوقف وصرت أسألو أنو شبك حدى مدايقك ماكان يقلي لتاني يوم أنو متذكر أبوه ومشتقلو".

[109] ملكيتي حقي: ورقة بحثيّة حول انتهاك حقوق الملكيّة في سياق الحرب والتهجير وأثره على النساء السّوريات في شمال غرب سوريا، بيان المالح، وحدة الأبحاث النسوية، منظمة النساء الآن، 2023.

عزلة عن الدوائر المجتمعيّة وتشكيك بعض الناس برواية الناجيات والناجين

يعاني بعض الناجين والناجيات من عدم قدرتهم على التواصل حتّى مع الأهل ممّن تبقوا في الغوطة، وذلك لأنّهم من المهجّرات والمهجّرين من المنطقة، وبشكل خاص لأنّهم شهود وشاهدات على ما حصل في ليلة الجريمة، فهذا يعرّض الأهالي للمساءلة الأمنية التي قد تصل إلى الاعتقال من قبل قوّات النظام السوري وأجهزته الأمنيّة.[110] تقول أم عبيدة: "وهون ما عندي حدا، حتى أملاكنا بالغوطة ما عم نقدر نبيعها لأن قرايبينا ما بيحكوا معنا طالما نحنا بالشمال". هذا بالإضافة إلى استغلال بعض الأقارب لهذه الحالة، واستيلائهم على أملاك من تهجّروا وتهجّرن: "أنا أهلي ما في تجاوب يعني أهلي ما بيحكوا معنا وولاد عمي يعني ما منحكي مع بعض بخافوا يعني بيعرفوا وضعي وإنو عندي أملاك، يعني عمي أجر بيتي وما بشوف شي من المصاري بس الله شايف كل شي الحمدالله" (كرم)

أمّا بالنسبة للرجال فقد ذكر العديد منهم صعوبة الوضع المعيشي واضطرارهم إلى العمل في أكثر من مكان وفي أعمال لا تتناسب وحالتهم الصحيّة لتأمين دخل يسدّ رمق العائلة. وأثّر هذا الوضع المادي المتدهور على الحالة الصحيّة فهم غير قادرين على متابعة العلاج لأمراضهم المزمنة مثل التنفس وأمراض القلب والأمعاء، خاصة في ظلّ غياب جهات تقدّم الدعم الطبّي المجاني للناجيات والناجين من جريمة الكيماوي. كلّ هذا يزيد من الضغوط عليهم ويزيد من عزلتهم الاجتماعية وعدم قدرتهم على التواصل وبناء العلاقات مع المحيط. "بالعادة أنا شخص اجتماعي كتير، بس إذا منجي للحق، الوضع الاقتصادي سيئ، شبيه بالعدم، منحاول ما يأثر على نفسيتنا" (أبو محمد).

وتزداد الأحوال صعوبة في هذه السياقات لدى الناجيات والناجين من جريمة الكيماوي في عام 2013، فهناك أثقال إضافية متعلقة بهذه الجريمة تؤثر على الحياة اليومية والاجتماعية والاقتصادية. تعاني النساء والرجال من حالة نبذ من المحيط الجديد وحتّى من أهاليهم ممن ظلّوا في الغوطة الشرقيّة. تبدأ هذه الحالة بالتشكيك الذي يتعرضون ويتعرضن له من قبل بعض الناس في المحيط الجديد الذي انتقلوا إليه بعد التهجير، التشكيك بما يذكرونه وتذكرنه عن ليلة الجريمة. يبدوا أن بعض الناس في المكان الجديد وحتى بعض الأقارب في أماكن أخرى لا يصدّقون ما حدث، ويتهمون المتحدث أو المتحدثة بالمبالغة أو التخيّل. فيجد الناجون والناجيات أنفسهم في وحدة قاسية بعد أن أغلقت آخر قناة للبوح ولمشاركة المعاناة والتعاطف معها أمامهم وأمامهنّ. يقول أبو بكر "أنا مابخاف من كل شي صار معي بالغوطة، بس التهديدات بالشمال السوري هي إلي خوفتني فبخاف إذكره. نحنا كان إلنا في أقارب بالشام يسألونا إنو عنجد انضربتوا بالكيماوي! يعني في عالم ما صدقت يعني نحنا إذا قرايبينا ما صدقوا إنو ضربنا كيماوي فما حيكون عندك أمل بحدا يصدّقنا." (أبو أحمد). ويقول أبو فارس " في عالم بتحكيلا بفكروا أنو عم نبالغ أو أنو عم نستعطفهون، مثلاً في أتراك ما بصدقونا، بس نحكيلن بفكرونا عم نكذب"

[110] شهود الكيماوي تحت الترهيب، عروة خليفة، الجمهورية، 21 آذار 2019.

أيضاً، تتعرّض بعض الناجيات والناجون إلى تهديدات مباشرة من قوّات أمن النظام السوري بوصفهنّ ووصفهم شاهدات وشهود على الجريمة. تردد البعض بالبوح المفصل حول هذه التهديدات واكتفوا بالإيجاب لتعرضهنّ وتعرضهم وأقاربهم للتهديدات، والبعض ذكرها وطلب منّا عدم تفريغها كتابيًا. هذا جعل الجميع في حالة خوف حتى في الحديث عما حصل، ولولا ثقتهم وثقتهنّ المسبقة بعمل منظمة النساء الآن، كانوا ليمتنعوا عن إجراء المقابلات بحسب ما ذكروا وذكرن.

وحتى من شاركوا وشاركن كشهود أو شاهدات في الآليات المتعلقة بالمساءلة حول هذه الجريمة، أو أردن وأرادوا المشاركة اكتشفن واكتشفوا عدم وجود أيّة برامج حماية للشهود والشاهدات من قبل الجهات الدولية الداعية. روان ذهبت كشاهدة على مجزرة الكيماوي في جلسة مع مجلس الأمن [111] (لن نذكر تفاصيل لحماية روان) قالت إنها لم تتعرض لتهديد لكنها خافت على من حولها خاصة عندما ذكر المسؤولون عن عملية مشاركتها أنهم غير مسؤولين عن حمايتها كشاهدة. وهذا ما أكّد عليه أبو بكر عند قدوم لجنة إلى الشمال السوري تسأل عن شهود مجزرة الكيماوي في زملكا ودوما "إجت لعنا آنسة بريطانية مع لجنة فاتت عالشمال السوري كرمال الكيماوي كانت عن تبع زملكا وعن تبع دوما كمان، فقالت مننصحكن ما تحكوا كتير فيها، احكوا بس لا تصعدوا بالموضوع. يعني الآنسة البريطانية قالت إذا بدكن منطالعكون تحكوا بمحكمة الجنايات الدولية وبتشهدوا بهاد الحكي بس العالم خافت ما حدا استرجى، بتذكر اسمها ميرندا يمكن" كل هذا يزيد من الضغوط النفسيّة والانعزال الاجتماعي للناجيات والناجين من جريمة الكيماوي ويتركهنّ ويتركهم في وحدة في مواجهة كلّ هذه المعاناة بصمت وقهر وأسى، خاصة في غياب جهات تقدّم الدعم الاجتماعي والاقتصادي لهم ولهنّ ولعوائلهنّ.[112]

[111] شاركت روان في تقديم شهادة مرئية عبر فيديو مسجل عُرض في جلسة لمجلس الأمن، تم التواصل معها بواسطة ناشطة سياسية وحقوقية، وثم إخبار روان أنه لا توجد أي حماية لها أو لعائلتها، ولا يوجد أي تعويض مادي. وافقت روان على تقديم الشهادة دون إدراك كامل للمخاطر المحتملة، ولم يتم إبلاغها بتلك المخاطر مسبقاً.

[112] ذكر أبو بكر أنه بعد إصابته وخروجه من الغوطة الشرقية، وأثناء تلقيه العلاج في شمال غرب سوريا، زارت لجنة من الهلال الأحمر التركي برفقة مجموعة من الأشخاص البريطانيين (ثلاثة رجال وامرأة متقدمة بالعمر تدعى ميرندا). قامت هذه المجموعة بإجراء مقابلات مع الجرحى وأبلغتهم ميرندا بشكل شخصي وفردي بإمكانية إيصالهم إلى محكمة الجنايات الدولية، ولكن دون تقديم أي ضمانات أو حماية لهم أو لعائلاتهم، جميع الجرحى عبروا عن مخاوفهم من هذا العرض، خاصة أنهم كانوا في الأسابيع الأولى من تهجيرهم من الغوطة".

الفصل الخامس:

ردود الفعل الدوليّة وآليات السعي إلى العدالة

رد فعل المجتمع الدولي على الجريمة

وهل يمكن أن تفلت من العقاب جهة نفّذت هكذا جريمة باستخدام أسلحة محرّمة دوليًا على منطقة سكنيّة محاصرة على مرأى العالم بأكمله؟

قد يكون هذا السؤال هو أوّل ما يخطر في بال أيّ شخصية كانت موجودة في تلك الفترة أو تقرأ هذا التقرير لأول مرّة. خاصة أنّ بعثة تفتيش دوليّة كانت قد وصلت إلى دمشق قبل يومين أو ثلاثة للتحقيق حول استخدام النظام السوري وقوّاته للأسلحة الكيماوية. وفي ذلك الوقت كان رئيس الولايات المتحدة "باراك أوباما" قد وضع خطًا أحمراً للنظام السوري في حال تمّ استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في المنطقة، وهذا الخط الأحمر يعني استخدام قوّة عسكرية ضدّ النظام السوري. قال الرئيس أوباما خلال جلسة في البيت الأبيض في واشنطن بتاريخ 12 آب 2012، بعد الحصول على تقارير عن استخدام النظام السوري للأسلحة الكيماوية على نطاق ضيّق

" في هذه المرحلة، لم أصدر أمراً بالتدخل العسكري في الوضع. لكن النقطة التي ذكرتها بشأن الأسلحة الكيماوية والبيولوجية هي نقطة حاسمة. هذه قضية لا تهم سوريا فقط؛ بل تهم حلفاءنا المقربين في المنطقة، بما في ذلك إسرائيل. وتهمنا أيضاً. لا يمكننا السماح بوضع تقع فيه الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية في الأيدي الخطأ.

لقد كنا واضحين جداً لنظام الأسد، وكذلك للأطراف الأخرى على الأرض، بأن خطاً أحمر بالنسبة لنا هو أن نبدأ برؤية مجموعة من الأسلحة الكيماوية تتحرك أو تُستخدم. هذا من شأنه أن يغير حساباتي. هذا من شأنه أن يغير معادلتي." [113]

يكتب ديريك شوليت هو مستشار في صندوق مارشال الألماني للولايات المتحدة، وقد خدم في إدارة أوباما في البيت الأبيض ووزارة الخارجية والبنتاغون في مقالة بعنوان "إعادة زيارة خط أوباما الأحمر"، مقتبسة من كتاب "اللعبة الطويلة: كيف تحدى أوباما واشنطن وأعاد تعريف دور أمريكا في العالم". أنّه في عام 2013، بعد أن تجاوزت سوريا "الخط الأحمر" الذي وضعه الرئيس أوباما باستخدامها الأسلحة الكيماوية ضد المدنيين، قرر أوباما طلب موافقة الكونغرس على العمل العسكري بدلاً من الضرب الفوري. هذا القرار غير المتوقع أدى إلى حل دبلوماسي توسطت فيه روسيا، مما أسفر عن موافقة سوريا على تفكيك ترسانتها من الأسلحة الكيماوية. بينما اعتُبر هذا النجاح في إزالة تهديد كبير دون تدخل عسكري، تعرض لانتقادات بسبب ما اعتبره البعض تردداً وإضراراً بمصداقية الولايات المتحدة، مما أبرز عيوب نهج أوباما في السياسة الخارجية رغم تحقيق الأهداف.[114]

إذا بدل أن تتم معاقبة الجهة المجرمة، تقوم روسيا بطرح خطة دبلوماسية من شأنها سحب ترسانة الأسلحة الكيماوية الموجودة لدى النظام السوري. توافق النظام السوري والجهات الدولية على ذلك وتتم عملية التسليم

[113] Remarks by the President to the White House Press Corps, James S. Brady Press Briefing Room, The White House, Office of the Press Secretary, August 2012.

[114] Derek Chollet, 'Obama's Red Line, Revisited: The offhand remark spurred a massive success in Syria. Why does the foreign policy establishment consider it a failure?', Politico, July 2016.

على دفعات وتنتهي بشهر تشرين الثاني من عام 2013، وتنضم سوريا لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية، وتمّ مكافأة منظمة حظر الأسلحة الكيماوية باستلامها جائزة نوبل للسلام في كانون الأول من عام 2013. [115]

ماذا عن الآلاف التي قُتلت؟ ماذا عن جريمة الحرب التي حدثت؟ ماذا عن الآلاف من المصابين والمصابات والأعراض طويلة الأمد لتعرضهم وتعرضهنّ لغاز السارين؟ ماذا عن مبدأ عدم الإفلات من العقاب؟ وعدم تكرار الجريمة؟

إنّه ليس بخط أحمر، إنّه خط أخضر لحكومة الأسد وحلفائه وأيّة حكومة أو حتى قوى أمر واقع على الأرض بأنّ الأسلحة المحرمة دوليّا يمكن استخدامها ضد الشعوب ويمكن الإفلات من العقاب طالما مصالح الدول المسيطرة مثل الولايات المتحدة وروسيا وغيرهما لن تتأثر بهذا الفعل، وطالما أنّ الجهة المجرمة لديها حليف قويّ عسكريا ودوليّا مثل روسيا.

وبالفعل استمرّ النظام السوري باستخدام الغازات الكيماوية، بما فيها غاز السارين وبشكل أوسع غاز الكلور وعلى امتداد رقعة سوريا [116] حتى عام 2021 رغم قرارات مجلس الأمن المتتالية (2118، 2209، 2235) [117] ورغم سحب ترسانة الأسلحة الكيماوية من النظام السوري. يكتب الدكتور محمد كتّوب عن ذلك "لم تتأخر التجاوزات كثيراً، فبعد بضعة أسابيع، وفي شهر تشرين الثاني (تشرين الثاني) من العام نفسه، شهد حي جوبر الدمشقي ضربة كيماوية. تتالت بعدها الضربات، وحملت بعضُها أعراضاً جديدة على المصابين، مثل الضربة على حرستا في آذار 2014، وكأنّ النظام كان يجرب وسائل أو تقنيات أخرى. لكن وبشكل واضح، أصبح الكلورين هو الغاز الأكثر استخداماً في هذه الهجمات، وشهد العام 2015 العدد الأكبر من هذه الضربات – حتى وصلت إلى 69 ضربة كيماوية خلاله لوحده. عملياً، لم يقدم القرار 2118 إلا تشجيعاً على المزيد من استخدام السلاح الكيماوي في سوريا، حتى أن ما يزيد عن 77% من الضربات حصلت بعد هذا القرار. " [118]

للاطلاع على كل الأحداث المتصلة بالأسلحة الكيماوية واستخدامها في سوريا وردود فعل المجتمع الدولي وجهود لجان التحقيق منذ عام 2012 وحتى عام 2021، يمكن قراءة **الملحق ج** الذي يبين الخط الزمني لكل الأحداث المتعلقة بملف الأسلحة الكيماوية، وكل القرارات التي صدرت بخصوصه.

اللافت في التوثيق الزمني للأحداث المتعلقة بهذا الموضوع هو قيام النظام السوري بالكثير من الهجمات حتى بعد انضمامه إلى منظمة حظر الأسلحة الكيماوية في أيلول 2013، وحتى بعد إثبات لجان التحقيق التابعة للمنظمة تورط الجيش السوري بذلك أكثر من مرة. ومن بين هذه الحوادث المثبتة، وجود واستخدام غاز السارين عدّة مرّات بعد عام 2013: في الثامن من أيار عام 2015 "ذكرت وكالة رويترز أن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية (OPCW) أكدت وجود آثار لغازي السارين والفي إكس في مرفق عسكري في سوريا لم يتم الإعلان عنهما. تم أخذ العينات في كانون الأول وكانون الثاني". وفي تاريخ الرابع من نيسان عام 2017 "تم استخدام أسلحة كيماوية في هجوم أودى بحياة العشرات من الأشخاص في محافظة إدلب الشمالية، منطقة خان شيخون، في سوريا.

[115] جائزة نوبل للسلام لجهودها واسعة النطاق للقضاء على الأسلحة الكيماوية، منظمة حظر الأسلحة الكيماوية، كانون الأول 2013.

[116] حسب آخر التوثيقات المكتوبة.

[117] هذه القرارات متعلقة بالأسلحة الكيماوية فقط، ولكن هناك العديد من القرارات الأخرى التي تناولت الموضوع ضمن سياقات أخرى، مثل قرارات مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة التي تتعلق بمساءلة جميع الأفراد والكيانات والحكومات عن استخدام الأسلحة الكيماوية، لا سيما قرارات مجلس الأمن 2118، 2209، 2235، 2314، 2319، وقرارات الجمعية العامة 68/182 (2013)، 70/41 (2015)، 71/69 (2016)، 72/43 (2017)، 182/73 (2018)، 40/74 (2019)، 169/74 (2019)، 228/76 (2021).

[118] الكيماوي السوري بلا خطوط حمراء، محمد كتّوب، الجمهورية، 12 نيسان 2021.

تشير التقارير الأولية إلى أن الهجوم استخدم غاز السارين، وهو مادة عصبية. يعتقد أن النظام السوري نفذ الهجوم نظراً لنوع الطائرات الموجودة في المنطقة في ذلك الوقت. أعلنت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية[119] (OPCW) أنها تحقق في التقارير. نفت سوريا المسؤولية عن الهجوم". وفي 29 من حزيران عام 2017 "أكدت بعثة تقصي الحقائق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية استخدام السارين في هجوم بالأسلحة الكيماوية في خان شيخون في 4 نيسان 2017."

ليس اللافت استمرار النظام السوري في استخدام الأسلحة الكيماوية فهذا متوقّع في ظلّ إفلاته من العقاب، إنّما القدرة على استخدامه رغم كلّ التحذيرات، وضعف وعجز المجتمع الدولي في حماية الشعوب من مجازر وإبادة جماعية، وجرائم حرب رغم توفّر الأدلة الكاملة، وذلك عندما تتوافق الدول "العظمى" أنّ حماية الشعب المستهدف من الحكومات المجرمة ليس أولوية، أو عندما يتم استخدام حقّ الفيتو من قبل روسيا عدة مرّات لعرقلة قرارات مجلس الأمن بما يخص هذا الملف وغيره، وما يحدث اليوم في قطّاع غزّة في فلسطين هو مثال حيّ مؤسف آخر. نتساءل هنا عن صلاحيّة هذا النظام الدولي بشكل عام، وعن مبدأ حق الفيتو ومن تخدم هذه الآليات فعلاً، الحكومات أم الشعوب؟[120]

ونحن هنا لا نتخذ موقفا يطالب بتدخل عسكري في حينها ضدّ الجهة المرتكبة للجريمة، حيث اننّا لا نعرف أصلاً كيف كانت ستكون الحال على الشعب السوري بعد هكذا هجوم، وخاصة اننا لا نثق أنّ النوايا السياسية كانت تصبّ في مصلحة الشعب. لكننا نوضّح ازدواجية المعايير وعدم مصداقية أو شفافية القوانين الدولية والجهات التي تقوم بتوظيفها، وعدم التعامل بشكل جدّي وإنساني مع جهات تستخدم أسلحة كيماوية ضدّ شعوبها. ففي 14 من نيسان عام 2018 شنّت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا هجوماً عسكريّاً على مواقع في سوريا في دمشق وحمص تحتوي على الأسلحة الكيماوية وذلك ردّاً على الهجوم بالأسلحة الكيماوية التي نفذتها قوّات النظام السوري على منطقة دوما في الغوطة الشرقية في السابع من نيسان عام 2018. [121] هذا كان باسم "التدخّل الإنساني" لإيقاف استخدام الأسلحة الكيماوية من قبل نظام الأسد ضدّ المدنيين والمدنيّات. [122] أي بعد 7 أيّام تمّ اتخاذ قرار برد فعل مع توجيه الاتهام إلى النظام السوري، بينما لم يصدر تقرير واحد يضع النظام السوري في موقع الاتهام في مجزرة 21 آب من عام 2013. [123]

والأهم من ذلك كله أنّ هذه النظم السياسية والقوانين الدوليّة قد فشلت في حماية شعب تتم إبادته بكلّ أنواع الأسلحة المحرّمة دوليّا وغيرها لمدّة سنوات، وفي إيقاف الجهة المجرمة وحلفائها من تنفيذ مخططاتها العسكرية. كان يكفي على تلك الأخيرة أن تستخدم ورقة المجموعات الإرهابية لإيقاف أي تدخّل قضائي، سياسي أو

[119] سوريا ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية | منظمة حظر الأسلحة الكيميائية

[120] للمزيد يُنظر: المسار السياسي الكيماوي، صادق عبد الرحمن، الجمهورية، 22 آب 2019.

[121] Syria: US, UK and France launch strikes in response to chemical attack, Julian Borger in Washington and Peter Beaumont, The Guardian, 14 April 2018.

[122] لكن كما أشار المستشار القانوني السابق لوزارة الخارجية الأمريكية هارولد كوه، "[إنه] إذا كان حق التدخل الإنساني رداً على استخدام الأسلحة الكيماوية قائماً الآن بموجب القانون الدولي العرفي، فإن هذا التدخل الإنساني لن يشكل انتهاكاً للمادة 2 (4) من ميثاق الأمم المتحدة لأن هذا الحكم يحظر فقط استخدام القوة "إنه "ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة" و"يتعارض مع مقاصد الأمم المتحدة". وعلى النقيض من ذلك، فإن التدخل الإنساني يتوافق مع مقاصد ومبادئ الميثاق، التي تشمل "الحفاظ على السلام الدولي والأمن الدولي". الأمن"، و"تعزيز وتشجيع احترام حقوق الإنسان"، و"إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب". ولا يهدف التدخل الإنساني رداً على استخدام الأسلحة الكيماوية إلى تهديد سلامة الدولة ولا إحداث تغيير سياسي، ولكن فقط لإنقاذ الأرواح وفرض الحظر العالمي على الأسلحة الكيماوية

Michael P. Scharf,Responding to Chemical Weapons Use in Syria, 51Case W. Res. J. Int'l L.189 (2019)Available at: https://scholarlycommons.law.case.edu/jil/vol51/iss1/13

[123] تقرير لجنة التحقيق الأممية التي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة بشكل خاص في العام 2013 للتحقيق في الحوادث الكيماوية.

عسكري من قبل المجتمع الدولي لإيقاف هذه الكارثة الإنسانية. بل أنّ عدم اتخاذ إجراء حاسم ضدّ النظام السوري وحلفائه قد شجّع المجموعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" على استخدام غازات كيماوية مثل الخردل كسلاح في سوريا.[124]

أمّا بالنسبة للجان التحقيق والتي بدأت عملها منذ جريمة 21 آب 2013، حيث كانت بعثة الأمم المتحدة للتحقيق باستخدام الأسلحة الكيماوية موجودة في العاصمة دمشق[125] كما ذكرنا سابقا بناء على تقارير تفيد باستخدام الأسلحة الكيماوية قبل جريمة 21 آب، فقد كانت جهودها مخيّبة للآمال بحسب ما ذكر الناجون والناجيات. فعلى الرغم من تعاون الأهالي الكامل معها في التوثيقات والأدلّة الحيّة وجمعها لعينات من رفاة الضحايا، إلا أن تقريرها افاد باستخدام السلاح الكيماوي دون توجيه الاتهام للجهة المنفذّة، حيث لا تملك الصلاحية لتوجيه الاتهام.[126]

وقد عملت لجان أخرى على التحقيق في استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا مثل لجنة التحقيق الدوليّة المستقلّة الخاصة[127] Independent International Commission of Inquiry التي أصدرت في مطلع عام 2018 خريطة إنفوغرافية حددت فيها مسؤولية النظام السوري عن 22 هجمة. تم تشكيل بعثة تقصي الحقائق (Fact-Finding Mission(FFM من قبل منظمة حظر الأسلحة الكيماوية في عام 2014 للتحقيق في حوادث عديدة، وأصدرت حتى الآن 24 تقريراً. لا تملك اللجنة صلاحية توجيه الاتهام لأي جهة، بل يقتصر دورها على التحقق من وقوع الهجمات وتحديد نوع الغاز المستخدم.

هذا بالإضافة إلى آلية التحقيق المشتركة التي شكلت من خلال قرار مجلس الأمن الدولي 2235 في آب 2015، التي أصدرت خلال عامين سبعة تقارير، تضمنت اتهام القوات الحكومية السورية في عدة حوادث، منها مذبحة خان شيخون، وحادثة واحدة ضد داعش، ولكن في تشرين الأول 2017، استخدمت روسيا حق النقض ضد تجديد هذه الآلية.[128]

ثمّ تمّ تشكيل فريق التحقيق وتحديد الهوية Investigation and Identification Team من قبل منظمة حظر الأسلحة الكيماوية في يونيو 2018، مع منحه صلاحية توجيه الاتهام. أصدر الفريق تقريره الأول في نيسان 2020، يحمّل النظام السوري مسؤولية ثلاث هجمات كيماوية على منطقة اللطامنة في ريف حماة الشمالي في 24، 25، و30 آذار/ آذار من عام 2017. وتقريره الثاني نيسان 2021 الذي يحمل فيه النظام السوري المسؤولية عن استخدام الأسلحة الكيماوية في غارة جوية ضربت مدينة سراقب مساء يوم ٤ شباط/شباط، ٢٠١٨. وتقريره الثالث في كانون الثاني 2023 الذي يخلص إلى أن القوات الجوية السورية ارتكبت الهجوم بالأسلحة الكيماوية 7 نيسان 2018 في منطقة دوما.

[124] سورية – تقرير منظمة حظر الأسلحة الكيماوية بشأن استخدام الأسلحة الكيماوية في مدينة مارع (24 شباط 2024)، الدبلوماسية الفرنسية، 2024.

[125] Identical letters dated 13 December 2013 from the Secretary-General addressed to the President of the General Assembly and the President of the Security Council.

[126] تقرير لجنة التحقيق الأممية التي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة بشكل خاص عام 2013 للتحقيق في الحوادث الكيماوية.

[127] أنشأ مجلس حقوق الإنسان لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية في 22 آب 2011 بموجب القرار S-17/1. وتتمثل ولاية اللجنة في التحقيق في جميع الانتهاكات المزعومة للقانون الدولي لحقوق الإنسان المُرتَكَبَة في الجمهورية العربية السورية منذ آذار/ آذار 2011. كما كلف مجلس حقوق الإنسان اللجنة بالوقوف على الحقائق والظروف التي قد ترقى إلى هذه الانتهاكات والجرائم التي ارتُكِبَت، وتحديد المسؤولين عنها، حيثما أمكن، بغية ضمان مساءلة مرتكبي هذه الانتهاكات، بما فيها الانتهاكات التي قد تشكل جرائم ضد الإنسانية. ومدد مجلس حقوق الإنسان ولاية اللجنة بشكل متكرر منذ ذلك الحين، وآخرها في 4 نيسان 2024 بموجب القرار 55/22.

ومُنِحَت اللجنة أيضاً، بالإضافة إلى ولايتها العامة، صلاحيات خاصة للنظر في أحداث معينة في الجمهورية العربية السورية. ففي العام 2012، طلب مجلس حقوق الإنسان إلى اللجنة إجراء تحقيق خاص على وجه السرعة في الأحداث التي وقعت في الحولة (S/19-1)، وفي العام 2016 في الأحداث التي وقعت في حلب (القرار S-25/1)، وفي العام 2018 في أحداث الغوطة الشرقية (37/1)، وفي العام 2020 في الأحداث في إدلب ومحيطها (القرار الصادر في 22 حزيران 2020) وطلب منها أيضاً في العام 2020 إعداد تقرير خاص بشأن الاعتقال والاحتجاز التعسفيين (القرار 44/21 المؤرخ 17 تموز 2020 44/21).

[128] الكيماوي السوري بلا خطوط حمراء، محمد كتّوب، الجمهورية، 12نيسان 2021.

هل يتوقف تحقيق العدالة على الآليات الدولية الرسميّة؟

في ظل هذا الخذلان الكبير الذي عاشه وما زال الناجين والناجيات من جرائم الأسلحة الكيماوية في سوريا، لم تتوقف جهود الضحايا والنشطاء على الآليات الرسمية رغم أهميتها بالطبع. فقد تشكلت روابط بقيادة الضحايا وذوي الضحايا من الناجين والناجيات للمطالبة بحقهم في المحاسبة وتحقيق العدالة، وتوثيق قصصهم وقصصهنّ، والتعاون قدر الإمكان مع جهود التوثيق والتحقيق الجارية من جهات دوليّة ومحلية، وبالطبع لتخليد ذكرى الضحايا ولعدم نسيان ماحدث. نذكر منها رابطة ضحايا الأسلحة الكيماوية (AVCW)، رابطة مهجّري زملكا، ورابطة مناهضة إنكار المجازر باستخدام السلاح الكيماوي.

وقامت العديد من المنظمات المدنيّة السورية بتخصيص حملات وفعاليات لتذكر بهذه الجرائم الجسيمة باستخدام الأسلحة الكيماوية، وتطالب بحقوق الضحايا ومحاسبة الجهات المجرمة وتحقيق العدالة من وجهة نظر الناجين والناجيات مع توثيقات شفهيّة وبصرية، ومنها منصة حملة لا تخنقوا الحقيقة، وأيضاً منصة الأرشيف السوري التي أنشأت قاعدة بيانات بالهجمات الكيماوية ضد المدنيين والمدنيات في سوريا، والشبكة السورية لحقوق الإنسان التي قامت بتوثيق الهجمات وأعداد الضحايا ونشر تقارير حقوقية حول الكيماوي، ومركز توثيق الانتهاكات الكيماوية في سوريا

ومن الناحية القانونية التوثيقية فقد سعت ولا تزال العديد من المنظمات السورية بشكل جماعي وأحيانا بالتعاون مع منظمات دولية داعمة بتقديم شكاوى جنائية، كتلك التي قدمها المركز السوري لحريّة الاعلام والتعبير، والأرشيف السوري، ومبادرة العدالة للقضاء الألماني عام 2020، نيابة عن ضحايا الهجمات الكيماوية بغاز السارين، وبشكل خاص جريمتي 21 آب 2013 في الغوطة الشرقية لمدينة دمشق، وجريمة 4 نيسان 2017 في منطقة خان شيخون في ريف محافظة إدلب.[129]

وتبحث المنظمات السورية الحقوقية والنشطاء والناشطات عن حلول وأبواب جديدة غير تلك التي سدّت في وجوههم مثل باب مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية المحكومتين بالفيتو، **قامت هذه المنظمات والأفراد بالتعاون مع جهات دوليّة بتقديم شكاوى جنائية إلى وحدة الجرائم ضد الإنسانية في محكمة باريس القضائية عام 2021،** والتي تكللت بإصدار أربع مذكرات توقيف في تشرين الثاني 2023 ضد الرئيس بشار الأسد بتهمة التواطؤ في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في الهجمات الكيماوية القاتلة التي وقعت في آب 2013 (5 آب و21 آب). طلب مكتب المدعي العام الوطني لمكافحة الإرهاب بإلغاء مذكرة التوقيف بسبب الحصانة الشخصية للرؤساء أثناء وجودهم في السلطة. تم رفض هذا الطلب من قبل محكمة الاستئناف في باريس بتاريخ 26 حزيران 2024. وبالتالي صادقت المحكمة على مذكرة التوقيف بحق بشار الأسد.[130 , 131]

[129] بيان صحفي: المركز السوري للإعلام وحرية التعبير ومبادرة العدالة والأرشيف السوري يقومون بتقديم أول شكوى جنائية نيابة عن ضحايا الهجمات الكيماوية بغاز السارين، 2020.

[130] محكمة فرنسية تؤيد مذكرة توقيف بحق الأسد في سوريا بشأن الأسلحة الكيماوية، رويترز، 26 حزيران 2024.

[131] القضاء الفرنسي يصادق على مذكرة توقيف بحق بشار الأسد بشأن هجمات كيماوية في سوريا، فرانس 24، 26 حزيران 2024.

ولم تتوقف المساعي هنا، بل قامت مجموعة من المؤسسات الحقوقية والمدنية السورية، وروابط ومجموعات الضحايا وذويهم والناجيات والناجون من الهجمات الكيماوية في سوريا في 30 تشرين الثاني 2023 بنشر بيان يطالبون فيه بإنشاء محكمة استثنائية للأسلحة الكيماوية[132] لمحاكمة مستخدمي الأسلحة الكيماوية دوليًا في الحالات التي لا يمكن اللجوء فيها إلى المحافل الجنائية القضائية الدولية القائمة، كما هو الحال في سوريا. [133]

على الرغم من كل الألم والتعب والحزن الذي يحمله ويحملنه ذوي الضحايا والناجون والناجيات، رغم الأمراض المزمنة في الأجساد، والجروح النفسية المفتوحة، ورغم كلّ الخذلانات الإنسانية على جميع الأصعدة، لا زالوا يقاومون ويقاومن يوميا للمضي في الحياة، ويقاومون ويقاومن سياسيا لتحقيق العدالة.

ولا ندّعي هنا أنّ هذه الروابط يمكن أن تمثّل جميع الضحايا أو تجسّد مطالب العدالة الخاصة بهم، وخاصة النساء، فمن خلال بحثنا وجدنا أن مفهوم العدالة والمطالبة ما زال معمماً ولا يأخذ بالحسبان اختلاف أثر الجرائم على النساء ومنظورهنّ الخاص بالعدالة. وهذا ليس حكرا فقط على روابط ضحايا الكيماوي فحتّى المسارات الدوليّة القضائية مازالت تفتقر إلى منظور جندري في تحليلها للأدلة ولأثر هذه الجرائم على النساء، وهذا ما حاولنا تسليط الضوء عليه في هذا البحث، وهذا ما ندعي كلّ الجهات العاملة على هذا الملف لأخذه بعين الاعتبار كعامل أساسي للوصول إلى عدالة شاملة.

وفي سؤالنا خلال المقابلات عن معنى العدالة التي يطلبها وتطلبها الناجيات والناجون ممّن شاركوا في هذا البحث، وجدنا اختلافاً بين منظور الرجال والنساء. بالطبع طالب الجميع تقريبا بمحاسبة النظام السوري وقوّاته ورأس هذا النظام بشكل خاص. إنّما ربطت بعض الناجيات العدالة بالعودة الأمنة وبالكرامة، بتحرير المعتقلين والمعتقلات، وبالاهتمام بأوضاع الناجين والناجيات الصحية والإحساس بالأمان، وإحداهنّ طلبت الانتقام. بينما طالب معظم الرجال بالمحاسبة للنظام من أجل الضحايا وذويهم والناجين والناجيات ولأجل الأجيال القادمة. وكانت هناك إجابات من بعض النساء والرجال أنّ العدالة لم يعد لها مكان بعد كلّ هذه السنوات والإفلات من العقاب واستمرار ارتكاب النظام وحلفائه للجرائم دون محاسبة. وأشار النساء والرجال بشكل مشترك إلى الوضع المزري للسوريين والسوريات في النزوح ودول الشتات على جميع الأصعدة، إلى الخوف والتعب وعدم الأمان في غياب حلّ سياسي ومحاكمات عادلة.

"أنو يروح النظام وكل مين شارك معو، ونرجع مرفوعين الراس بتصير سوريا أحلى بلد، لأن السورين مافي منن وين ما راحوا آمين". (أم رامي)

"الإعدام لهاد الشخص (بشار الأسد) إذا قالولي أنو والله عمل حكومة انتقالية بشرط أنو يطلع برى البلد ويتخبى بروسيا فما بدي هيك يطلع من البلد لأن هيك ماحتوصل عدالة للضحايا. مع أنو أنا ما حدا انصاب من المقربين لألي بس كل الي ماتوا أنا بعتبرهن أنو أنا من أهلن، أهل الضحايا. في عالم ماتت كل عيلتا وماضللن حدا هدول كيف ممكن يكملوا وشو بكون شعورن!!" (أبو فراس)

[132] تنبع الدعوة إلى إنشاء محكمة من القاعدة عالمية التي تدعمها المعاهدات والقرارات القوية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والجمعية العامة للأمم المتحدة وكذلك منظمة حظر الأسلحة الكيماوية. وسيتم إنشاء المحكمة بموجب معاهدة متعددة الأطراف وقعتها عدة دول من جميع أنحاء العالم. ومن شأن هذا التنوع الجغرافي أن يزيد من تعزيز شرعية المحكمة. ستجتمع هذه الدول معا لمقاضاة الجرائم بشكل جماعي والتي يمكنها مقاضاتها بشكل فردي إذا أرادت ذلك. وسيفعلون ذلك من خلال "تفويض" حقهم الموجود، بموجب معاهدات مختلفة وكذلك الولاية القضائية العالمية، لمقاضاة جرائم الأسلحة الكيماوية. يمكنهم القيام بذلك بغض النظر عن ممارستهم الفعلية في مقاضاة تلك الجرائم محليا لأنهم يفوضون حقهم السيادي في مقاضاة تلك الجرائم، وهو حق موجود لجميع الدول، بدلا من الطريقة التي يختارون بها القيام بذلك محلياً. هذا الشرح مقتطع من صفحة بعنوان "الأسئلة الشائعة حول موقع المحكمة الاستثنائية المعنية بالأسلحة الكيماوية"، منظمة بيتنا.

[133] نص بيان مطلب إنشاء محكمة استثنائية للأسلحة الكيميائية 30/تشرين الثاني 2023.

”يتحاســـــب الـلي كان الســـبب علـى هي الـمجزرة والـلي بقي من هي الـمجزرة تتابـع حالتـو وعلاجـو وإحتياجاتـو“ (أم علاء)

”لما نشـوف المجـرمين علـى راسن بشـار الأسـد وكل شي دعمـوه بالمحاكـم الـدولية يـعني متـل ماصـار بتشيكوسـلوفاكيا، وطبعـاً في دلائـل وكلهـا موجـودة قانونيـاً. وبأمـر منـو مباشـر صـارت ضربـات الكيمـاوي كلا مـا عـدا كـم ضـربة صـارت بالبـاب الي هنن داعش والي هنن قسـم من المخابـرات السـورية. فمطلبنـا العـدالة تاخـد مجراهـا والقضية حتضـل متـاحة وصوتنـا حيضـل موجـود ونحنـا عمنشتغـل بالقانـون وعمنطـالب القانـون ياخـد مجـراه والسيـاسة تبعـد عن القانـون“ (أبـو فـارس)

”في نـاس مثلاً بتلـومني إنـو ليـه ماضـليتي مـع بيت حمـاكي بالغـوطة، بـس أنـا مابـدي ضـل بهـداك المـكان. بـس نحنـا بدنـا المحـاسبة ونحنـا طلعنـا لتـحقيق الحـرية وعـايشين بالشـمال المحـرر، بـس مانـا أحـرار مقيـدين كتيـر. والعـدالة إنـو نطالـع المعتقـلين، هـدول الوجـع الأكبـر، أنـا عشت هـاد الشـعور بـس اعتقـل أخي شي 60 يـوم، أنـا عشت سـعادة بيـوم عـرسي وسـعادة إنـو جبت ولـد بـس السـعادة إلي شفتـا بـس طلـع أخي أحلـى سـعادة حـسيت فيهـا فلهيـك إذا طلعـوا المعتقـلين بتنـسي ولادهـا للوحـدة إلي ماتـوا بالكيمـاوي. “ (يسـرى)

”محـاسبة النظـام السـوري علـى ارتـكاب مجزرة الكيمـاوي بمحكـمة العـدل الـدولية ومحكـمة الجنايـات الـدولية إنـو يتحـاسب بشـار الأسـد لإن هـوي المسؤول الرئيـسي عن كل شي صـار جرائـم وقتـل بسـوريا وإنـو يتـم محـاسبة الضبـاط والـدول إلي سـاعدت النظـام بـهي الجرائـم. صـار في كتيـر استبـداد بالعالـم بـس الشي إلـلي شـافو الشـعب السـوري ماحـدى شـافو ولا مـر علـى أي بلـد بالعالـم ونحنـا كسـوريين كنـا داخـل منـاطق محاصـرة إنـو يضـرب النظـام كيمـاوي بـدون محـاسبة. ؟“(حسـام)

”مـافي عـدالة لـو في عـدالة بحاكمـوه، يـعني بـس مـو مجزرة الكيمـاوي صـار في مجـازر كتيـر، يـعني مـا منقبـل غيـر يتحـاسب والله يفرجينـا هـاد اليـوم “(أم أحمـد)

”انـو يتحاكـم النظـام ونشـوف النظـام والمجـرمين الي سفكـوا هالـدم، هالعصـابة المجـرمة الي صـعب تلاقي بـدولة عـربية تـانية متلا هـاد الحقـد مانـو موجـود عنـد حـدا مـافي رئيـس عنـدو هالجـرأة يقتـل شـعبو وحـاول يزور حقـائق، وخصـوصي أنـو صـار يقـول أنـو الارهـابين هنن الي ضربـوا، فمابعـرف مـافي حـل مـع هالنظـام صـعب تشـوفيو وتـعيشي مـع هيـك نظـام، خلينـا متهجـرين أحـسن فانشـالله تتـحقق العـدالة “. (فـاروق)

”العـدالة الوحيـدة الـلي ممـكن تصيـر إنـو يتحـاسب كل حـدا كان إلـو إيـد بـهي الـمجزرة من قتـل نسـاء وخنق أطفـال مـو بـس محاكـم مـو بـس إدانـات لا يتحـاسب شخصيـاً“ (بيسـان)

”إلي ماتـوا الله يرحـمن أمـا بالنـسبة لبشـار الأسـد، الله ياخـدو ويخلصنـا منـو ومن طغيانـو ومن الخـونة. نحنـا بدنـا الـحق يبـان والـمخفي يظهـر وكل شي يبين علـى حقيقتـو. بدنـا ولادنـا بـس يكبـروا يعرفـوا مين المنيـح ومين العاطـل ومين حـارب معـك ومين حـارب ضـدك “ (أبـو صخـر)

”ماممكن يصير شي يحقق عدالة، راح قول هاد المثال انو لو تحاكم بشار الأسد ماحتصير عدالة كل الدول تركتو يشتغل على كيفو، متل ما بدو عم يساوي يعني من 12 سنة لتاريخ اليوم ماحدى عمل شي يعني أدانوه بمجلس الأمن بس شو يعني؟ الناس بتدين بعض بس ماصار شي يعني مافي دولة بتقدر تشيلو؟ طبعاً بيقدروا بس مابدن مصالح بعض يعني وجهة نظري ما ممكن يصير شي يصير في عدالة لهيك بحس مافي عدالة، يعني قديش في معتقلين ومهجرين وميتين، ماحدى مهتم فينا وصرنا منبوذين، صار حرف ساقط صار عنا حلم نحنا كسوريين شوية حرية نتنفس نروح بدون ما ارجع لجهة اسال انو ممكن ساوي؟ ساوي عيش حياتي يعني اللي قاعدين بتركيا كل الوقت خوف من الترحيل على سوريا خوف وغلا وحتى بأوروبا والشمال السوري كلو خايف، حتى بمناطق النظام“ (أبو بكر)

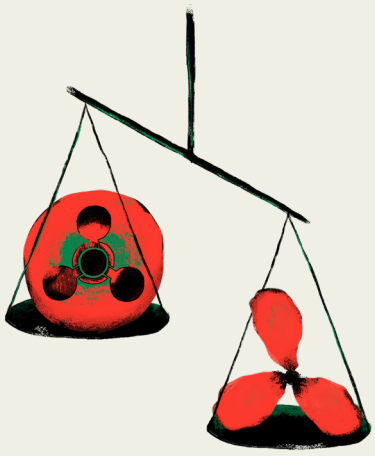

التوصيات

بناءً على التحليل العميق لآثار الهجوم الكيميائي الذي نفذته قوات النظام السوري، يكشف هذا البحث عن الفجوات الواسعة في استجابة المجتمع الدولي والوطني تجاه معاناة الناجيات والناجين. لم يكن هذا الهجوم مجرد اعتداء عسكري عابر، بل كان جريمة تتجاوز حدود الإنسانية، تاركة وراءها جروحاً عميقة وممتدة في نسيج المجتمع السوري.

تستهدف هذه التوصيات معالجة أوجه القصور في الاستجابة الحالية، مع التركيز على ضرورة تحقيق العدالة والمحاسبة للجهة المسؤولة، وهي النظام السوري. إن استمرار إفلات هذا النظام من العقاب لا يفاقم فقط معاناة الضحايا، بل يعزز أيضاً استمرار تكرار هذه الجرائم.

في ضوء النتائج التي يقدمها البحث، يتضح بشكل جلي التفاوت الجندري في تأثيرات الهجوم الكيميائي، حيث تعاني النساء عبئاً مضاعفاً يتجلى في تحديات صحية ونفسية واجتماعية تتطلب استجابة متكاملة ودقيقة تأخذ في اعتبارها الأبعاد الجندرية. إن الاختلاف في تأثيرات الهجوم بين النساء والرجال يبرز الحاجة الملحة إلى تبني مقاربة نسوية وتقاطعية في عمليات التوثيق والعلاج. وهذا يتطلب استجابة شاملة ومصممة بعناية لكل حالة على حدة، مع الأخذ في الاعتبار الفوارق الجندرية واحتياجات كل مجموعة من الضحايا.

تدعو التوصيات التالية إلى تبني نهج نسوي في معالجة الآثار الصحية والنفسية للهجوم الكيميائي، مع التركيز على تقديم دعم متكامل ومستدام للناجيات والناجين. يجب أن تتضمن الاستجابة الصحية والنفسية جميع الأبعاد الجندرية، وتوفير رعاية متخصصة تراعي الفروقات الفردية بين الضحايا. إن تعزيز العدالة والمساواة في جميع مراحل التعامل مع هذه الأزمات يُعد خطوة حيوية نحو ضمان حقوق الضحايا وتحقيق العدالة الفعّالة والمستدامة.

تعزيز العدالة والمساءلة

حتى هذه اللحظة ما زال رأس النظام السوري بشار الأسد قادر على ارتكاب جرائم باستخدام السلاح الكيميائي دون رادع وهذا يثبته استمراره بارتكاب هذه الجرائم حتى بعد انضمامه لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية في تشرين الأول 2013 وبعد سحب ترسانة الأسلحة الكيماوية منه. مسؤولية نزع السلاح الكيميائي هي مسؤولية عالمية بالتزامن مع المحاسبة على الجرائم، لذلك نوصي بمتابعة الجهود القانونية المحليّة والدوليّة لمحاسبة المجرمين من النظام السوري، وكلّ من ساعد على التخطيط لها وتنفيذها. هذه المساءلة تأخرت إحدى عشر عاما، وهذا التأخير بحد ذاته جريمة لمعنى الإنسانية، وزيادة في أثر الجريمة على من نجوا ونجون منها، وخوف للبشرية جمعاء أن مثل هكذا جرائم يمكن أن تحدث، ولا تحاسب الجهة المجرمة، بل تفلت من العقاب، ولا يتم تحقيق العدالة للضحايا.

تطبيق عدالة تضمينية وتقاطعية من خلال إشراك وتمثيل نوعي للناجيات والناجين في كل مراحل القضايا الخاصة بهذا الملف كي يتم تضمين مفاهيمهنّ حول العدالة التي يطلبونها بشكل شامل، مع التركيز على الأبعاد الجندرية للجريمة في التوثيق والتحليل، وتقديم رعاية نفسية مستمرة لكل من تشارك ويشارك في المقاضاة أو أي إجراء يتعلق بهذا الملف.

عدم ترك حِمل هذا الملف على الناجيات والناجين فقط، وزيادة المناصرة تجاهه لتشارك الجهات الدولية المهتمة والفاعلة والحكومات التي لديها الإرادة في محاسبة الجهة المجرمة وإحقاق الحق والعدالة للناجيات والناجين والضحايا، وضمان عدم تكرار هذه الجريمة لأي شعب. وذلك من خلال الدعم الفعّال والمتواصل لمطلب المحاسبة الجنائية الذي يقوده سوريون وسوريّات كمسار بديل عن المسار المجمّد لمحكمة الجنايات الدولية للتحقيق بجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها النظام السوري والمجموعات الإرهابية في سوريا، والذي يعترضه دائما استخدام روسيا والصين لحق الفيتو ضدّه.

الرعاية الصحية المستدامة للناجيات والناجين وذوي الضحايا

نوصي بتقديم رعاية طبيّة مباشرة وسريعة للنساء والرجال ممن شاركوا وشاركن معنا في هذا البحث. لدينا كلّ المعلومات الطبيّة والتي حصلنا عليها بعد الموافقة. حاولنا كثيرا التواصل مع عدّة جهات في الداخل السوري وفي تركيا وأوروبا لكنّ الاستجابة كانت إمّا معدومة، أو عاجزة، أو بطيئة. إنّ الأوضاع الصحيّة التي يعانون ويعانين منها مزمنة وبحاجة إلى رعاية مستعجلة ومستدامة ومجّانيّة، وإحالة إلى مراكز متخصصة مع دعم مادي ولوجستي لتغطية كلّ النفقات، حتى لو تطلّب الأمر النقل إلى بلد آخر.

نوصي بالتفكير السريع لتنفيذ برامج طبيّة علاجيّة ووقائيّة مجّانية لكل الناجيات والناجين من جرائم الأسلحة الكيماوية في سوريا ومن كلّ الضربات التي حدثت من قبل النظام السوري أو أي طرف آخر. بحيث تقوم المراكز بفحص الحالة الصحيّة، تشخيص الأمراض وعلاجها، وتقديم المعلومات والأدوية اللازمة للوقاية من أيّة أمراض متوقعة على الأشخاص المصابين والمصابات وعلى أطفالهنّ وحتى على الأجيال القادمة.

تقديم برامج طبيّة علاجيّة ووقائية مجّانية خاصة بالنساء الناجيات من جريمة الأسلحة الكيماوية، وتقديم كلّ ما يمكن للحدّ من الأمراض الحاليّة، وإيلاء اهتمام خاص بصحّة الجهاز الإنجابي والآثار الصحيّة المتعلقة به على جسد المرأة الناجية، وعلى كل ما يتعلق بالحمل والإنجاب والمخاطر المتعلقة بها.

الرعاية النفسيّة المباشرة والمستدامة للناجيات والناجين وذوي الضحايا

إن الحالة النفسية للناجيات والناجين من الهجمات الكيماوية تتأثر وتؤثر بشكل كبير على مختلف جوانب حياتهم، بدءاً من التفاعل الاجتماعي وصولاً إلى الصحة الجسدية. تعاني هذه الفئات من مشكلات نفسية عميقة مثل القلق المزمن، والاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة، بالإضافة إلى مشاعر فقدان الأمل والألم العاطفي المستمر. هذه المشكلات النفسية لها تأثيرات جسدية واضحة، حيث يمكن أن تؤدي إلى تدهور الصحة الجسدية وزيادة تفاقم الأمراض المزمنة، مما يزيد من معاناتهم الشاملة.

بناءً على هذه التحديات، نوصي الجهات الطبية والرعائية بتصميم برامج دعم نفسي متكاملة، تتسم بالحساسية والاختصاص في التعامل مع حالات الصدمات الكبرى مثل الهجمات الكيماوية. يجب أن تشمل هذه البرامج جلسات علاج نفسي فردية وجماعية، واستشارات نفسية متخصصة، تأخذ في اعتبارها الأبعاد الجندرية والاختلافات الفردية وتحللها بنهج تقاطعي وتضميني. كما ينبغي أن توفر الدعم للأسر والأطفال المتأثرين، بما أن تأثير الصدمات يمتد إلى جميع أفراد الأسرة.

يتطلب تنفيذ هذه البرامج توفير مرونة عالية لتلبية احتياجات جميع الناجيات والناجين، بما في ذلك أولئك الموجودين والموجودات في مناطق نائية أو صعبة الوصول. من الضروري أيضاً تدريب المتخصصين والمتخصصات في المجال النفسي، لضمان قدرتهم وقدرتهنّ على التعامل بفعالية مع حالات الصدمة المعقدة وفهم التجارب الفريدة التي مر بها الأفراد.

تسعى هذه البرامج إلى تحقيق الاستقرار النفسي وتعزيز القدرة على التعافي وإعادة بناء الحياة، من خلال تقديم بيئة داعمة ومتفهّمة لاحتياجات الناجيات والناجين النفسية والاجتماعية. من خلال تبني نهج شامل ومستدام، يمكن المساهمة في تحسين جودة حياتهم وحياتهنّ والمساعدة إلى حدّ ما في العودة إلى مجتمعاتهم بفعالية. إن توفير الموارد والتمويل اللازمين لضمان استمرارية وفعالية هذه البرامج على المدى الطويل يمثل خطوة حاسمة في دعم التعافي وتعزيز القدرة على التعامل مع الأثر النفسي للهجمات الكيماوية

البحث وتوثيق الآثار طويلة الأمد للغازات الكيماوية على الناحية الجسديّة والنفسية والاجتماعية:

نوصي الجّهات الطبيّة البحثيّة بإجراء دراسات معمّقة تتمتع بحساسيّة عالية عن الناجيات والناجين وتتبع الحالة الجسدية والمرضيّة، مما سيساهم في توفير معلومات توثّق الأثر الجسدي للتعرض لغاز السارين وتساعد في علاج

الأشخـاص المصـابة في سـوريا وأيّة دولة أخـرى. وأن تكـون هذه الدراسـات منفصـلة بحـسب الجنـس لإظهـار الآثـار المختـلفة بين النسـاء والرجـال وكيفية تطورها وعلاجها والحـد منها، حيث تختـلف الآثـار والأمـراض بـاختلاف الأجسـام حـسب الجنـس. كمـا نـوصي بأن تـراعي هذه الدراسـات الفئة العمـرية وتقاطعهـا مـع حـالة الأمـراض والآثـار.

نـوصي الجهـات الـطبية والجهـات المتخصـصة بالرعـاية النفـسية بإجـراء دراسـات عن الأثـر طويـل الأمـد للتعـرض لجرائـم الأسـلحة الكيمـاوية علـى الحـالة النفـسية وأثرهـا علـى تفاصيـل الحيـاة اليـومية والعلاقـات الاجتمـاعية، وأن تكـون هذه الدراسـات مـصنفة حـسب الجنـس. ونـحن في جهـوزية لتقديـم المسـاعدة والتواصـل قـدر الإمـكان.

نـوصي الجهـات البـحثية والأفـراد بمجـال علـم الاجتمـاع والاقتصـاد بـدراسة الآثـار الطويـلة الأمـد للناجيـات والنـاجين من هذه الجرائـم بشـكل تشـاركي ومن منظـور نسـوي بمـا يسـاعد بتـوثيق الحـدث وتبعاتـه، وإعطـاء مسـاحة وصـوت للضحايـا والمسـاعدة في فهـم المشـكلات الاجتمـاعية والمعيشية وإيجـاد الحلـول الممـكنة والمنـاسبة قـدر الإمـكان.

الدعم الاقتصادي والاجتماعي للناجيات والناجين وذوي الضحايا

يُعتبـر الدعـم الاقتصـادي والاجتمـاعي من العناصـر الأسـاسية التي تـعزز من قـدرة الناجيـات والنـاجين من الهجمـات الكيمـاوية علـى التعـافي وإعـادة بنـاء حياتهـم بكـرامة. لا تقتصـر الحـاجة علـى الدعـم الـطبي والنفـسي، بـل تمتـد لتشـمل جـوانب حيـاتية أخـرى تتعـلق بالاستقـرار الاقتصـادي والاجتمـاعي. لذا، فإن تصميـم بـرامج دعـم اقتصـادية واجتمـاعية متكامـلة تـراعي الكـرامة يعـد أمـراً حيويـاً لتـحقيق التعـافي الكامـل لـهذه الفئـات.

تصميـم بـرامج دعـم اقتصـادي مـعزز للإنتـاجية: نـوصي بتطويـر بـرامج دعـم اقتصـادي تستهـدف تـعزيز قـدرة الناجيـات والنـاجين علـى استعـادة الاستقلال المـالي والإنتـاجي. يجب أن تشـمل هذه البـرامج فرصـاً للتـدريب المـهني، وإعـادة التأهيـل الـوظيفي، ودعـم المشـروعات الصغيـرة، والمسـاعدة في إيجـاد وظـائف مستـدامة. كذلـك، ينبغي أن تقـدم هذه البـرامج قروضـاً ميسـرة أو منحـاً لدعـم المشـاريع الصغيـرة التي تديرهـا الناجيـات والناجـون، ممـا يسـاهم في تحـسين القـدرة علـى توفيـر دخـل مستـدام ومنـاسب. من الضـروري أن تكـون هذه البـرامج مصممـة بـحيث تـراعي الاحتياجـات الفـردية وتدعـم الفئـات الأكثـر تضـرراً، بمـا في ذلـك النسـاء والفتيـات اللـواتي قـد يواجـهن تحديـات إضـافية بـسبب الأبعاد الجنـدرية للجريـمة والمجتمـع. يجب أن تـركز البـرامج علـى تـعزيز المهـارات، وتوفيـر المـوارد اللازمة لبـدء الأعمـال، وتقديـم الدعـم الفني والإداري لضمـان نجـاح المشـاريع.

دعم التعليم وإعادة تأهيل الأطفال: تشكل التربية والتعليم حجر الزاوية في بناء مستقبل مستدام للأطفال المتأثرين بالهجمات الكيماوية. لذا، نوصي بتصميم برامج دعم تعليمية خاصة تشمل إعادة تأهيل الأطفال المتضررين وتوفير المنح الدراسية والمساعدات التعليمية. ينبغي أن تركز هذه البرامج على ضمان وصول الأطفال إلى بيئات تعليمية آمنة ومستقرة، وتوفير الدعم التعليمي الفردي والجماعي لمساعدتهم على التعافي من الصدمات وتحقيق النجاح الأكاديمي. كما يجب تخصيص برامج دعم متكاملة تعزز من أوضاع الأطفال المتأثرين من خلال توفير خدمات صحية ونفسية، وكذلك برامج ترفيهية وندوات تعليمية تساعدهم على التكيف والاندماج في المجتمع بشكل أفضل.

التركيز على احتياجات الأسر: تُعتبر الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للأسر التي فقدت أفرادها أو تضررت بشدة جراء الهجمات الكيماوية جزءاً لا يتجزأ من عملية الدعم. يجب أن تشمل برامج الدعم مساعدات مالية مباشرة للأسر لتغطية احتياجاتهم الأساسية، مثل الغذاء، والمأوى، والرعاية الصحية. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تتضمن برامج دعم اجتماعي يقدم خدمات استشارية للأسر، بما في ذلك مشورة نفسية ودعم اجتماعي لمساعدتهم في التعامل مع الضغوط والتحديات اليومية.

برامج حماية الشهود والشاهدات

إن توفير الحماية الفعّالة للشهود والشاهدات من الهجمات الكيماوية يتطلب نهجاً شاملاً يراعي الأبعاد الجندرية والتقاطعية لضمان سلامة جميع الأفراد المتضررين. بناءً على المعلومات المستخلصة من المقابلات، يتضح أن الشهود والشاهدات يواجهون مخاطر متعددة تؤثر على سلامتهم وأمنهم الشخصي، لذا فإن تصميم برامج حماية شاملة أمر ضروري.

تأمين حماية فعّالة مع التركيز على الفوارق الجندرية والتقاطعية: تستدعي الحماية الأمنية توفير استجابة سريعة وشاملة، تراعي الفوارق الجندرية وتلبية احتياجات كل فرد بناءً على خلفيته الاجتماعية والاقتصادية. يجب أن تشمل تدابير الحماية جميع الأبعاد، بدءاً من حماية الهوية وضمان الأمان الجسدي إلى تأمين أماكن سكن بديلة إذا لزم الأمر. يتعين على الجهات المسؤولة مراعاة التحديات الإضافية التي قد تواجهها النساء، وكذلك الأفراد من خلفيات اجتماعية أو ثقافية متنوعة، وتقديم دعم خاص يضمن عدم تعرضهم لمخاطر إضافية.

توفير بيئة داعمة وشاملة: يجب أن تتضمن برامج حماية الشهود والشاهدات تقديم دعم شامل يتجاوز الحماية الأمنية، ليشمل الرعاية النفسية والاجتماعية. يشمل ذلك تقديم خدمات استشارية ودعم نفسي يتناول الأبعاد الجندرية والتقاطعية، مثل تقديم استشارات نفسية فردية وجماعية، وتوفير موارد اجتماعية لدعم الأسر والأطفال المتأثرين. يجب أن يكون الدعم مخصصاً لتلبية احتياجات كل فرد بناءً على تجربته الخاصة والضغوطات الاجتماعية التي قد يواجهها.

الشفافية حول المخاطر والحلول الممكنة: من الضروري توفير شفافية كاملة حول المخاطر التي قد تواجه الشهود والشاهدات، خصوصاً في مناطق النزاع أو تحت سيطرة النظام. يجب أن تشرح الجهات المسؤولة المخاطر المحتملة بوضوح، وتقديم استراتيجيات وآليات لمواجهة هذه المخاطر، مع مراعاة الفوارق الجندرية والتقاطعية في تقديم الحلول. يشمل ذلك توفير معلومات حول خيارات الحماية والتنقل والإيواء المؤقت، مع تخصيص الموارد لتلبية احتياجات النساء والأفراد من خلفيات متنوعة.

تعزيز التعاون الدولي والمحلي مع الاعتراف بالتنوع: تتطلب حماية الشهود والشاهدات تنسيقاً وثيقاً بين الجهات المحلية والدولية، مع إدراك التنوع والتقاطعية في هذا التعاون. يجب على المنظمات الإنسانية، والهيئات الحكومية، والجهات الأمنية، والمحاميات والمحامين العمل معاً لضمان حماية فعّالة وشاملة. يشمل ذلك تبادل المعلومات وتنسيق الجهود لتلبية احتياجات جميع الأفراد، مع التركيز على الاعتراف بالفوارق الجندرية والاجتماعية في هذه العمليات.

تقييم فعالية برامج الحماية من منظور نسوي وتقاطعي: من الضروري تقييم فعالية برامج الحماية بانتظام، مع التركيز على الأبعاد الجندرية والتقاطعية. يشمل ذلك مراجعة وتحديث استراتيجيات الحماية بناءً على التغذية الراجعة من الشهود والشاهدات، وضمان تلبية احتياجات النساء والأفراد من خلفيات متنوعة. يجب أن يركز التقييم على تحسين استجابة البرامج للتحديات المتغيرة، مما يساهم في تعزيز سلامة جميع الأفراد المتأثرين.

الملحق أ

أسئلة مقابلة الناجيات والناجون وذوي الضحايا

بـداية يتـم التأكـد مـرة أخـرى من موافقتهـم. ن علـى التسجيـل وإجـراء هذه المقابـلة، علمـا اننـا قمنـا بأخذ مـوافقة كتـابية.

بعـد الـسؤال عن الأحـوال والتأكـد من راحة المشـاركة أو المشـارك، يتـم إعلامهـم. ن أن المقابـلة قـد تأخذ وقتـا طـويلا وقـد نقسـمها إلـى مراحـل.

التمهيد والسياق

كيف تعرفين نفسك؟ من أي منطقة؟ عمرك؟ مهنتك؟ أين أنت الآن؟ وضعك الحالي؟

من أنت قبل 2011؟

سنعـود بالذاكـرة إلـى عـام 2012 عندمـا كنت في الغـوطة، وصف لحالتـك مـاذا كنت تفعـلين مـاذا جـرى لعائلتـك، مـاذا كانت مخاوفـك.

كيف كان وضع منطقتك؟ وصف القصف والروتين اليومي، وصف الحصار، كيف كانت تتعامل مع كل هذه الأوضاع؟

هل كان هناك حديث عن امكانية استخدام الأسلحة الكيماوية من قبل النظام قبل ضربة الكيماوي 2013؟

ليلة الكيماوي

أعلم أنها من أصعب الذكريات وأكثرها إيلاما... لذلك اطلب. ي استراحة أو إيقاف المقابلة عندما تحس. ين بالضغط أو التوتر أو التعب.

أين كنت بالضبط؟ كم كانت الساعة؟ وماذا حدث لك ولعائلتك بالتفصيل؟

كيف تمّ إسعافك أو إسعاف ذويك؟ هل وصلوا بسرعة؟

هل اختلفت طريقة انقاذ أو اسعاف النساء؟

إذا كنت قد أصبت كيف تم علاجك في أي مكان وماذا كانت الأعراض وكيف أثرت عليك؟

كيف تصف. ين ما حدث في ذلك اليوم؟ ماذا رأيت؟ ماذا حدث للناس التي ماتت؟ أين دفنوا؟

هل تم تسجيل أو توثيق أسماء شهداء الكيماوي في منطقتك؟

بعد الجريمة بأيام

ماذا فعلت.. هل بقيت في نفس المكان؟

ماذا حصل للناس وكيف كانت المشاعر والحالة النفسية والصحية؟

كيف تعاملت وتعاملتم مع هذه الكارثة؟

ماذا حلّ بهنّ وبهم لاحقا؟

متى خرجت من منطقتك؟ وماذا حلّ بك؟

كيف تصفين وضعك الصحي؟

كيف تصفين وضعك المعيشي؟

كيف أثرت ضربة الكيماوي على حياتك وحياة من حولك؟ وما آثارها الآن وغدا؟

هـل تواصـلت معـك جهـات لأخذ الشـهادة؟ مـاذا حـل بـهذه الشـهادة؟ هـل أخبـروك بأي تفاصيـل لاحقة عن كيفية استخـدام هذه الشـهادة؟

كيف أثر عليك الإدلاء بالشهادة لأكثر من مرة؟ وما رأيك بالجهات التي تواصلت معك؟

هل تعرضت لتهديدات ومن من؟ وكيف تعاملت معها؟ وما هو مضمون هذه التهديدات؟

ما رأيك بالتغطية الإعلامية لضربة الكيماوي؟

الآن

أين أنت الآن؟ ماذا تفعل؟ كيف تصف. ين وضعك الصحي؟ النفسي؟ الاقتصادي؟ الاجتماعي؟

بماذا تطالب. ين؟ هل تشارك. ين بأي مجموعة تعمل على المحاسبة أو مجموعة لضحايا الكيماوي؟

كيف يمكن أن تتحقق عدالتك وعدالة من ماتوا وأصيبوا؟

هل هناك أيّة إضافات أخرى؟

هل تريد إضافة أي شيء؟ أو هل هناك شيء لم أسألك عنه؟

هل هناك صور أو مواد تريد مشاركتها معنا؟

الملحق ب

ورقة الموافقة المستنيرة:

وثيقة الموافقة

نريد نحن في النساء الآن أن نؤكد في هذه الوثيقة على هدف هذا العمل البحثي وخطواته وعلى حقوقك كمشارك ومشاركة رئيسية به. لذلك نرجو قراءة هذه الوثيقة بتمعّن قبل أخذ القرار بالموافقة على محتواها. نعلم أنك قمت مسبقا بالموافقة على المشاركة في هذا البحث، ولكن علينا من الناحية الأخلاقية والمهنية أن نقدم هذه الوثيقة ونوضح فيها كل ما يتعلق بأهداف البحث وخطواته.

إن الهدف الرئيسي من هذا العمل البحثي والتوثيقي هو تسليط الضوء على جريمة من أكبر وأفظع الجرائم التي تعرض لها السوريين والسوريات خلال السنوات الماضية (ضرب مناطق في الغوطة الشرقية التابعة لدمشق بالأسلحة الكيماوية في شهر آب من عام 2013). كما تناقشنا سابقا في اجتماعاتنا الأولى، فإن هناك رغبة دولية ومحليّة بطمس ملامح هذه الجريمة، وأنّ المساعي الدولية والسورية الحقوقية ما زالت تخطو خطوات متواضعة قد يكون لها أثر كبير في المستقبل وقد يتم عرقلتها. أما نحن في فريق النساء الآن كلنا ثقة أنّه لا يمكن لأحد أن ينقل فظاعة هذه الجريمة وتأثيرها المستقبلي بعيد الأمد إلّا من تعرضوا لها أو شهدوها أو فقدوا أحبابهم وأصدقائهم وذويهم فيها.

سنقوم أيضاً بتحليل السياق في منطقة الغوطة الشرقية وحياة الأشخاص فيها على الصعيد السياسي والاجتماعي والصحي والنفسي في تلك المرحلة وخاصة أن المناطق التي تم ضربها كانت تحت الحصار والقصف، ثم سنقوم من خلال المقابلات بتحليل ووصف ما حصل خلال الهجوم وذلك من موقعيات مختلفة، شهود وشاهدات، مسعفين ومسعفات، منقذين ومنقذات. وسنتابع مع كل شخص لاستكشاف الأثر الفردي على الصحة والحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية والعائلية... والأثر الجمعي على المكان والعلاقات وحتى على الأجيال اللاحقة.

سيتم عرض المحاور الرئيسية للورقة قبل كتابتها على كل المشاركين والمشاركات لأخذ الآراء والاقتراحات. وبعدها سنقوم بعملية الكتابة ومن ثم مشاركة المسودة النهائية مع الجميع قبل تدقيقها ونشرها وذلك للإدلاء باقتراحاتكم واقتراحاتكن للتعديل.

سرية المعلومات

نظـرا لحسـاسية هذه القضية فنـحن ننصـح المشـاركين والمشـاركات بإعطـاء أسـماء وهـمية وذلـك لحمايتهـم وحمايتـهنّ من أية عـواقب قـد تهـدد الأمن الشخـصي.

لن يتـم مشـاركة المعلومـات التي سيتـم ذكرهـا في المقـابلات مـع أي جـهة ثـالثة عـدا البـاحثة ومن ستقـوم أو يقـوم بتفـريغ المقابـلة. وهنـاك اتفـاقية سـرية مـع الشخـصية التي ستقـوم بتفـريغ المقابـلة ولدينـا كل الحـرص علـى أن تكـون شخـصية موثـوقة.

سيتـم إجـراء المقـابلات عبـر تـطبيق آمن قـدر الإمـكان خـاصة أنهـا ستكـون أونلاين، وتسجيـل المقابـلة سيتـم حفظـه حتـى الانتهـاء من تفريغـه كتابيـا ثـم سيتـم حذفـه نهائيـا.

لن يتم نشر أي شيء إلا بعد موافقتك على المعلومات التي قمت بمشاركتها معنا.

الحقوق

من حقـك خلال المقابـلة أن تطـلب أو تطـلبي التـوقف أو أخذ اسـتـراحة عنـد الشـعور بأنـك غيـر قـادر أو راغب أو راغبة بإكمـال المقابـلة. يمـكن أن نقـوم بالمقابـلة علـى مراحـل إذا كان هذا منـاسب لـك.

من حقك عدم الإدلاء بأية معلومة أنت غير مرتاح أو مرتاحة لمشاركتها معنا.

من حقك أن تسمي نفسك بأي اسم تجده أو تجدينه مناسبا في حال احساسك بعدم الأمان بمشاركة الاسم الحقيقي.

من حقك اختيار التوقيت والتاريخ المناسب لك لإجراء بحيث تكون أو تكوني مرتاحة نفسيا وجسديا.

من حقـك إعلام الفـريق البـحثي (ليـس من الضـروري أن تكـون البـاحثة التي أجـرت المقابـلة) إن لـم تـكن مرتاحـا أو مرتـاحة بأي تفصيـل متعـلق بطـريقة البـاحثة بإجـراء المقابـلة.

نصائح مهمة

الرجاء اختيار مكان تشعر أو تشعرين به بالأمان إلى حد ما عند إجراء المقابلة.

الرجاء إعلامنا إذا كان هناك مشكلة في تأمين الإنترنت والكهرباء لإجراء المقابلة لنساعد في إيجاد الحلول المناسبة إن أمكن.

الأفضل أن تكون أو تكوني بمفردك خلال إجراء المقابلة لتكون لديك مساحة كافية للتعبير عن مشاعرك وأفكارك.

ننصح بالمتابعة مع المختص أو المختصة بالدعم النفسي قبل وبعد إجراء المقابلة لما لذلك من أثر إيجابي في التفريغ عن المشاعر خاصة بعد سرد ذكريات مؤلمة.

مع كل المحبة من الفريق البحثي في النساء الآن

الملحق ج

الأحداث الرئيسية المتعلقة بملف الأسلحة الكيماوية في سوريا منذ عام 2012 إلى عام 2021. هذا الخط الزمني للأحداث تم أخذه من منظمة مراقبة الأسلحة Arms Control Association

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2012)

2012 .7 .23

أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية السورية، جهاد مقدسي، لأول مرة أن سوريا تمتلك أسلحة كيماوية، وقال إن هذه الأسلحة لن تُستخدم ضد الشعب السوري، بل ضد "العدوان الخارجي" فقط.

2012 .08 .20

حدد الرئيس باراك أوباما خطه الأحمر بشأن استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا. قال أوباما إن حساباته بشأن الرد العسكري ستتغير بشكل كبير إذا رأت الولايات المتحدة "كمية كبيرة من الأسلحة الكيماوية تتحرك أو تُستخدم"

2012 .12 .23

تم الإبلاغ عن أول ادعاء باستخدام الأسلحة الكيماوية. قيل إن سبعة أشخاص قُتلوا في حمص بواسطة "غاز سام" استخدمه نظام الأسد. تضمنت التقارير آثار جانبية مثل الغثيان، ارتخاء العضلات، تشوش الرؤية، وصعوبة التنفس.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2013)

5. 01. 2013

برقيّة سرّية من وزارة الخارجية من القنصل العام الأمريكي في اسطنبول إن هناك أدلة قوية على أن الجيش السوري استخدم سلاحاً كيميائياً يعرف باسم العامل 15 في حمص في 23 كانون الأول 2012.

16. 01. 2013

قال تومي فيتور، المتحدث باسم مجلس الأمن القومي، إن الحادث المزعوم لاستخدام الأسلحة الكيماوية في كانون الأول لا يتوافق مع المعلومات التي تمتلكها البيت الأبيض حول برنامج الأسلحة الكيماوية السوري.

19. 03. 2013

تم الإبلاغ عن هجمات كيماوية مزعومة في مدينتي سوريا الرئيسيتين، حي خان العسل في حلب وضاحية الغتيبة في دمشق. قُتل حوالي 25 شخصاً وأصيب العشرات. زعم نظام الأسد أن قوات المعارضة السورية استخدمت أسلحة كيماوية في القتال هناك.

20. 03. 2013

طلب النظام السوري من الأمم المتحدة إجراء تحقيق في هجوم 19 آذار على حلب، زاعماً أن قوات المعارضة استخدمت أسلحة كيماوية وقتلت 25 شخصاً.

21. 03. 2013

أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون أن الأمم المتحدة ستجري تحقيقاً في الاستخدام المحتمل للأسلحة الكيماوية في سوريا، بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية (WHO) ومنظمة حظر الأسلحة الكيماوية (OPCW). وقبل الإعلان، أرسلت فرنسا والمملكة المتحدة رسائل إلى الأمين العام، تدعو إلى التحقيق في ثلاث حوادث مزعومة لاستخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا.

2013 .03 .24

أفاد نشطاء المعارضة السورية بأن القوات السورية استخدمت أسلحة كيماوية من قاذفات صواريخ متعددة في بلدة عدرا شمال شرق دمشق، مما أدى إلى وفاة شخصين وإصابة 23 آخرين. وصف الأطباء أن الأسلحة المستخدمة كانت قنابل فوسفورية تضر بالجهاز العصبي وتسبب اختلال التوازن وفقدان الوعي.

2013 .04 .13

قال المرصد السوري لحقوق الإنسان (SOHR) إن الجيش السوري ألقى قنبلتين غازيتين على حلب التي تسيطر عليها المعارضة، مما أسفر عن مقتل شخصين وإصابة 12 آخرين. واتهم معارضو النظام السوري الجيش باستخدام الأسلحة الكيماوية.

2013 .04 .17

صرح الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بأن سوريا أعاقت التحقيق الأممي بعدم التوافق على نطاق التحقيق حول استخدام الأسلحة الكيماوية.

2013 .04 .25

رسالة أُرسلت إلى السيناتور كارل ليفين (ديمقراطي-ميشيغان) وجون ماكين (جمهوري-أريزونا) من مجتمع الاستخبارات الأمريكي تقول إن نظام الأسد قد استخدم عامل الأعصاب السارين "على نطاق صغير" في سوريا، ولكن الولايات المتحدة تحتاج إلى مزيد من الأدلة لتوفير "بعض درجة اليقين" لاتخاذ أي قرار بشأن اتخاذ مزيد من الإجراءات. وقالت الرسالة أيضاً إن نظام الأسد يحتفظ بحراسة الأسلحة الكيماوية في سوريا. صرح الرئيس أوباما في اليوم التالي بأن الولايات المتحدة والمجتمع الدولي سيعملان معاً للحصول على "أدلة قوية" على استخدام نظام الأسد للأسلحة الكيماوية.

2013 .06 .4

أكد وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس أنه "لا شك" أن النظام السوري استخدم غاز السارين في حالات متعددة. وقال فابيوس إن الحكومة الفرنسية أكدت استخدام السارين من خلال اختبار عينات مأخوذة من سوريا. وأيضاً ذكر تقرير أممي أن هناك "أسباباً معقولة" للثقة في استخدام سوريا للأسلحة الكيماوية أربع مرات في آذار ونيسان، رغم أن التقرير لا يمكنه تحديد المواد الكيماوية أو التحقق من الجهة التي استخدمتها.

2013 .06 .13

قـال البيت الأبيض إن مجتمـع الاستخبـارات الأمريـكي لديـه "ثقة عـالية" بأن نظـام الأسـد هاجـم قـوات المعـارضة باستخـدام الأسـلحة الكيمـاوية عـدة مـرات خلال العـام المـاضي. وقـال بن رودس، نـائب مستشـار الأمن القـومي للاتصـالات الاستـراتيجية، في البيـان إن العينـات الفسيولـوجية من مصـادر متعـددة تظهـر تعرضـاً للأسـلحة الكيمـاوية. ويتـم الاعتـراف بأدلة الاستخـدام علـى أنهـا "ذات مصـداقية" في البيـان.

2013 .08 .14

وافق الأسـد علـى السـماح لفـريق التفتيش الأمـمي بدخـول سـوريا للتـحقيق في ثلاث حـالات محتمـلة لاستخـدام الأسـلحة الكيمـاوية. يسـمح تفـويض الفـريق فقـط بتحديـد مـا إذا كانت الأسـلحة الكيمـاوية قـد استخـدمت أم لا، وليـس من استخدمهـا.

2013 .08 .21

أفـاد نشـطاء المعـارضة السـورية أن هجومـاً واسـع النطـاق بالأسـلحة الكيمـاوية وقـع في ضـواحي منـطقة الغـوطة، حيث كانت القـوات السـورية تحـاول طـرد القـوات المتمـردة. وأفـادت التقاريـر بأن عـدداً كبيـراً من الضحايـا تـم إحصاؤهـم في ضـواحي دمشق، وكانت أعراضهـم النمـوذجية هي تشنجـات في الجسـم، ورغـوة من الفـم، وتشـوش الـرؤية والاختنـاق. ورغـم عـدم توضيـح عـدد الضحايـا بعـد، يُقـدَّر أن يتجـاوز 1,000 شخـص، العديـد منهـم غيـر مقاتـلين. عقـد مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة اجتماعـاً طارئـاً بشأن الهجـوم، وأنتج الاجتمـاع بيانـاً يطـالب بمزيـد من الوضـوح بشأن الحـادثة.

2013 .08 .23

أعـرب المتحـدث باسـم الأمين العـام للأمـم المتحـدة بـان كي مـون عن نية الأمـم المتحـدة إجـراء "تـحقيق شـامل ونزيـه وسـريع" في الهجـوم الكيميـائي المزعـوم في سـوريا في 21 آب. أعـرب مديـر عـام منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية، السفيـر أحمـد أوزومجـو، عن قلقـه البـالغ إزاء الهجـوم الأخيـر في سـوريا، وقـال إن خبـراء منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية كانـوا بالفعـل في سـوريا مـع فـريق التـحقيق الأمـمي.

2013 .08 .25

أعـلن النظـام السـوري أنـه سيسـمح لفـريق التفتيش الأمـمي الذي يـحقق في الحـوادث السـابقة لاستخـدام الأسـلحة الكيمـاوية بزيـارة مواقـع دمشق في الأيـام التـالية.

2013 .08 .26

قال وزير الخارجية الأمريكي جون كيري في مؤتمره الصحفي إن جميع المعلومات التي تمتلكها الولايات المتحدة، بما في ذلك تقارير عدد الضحايا، وأعراضهم، والحسابات المباشرة من المنظمات الإنسانية، تشير بقوة إلى أن الأسلحة الكيماوية استخدمت في سوريا. وقال أيضاً إن سوريا حاولت التستر على الحادثة في الأيام التي تلت الهجوم. أعلن الرئيس السوري بشار الأسد أن جيشه لم يستخدم الأسلحة الكيماوية في هجوم 21 آب في دمشق. اعترف الأسد بالادعاء بأنه استخدم الأسلحة الكيماوية كـ "ذات دوافع سياسية" في اجتماعه مع صحيفة إزفستيا الروسية اليومية. تعرض قافلة تقل فريق التحقيق الأممي في الأسلحة الكيماوية للهجوم من قبل قناصين في سوريا. لم يُصب أي من موظفي الأمم المتحدة، لكنهم لم يتمكنوا من زيارة جميع المواقع المتضررة من الهجوم.

2013 .08 .28

خلصت الولايات المتحدة إلى أن نظام الأسد نفذ هجمات كيماوية ضد المدنيين، كما قال الرئيس أوباما في "PBS NewsHour". وقال أوباما إنه لم يتخذ بعد قراراً بشأن اتخاذ إجراء عسكري في سوريا. عقد اجتماع ثان لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

2013 .08 .29

صوت البرلمان البريطاني ضد دعم العمل العسكري في سوريا. قبل التصويت، أصدرت لجنة الاستخبارات المشتركة تقريراً ذكر فيه أن الأسلحة الكيماوية استخدمت في هجوم 21 آب، وأنه من "المحتمل للغاية" أن يكون نظام الأسد هو المسؤول.

2013 .08 .30

أصدر البيت الأبيض تقييم الحكومة الأمريكية لاستخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا في 21 آب. يقول التقرير إن مجتمع الاستخبارات لديه "ثقة عالية" بأن النظام السوري استخدم الأسلحة الكيماوية ضد عناصر المعارضة في دمشق. وقال وزير الخارجية كيري في خطاب له أيضاً إن النظام استخدم الأسلحة الكيماوية "عدة مرات" خلال العام الماضي. قال كيري إن المناقشات حول العمل العسكري جارية. تضمن تقييم الحكومة الأمريكية خريطة لدمشق والمناطق المتأثرة بالهجوم الكيميائي المزعوم في 21 آب.

2013 .08 .31

أدلى الرئيس أوباما ببيان قال فيه إنه سيسعى للحصول على تفويض لاستخدام القوة من الكونغرس من أجل ضربة عسكرية محدودة في سوريا. نظراً للأدلة على استخدام الأسلحة الكيماوية من قبل نظام الأسد في هجوم 21 آب، قال أوباما إنه يدعم عمل محدود من أجل ردع استخدام الأسلحة الكيماوية في المستقبل ودعم المعايير الدولية.

2013 .09 .02

أصدرت فرنسا تقييمها الاستخباراتي الذي خلص إلى أن نظام الأسد استخدم غاز السارين في هجوم 21 آب، وفي هجومين سابقين في نيسان. كما قال التقرير إن فرنسا قدرت أن استخدام الأسلحة الكيماوية من قبل نظام الأسد يعد انتهاكاً لبروتوكول جنيف لعام 1925.

2013 .09 .09

أعلن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف عن اقتراح روسي يتمثل في أن توافق سوريا على وضع أسلحتها الكيماوية تحت السيطرة الدولية وتفكيكها، وأن توافق الولايات المتحدة على عدم القيام بضربة عسكرية على البلاد. وقبل الإعلان الروسي، اقترح وزير الخارجية كيري، في حديث له في المملكة المتحدة، أنه إذا سلم نظام الأسد جميع أسلحته الكيماوية إلى المجتمع الدولي "دون تأخير"، يمكن تفادي ضربة عسكرية. وفي حديثه إلى وسائل الإعلام بعد الوزير كيري، قال الرئيس باراك أوباما إن الولايات المتحدة ستدرس الخطة.

2013 .09 .10

قال وزير الخارجية السوري وليد المعلم إن النظام السوري يرحب بمناقشة خطة روسيا للتخلي عن الأسلحة الكيماوية والانضمام إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية. ناقش الرئيس باراك أوباما والرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند ورئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون كيفية تنفيذ الخطة من خلال مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، حيث بدأت فرنسا في صياغة قرار استناداً إلى الاقتراح الروسي، ولكن مع اشتراطات تسمح باستخدام القوة إذا فشل الأسد في تنفيذ بنود القرار. طلب الرئيس أوباما، في خطاب للأمة، من الكونغرس تأجيل التصويت على استخدام القوة بينما يتم متابعة المسار الدبلوماسي الذي اقترحه الروس في مجلس الأمن. ومع ذلك، أكد أيضاً التزامه باتخاذ إجراء عسكري إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق بشأن تأمين الأسلحة الكيماوية السورية.

2013 .09 .12

أرسل النظام السوري رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يقول فيها إن الأسد وقع مرسوماً تشريعياً يقضي بانضمام سوريا إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية. في الرسالة، قال الأسد إن سوريا ستلتزم بالتزاماتها بموجب الاتفاقية فوراً، وليس بعد 30 يوماً من تاريخ الانضمام، كما هو منصوص عليه في المعاهدة. في جنيف، التقى وزير الخارجية كيري بنظيره الروسي وزير الخارجية سيرجي لافروف لبدء مناقشة الاقتراح الروسي لتأمين الأسلحة الكيماوية للنظام السوري.

2013 .09 .14

توصل وزير الخارجية الأمريكي جون كيري ووزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إلى اتفاق على خطة مفصلة لحصر وتفتيش والتحكم والقضاء على الأسلحة الكيماوية في سوريا. تتطلب الخطة من سوريا تقديم إعلان كامل عن مخزونها "في غضون أسبوع" وتوفير الوصول للمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية (OPCW) والأمم المتحدة إلى جميع مواقع الأسلحة الكيماوية في سوريا. تدعو الخطة إلى إكمال التفتيش الأولي بحلول تشرين الثاني وتدعو إلى تدمير مخزون الأسلحة الكيماوية والعوامل الكيماوية بحلول النصف الأول من عام 2014. حصلت الولايات المتحدة وروسيا على موافقة على الخطة من المجلس التنفيذي للمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية ومن ثم قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. تنص الاتفاقية على أنه "في حالة عدم الامتثال، بما في ذلك النقل غير المصرح به، أو أي استخدام للأسلحة الكيماوية من قبل أي شخص في سوريا، يجب على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فرض تدابير بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

2013 .09 .16

قدم الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون تقريراً عن تحقيق الأمم المتحدة في استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا. خلص التقرير إلى أن الأسلحة الكيماوية استخدمت في 21 آب على "نطاق واسع نسبياً"، وأن الضحايا شملوا المدنيين. استشهد التقرير بأدلة على وجود عامل الأعصاب السارين في البيئة ووجوده في ضحايا الهجوم. كان خارج نطاق التقرير تعيين الجهة التي استخدمت الأسلحة الكيماوية.

2013 .09 .20

وفقاً لشروط الاتفاقية التي تفاوضت عليها الولايات المتحدة وروسيا، قدمت سوريا إعلاناً عن مخزونها من الأسلحة الكيماوية إلى منظمة حظر الأسلحة الكيماوية.

2013 .09 .27

اعتمد المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية جدولاً زمنياً لتدمير الأسلحة الكيماوية السورية. بعد ساعات، صوت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالإجماع على اعتماد قرار يؤيد جدول منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لتدمير ترسانة الأسلحة الكيماوية السورية. يقول قرار مجلس الأمن إن الهيئة ستفرض تدابير بموجب الفصل السابع من ميثاقها إذا لم تمتثل سوريا للقرار أو تستخدم أو تأذن بنقل أي عوامل كيماوية.

2013 .10 .01

وصل فريق مشترك من مسؤولي منظمة حظر الأسلحة الكيماوية والأمم المتحدة إلى سوريا لبدء تدمير مخزون البلاد من الأسلحة الكيماوية والمرافق.

2013 .10 .06

قال مسؤولون من فريق منظمة حظر الأسلحة الكيماوية والأمم المتحدة إن تدمير مخزون سوريا من الأسلحة الكيماوية بدأ. أكد المسؤولون أن السوريين سيكملون فعلياً أعمال التدمير، بينما سيراقب فريق الأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيماوية الأنشطة ويتحقق منها.

2013 .10 .31

أكدت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية أن سوريا دمرت أو جعلت غير صالحة للعمل جميع مرافقها المعلنة لخلط وإنتاج الأسلحة الكيماوية. تمكنت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية من تفتيش 21 من أصل 23 موقعاً حيث كانت توجد هذه المرافق. لم تتمكن المفتشين من زيارة الموقعين المتبقيين بسبب المخاوف الأمنية، لكن المفتشين قالوا إن المعدات نقلت من هذه المواقع وتم تدميرها.

2013 .11 .15

وافق المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية على خطة لتدمير مخزون سوريا من الأسلحة الكيماوية. تدعو الخطة إلى نقل الأسلحة إلى خارج سوريا وتدمير العوامل الكيماوية في بلد لم يتم تحديده بعد. يجب نقل "أكثر المواد الكيماوية خطورة" خارج سوريا بحلول 31 كانون الأول 2013، والباقي بحلول 5 شباط 2014. تدعو الخطة إلى التدمير في موعد لا يتجاوز 30 يونيو 2014، وتدمير بعض المواد الكيماوية ذات الأولوية بحلول 15 آذار 2014. أعلن المجلس التنفيذي أيضاً أن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية تمكنت من التحقق من تدمير 60% من الذخائر غير المملوءة المعلنة من قبل سوريا لتسليم الأسلحة الكيماوية. التزمت سوريا بتدمير جميع ذخائرها غير المملوءة بحلول 31 كانون الثاني 2014.

2013 .11 .30

أعـلنت منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية أن أسـلحة سـوريا الكيمـاوية ستدمـر علـى متن سفينة أمريـكية باستخـدام عملية التحليـل المـائي. التحليـل المـائي هـو عمـلية تقـوم بتفكيـك العوامـل الكيمـاوية باستخـدام المـاء السـاخن والمركبـات الأخـرى لتحييـد العوامـل.

2013 .12 .12

أصـدرت فـريق الأمـم المتحـدة بقيـادة آكي سيلستـروم التـحقيق في حـوادث استخـدام الأسـلحة الكيمـاوية في سـوريا تقريرهـا النهـائي إلـى الأمين العـام للأمـم المتحـدة بـان كي مـون. وجـد التقريـر أن الأسـلحة الكيمـاوية ربمـا استخـدمت في خمـس من الهجمـات السبـعة التي تـم التـحقيق فيهـا. ربمـا استخـدم عامـل الأعصـاب السـارين في أربـع من الهجمـات، إحداهـا كانت الهجـوم واسـع النطـاق علـى ضـاحية دمشق في آب.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2014)

2014 .01 .07

سـلمت سـوريا أول شـحنة من الأسـلحة الكيمـاوية إلـى مـدينة اللاذقية السـورية. تـم تحميـل الأسـلحة الكيمـاوية علـى سفينة دانمـاركية تبحـر إلـى الميـاه الـدولية. الـصين وروسيـا تقدمـان الحمـاية للـسفينة، التي ستنقـل فيمـا بعـد الشـحنة إلـى الـسفينة الأمريـكية MV Cape Ray لتحليلهـا باستخـدام التحليـل المـائي.

2014 .01 .27

تـم تحميـل شـحنة ثـانية من الأسـلحة الكيمـاوية السـورية علـى سفن دانمـاركية ونـرويجية في مينـاء اللاذقية السـوري. غـادرت الـسفينة الأمريـكية Cape Ray المينـاء لاستلام الأسـلحة الكيمـاوية وتحليلهـا باستخـدام التحليـل المـائي في مينـاء جويـا تـاورو الإيطـالي

2014 .02 .10

تـم تحميـل شـحنة ثـالثة من الأسـلحة الكيمـاوية السـورية علـى سفينة نـرويجية. تـم شـحن 11% من الأسـلحة الكيمـاوية السـورية بشـكل عـام.

2014 .02 .25

سلم نظام الأسد شحنة من غاز الخردل إلى ميناء اللاذقية السوري لتحميلها على السفن.

2014 .03 .04

قـدم النظـام السـوري اقتراحـاً معـدلاً لإزالة أسـلحته الكيمـاوية من سـوريا بحلـول نهـاية نيسـان 2014. ووصـلت شـحنتان إضافيتـان من الأسـلحة الكيمـاوية إلـى ميناء اللاذقية وتـم تحميلهمـا علـى السـفن. تـمت إزالة أكثـر من 35% من الأسـلحة الكيمـاوية لـلبلاد بشـكل عـام.

2014 .04 .04

وصلت الشحنة الثانية عشرة من الأسلحة الكيماوية السورية إلى ميناء اللاذقية، وفقاً لـ OPCW.

2014 .04 .11

ظهـرت تقاريـر عن هجـوم باستخـدام قنابـل الكلـور في كفـر زيتـا، قـرية تسيطـر عليهـا القـوات المعـارضة في شـمال غـرب سـوريا.

2014 .04 .14

سلمت الحكومة السورية الشحنة الثالثة عشرة من المواد الكيميائية.

2014 .04 .24

شحنة إضافية وصلت إلى ميناء اللاذقية، مما يرفع الإجمالي إلى 92%.

2014 .04 .29

أعلنت OPCW أنها سترسل فريقاً للتحقيق في الهجمات التي قام بها نظام الأسد باستخدام غاز الكلور في 11 نيسان.

2014 .06 .17

اختتمت بعثة الكشف عن الحقائق التابعة لـ OPCW في سوريا للتحقيق في استخدام غاز الكلور، مؤكدة أنه استخدم في هجمات سابقة. لم تتمكن الفرقة من زيارة جميع المواقع بسبب قضايا الأمن.

2014 .06 .23

أعلن المدير العام لـ OPCW، أوزومكو، أن آخر 8% من مخزون الأسلحة الكيماوية المعلن من سوريا تم نقله من البلاد من ميناء اللاذقية على متن السفينة الدنماركية Ark Futura. أوزومكو يقول إن الكيماويات يجب أن تُدمر في غضون أربعة أشهر

2014 .09 .10

أكدت OPCW أن غاز الكلور يُستخدم في سوريا. على الرغم من أن OPCW لم تلقِ اللوم على الهجمات، قال وزير الخارجية الأمريكي جون كيري إن استخدام المروحيات لإلقاء غاز الكلور "يشير بقوة" إلى نظام الأسد كمرتكب.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2015)

2015 .03 .06

أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قراراً في 6 آذار يدين استخدام الكلور كسلاح في الحرب الأهلية السورية ويهدد باتخاذ إجراءات بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة إذا ما استُخدمت أسلحة كيماوية مرة أخرى.

2015 .04 .16

قام الأطباء بالإدلاء بشهادات في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة حول هجمات غاز الكلور الأخيرة في سوريا. تقدر منظمة هيومن رايتس ووتش أن أكثر من 200 شخص قتلوا جراء الهجمات بغاز الكلور الأخيرة.

2015 .05 .08

ذكرت وكالة رويترز أن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية (OPCW) أكدت وجود آثار لغازي السارين والفي إكس في مرفق عسكري في سوريا لم يتم الإعلان عنهما. تم أخذ العينات في كانون الأول وكانون الثاني.

2015 .08 .07

تم اعتماد قرار المجلس الأمن رقم 2235 في 7 آب، والذي أنشأ وحدة تحقيق لتحديد الأطراف المسؤولة عن الهجمات المبلغ عنها باستخدام أسلحة كيماوية في سوريا.

2015 .11 .06

أصدر فريق التحقيق الميداني التابع لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية بياناً صحفياً أكد فيه "بأقصى درجات الثقة" أن تنظيم الدولة الإسلامية استخدم غاز الخردل الكبريتي في هجوم على مدينة مارع في شمال سوريا في 21 آب 2015.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2016)

2016 .01 .04

أعلنت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية (OPCW) في بيان صحفي أن آخر مواد الأسلحة الكيماوية السورية المعلنة، وهي 75 أسطوانة من فلوريد الهيدروجين، تم تدميرها بواسطة خدمات تقنيات البيئة فيرويا.

2016 .08 .10

أفاد مسؤولو المستشفيات بوقوع هجوم باستخدام غاز الكلور في حلب.

2016 .08 .24

صدر التقرير الثالث لآلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة، الذي أكد أن الحكومة السورية كانت مسؤولة عن هجمات باستخدام الأسلحة الكيماوية في تلمنس في نيسان 2014 وفي سرمين في آذار 2015. كما وجد التقرير أن تنظيم الدولة الإسلامية مسؤول عن هجوم باستخدام غاز الخردل الكبريتي في مارع في آب 2015.

2016 .09 .07

تم توجيه اتهامات بأن مواد كيماوية سامة، على الأرجح غاز الكلور، تم استخدامها في حلب.

2016 .10 .21

أصدرت آلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة تقريراً يؤكد أن نظام النظام السوري كان مسؤولاً عن هجوم ثالث باستخدام غاز الكلور في محافظة إدلب في 16 آذار 2015.

2016 .11 .11

أقر مجلس الإدارة التنفيذي لـ OPCW قراراً يدين استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا ويدعو الأطراف المسؤولة عن الاستخدام، كما تم تحديدها في تقارير آلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة، إلى التوقف عن مزيد من الهجمات باستخدام المواد الكيماوية. كما طالب القرار بإجراء تحقيقات إضافية في سوريا في المواقع المحددة بتقارير الأمم المتحدة وOPCW وفحص المرافق في سوريا.

2016 .12 .13

تمت توجيه اتهامات بأن استخدام الأسلحة الكيماوية في مناطق تسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة حماة، شمال غرب تدمر.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2017)

2017 .04 .04

تـم استخـدام أسـلحة كيمـاوية في هجـوم أودى بحيـاة العشـرات من الأشخـاص في محـافظة إدلب الشـمالية في سـوريا. تشيـر التقاريـر الأولية إلـى أن الهجـوم استخـدم غـاز السـارين، وهـو مـادة عـصبية. يعتقـد أن النظـام السـوري نفذ الهجـوم نظـراً لنـوع الطائـرات الموجـودة في المنـطقة في ذلـك الـوقت. أعـلنت منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية (OPCW) أنهـا تـحقق في التقاريـر. نفت سـوريا المـسؤولية عن الهجـوم.

2017 .04 .05

دعـا مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة إلـى اجتمـاع طـارئ لمنـاقشة الهجـوم بالأسـلحة الكيمـاوية في إدلب.

2017 .04 .06

استخـدمت الولايـات المتحـدة صـواريخ كـروز توماهـوك لاستهـداف قاعـدة جـوية في سـوريا. يعتقـد أن نظـام الأسـد نفذ هجـوم الأسـلحة الكيمـاوية في 4 نيسـان من تلـك القاعـدة الجـوية.

2017 .04 .11

أصدرت الولايات المتحدة تقريراً غير مصنف يؤكد أن الضحايا تعرضوا للسارين في هجوم 4 نيسان.

2017 .04 .12

قـامت روسيـا بالتصـويت ضـد قـرار مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة الذي يـدين هجـوم الكيماويـات في 4 نيسـان، ودعـا سـوريا لتوفيـر إمكانية الوصـول الكامـل للمحققين، وأعـرب عن عزمـه على محـاسبة الجنـاة. قـالت روسيـا إن اللـوم على الهجـوم في 4 نيسـان تـم توجيهـه مبكـراً لنظـام الأسـد.

2017 .04 .19

أعـلنت منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية (OPCW) أن هنـاك "دلائـل لاجتزاء" تثبت أن الهجومـات في 4 نيسـان استخـدمت السـارين أو مـادة شبيـهة بالسـارين.

2017 .06 .26

أصـدر البيت الأبيض بيانـاً يقـول فيـه إنـه تـم التعـرف علـى "استعـدادات محتمـلة لهجـوم كيميـائي جديـد من قبـل نظـام الأسـد. "وأشـار البيـان إلـى أن الأسـد سيدفـع "ثمنـاً باهظـاً" إذا نفذ هجومـاً باستخـدام أسـلحة كيمـاوية. وقـالت سفيـرة الولايـات المتحـدة لـدى الأمـم المتحـدة نيـكي هيـلي في بيـان منفصـل إنـه من خلال دعـم نظـام الأسـد، ستتحمـل روسيـا وإيـران أيضـاً المـسؤولية عن أي استخـدام مستقبـلي للأسـلحة الكيمـاوية.

2017 .06 .30

أكـدت آلية تـحقيق منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية استخـدام السـارين في هجـوم بالأسـلحة الكيمـاوية في خـان شيخـون في 4 نيسـان 2017.

2017 .10 .24

فشـل مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة في اعتمـاد قـرار لتمديـد ولاية آلية التـحقيق المشتـركة بين OPCW والأمـم المتحـدة (JIM) لعـام آخـر قبـل انتهـاء صلاحيتـه في 17 تشـرين الثـاني. صـوت 11 عضـواً لصالـح القـرار، وامتنـعت الـصين وكازاخستـان عن التصـويت، وصـوت بوليفيـا وروسيـا ضـد القـرار. لـم يتـم اعتمـاد القـرار بـسبب الفيتـو الـروسي.

2017 .10 .26

أصـدر التقريـر السـابع لآلية التـحقيق المشتـركة بين OPCW والأمـم المتحـدة (JIM) الذي وجـد أن نظـام الأسـد مـسؤول عن استخـدام مـادة السـارين العـصبية في الهجـوم علـى خـان شيخـون في 4 نيسـان، وأن تنظيـم الـدولة الإسلامية مـسؤول عن استخـدام الخـردل الكبـريتي في أم حـوش في أيلـول 2016.

2017 .11 .06

أفـادت بـعثة التـحقيق في منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية أنـه من المحتمـل أن يكـون السـارين قـد استخـدم كـسلاح كيميـائي في 30 آذار 2017 في جنـوب اللطـامنة.

2017 .11 .08

أصدر وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون، ووزير الخارجية البريطاني بوريس جونسون، ووزير الخارجية الفرنسي جان-إيف لودريان، ووزير الخارجية الألماني زيغمار جابرييل بياناً مشتركاً يدينون فيه استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا كما ورد في التقرير السابع لآلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة (JIM)، ويدعون مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلى اتخاذ إجراءات لمواصلة التحقيقات.

2017 .11 .16

انتهت ولاية آلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة (JIM) المسؤولة عن تحديد الجهات المسؤولة عن هجمات الأسلحة الكيماوية في سوريا بعد فشل كلتا القرارات المقدمة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لتمديد تلك الولاية. حصل القرار المقدم من الولايات المتحدة على 11 صوتاً مؤيداً، 2 ضد، و2 امتنعت، وفشل بسبب الفيتو الروسي. حصل القرار الروسي على 4 أصوات مؤيدة، 7 ضد، و4 امتنعت

2017 .11 .17

أُدخلت قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة من اليابان لتمديد ولاية آلية التحقيق المشتركة بين OPCW والأمم المتحدة (JIM) لمدة 30 يوماً وحصلت على 12 صوتاً مؤيداً، ولكن فشلت بسبب الفيتو الروسي.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2018)

2018 .01 .23

أطلقت فرنسا شراكة الشراكة الدولية ضد الإفلات من العقاب لاستخدام الأسلحة الكيماوية، مبادرة جديدة تهدف إلى زيادة تبادل المعلومات حول الهجمات المبلغ عنها باستخدام الأسلحة الكيماوية وإدراج الأفراد والكيانات الذين تم تعليق أنشطتهم بسبب تورطهم في استخدام الأسلحة الكيماوية. ثم دعت روسيا إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، مقدمة مقترحاً جديداً لتمديد آلية التحقيق المشتركة (JIM). رفضت الولايات المتحدة المقترح بحجة أنه مصمم فقط ليكون مشتتاً للانتباه عن إطلاق الشراكة الجديدة.

2018 .02 .01

تـم الإبلاغ عن الهجـوم الكيميـائي الثـالث في 2018 في دومـا، دمشق. تـم الإبلاغ عن الهجمـات السـابقة في 13 كانـون الثـاني و22 كانـون الثـاني. تشيـر التقاريـر إلـى استخـدام غـاز الكلـور في جميـع الهجمـات. خلال جلسة توجيـهية لمجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة في 5 شبـاط، أعـلنت الممثـلة العـالية لشؤون نزع الـسلاح في الأمـم المتحـدة إيزومي ناكاميتسـو أن التقاريـر من بـعثة البـحث عن الحقـائق التابـعة لمنظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية حـول هذه الهجمـات المزعـومة لا تزال قيـد الـدراسة.

2018 .04 .07

ظهـرت تقاريـر عن هجـوم كيميـائي كبيـر في دومـا، ضـاحية خـارج دمشق، سـوريا، أسفـر عن مقتـل عـدة عشـرات من المـدنيين علـى الأقـل. جـاء هذا بعـد هجمـات أصغـر باستخـدام غـاز الكلـور تـم الإبلاغ عنهـا في دومـا في 7 و11 مـارس. وثقت "هيـومن رايتـس ووتش" 85 هجوماً بالأسـلحة الكيمـاوية منذ عـام 2013 في سـوريا. أعـلنت منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية أن بعثتهـا للبـحث عن الحقـائق تـحقق في الحـادث لتحديـد أنـواع الأسـلحة الكيمـاوية التي قـد تـم استخدامهـا.

2018 .04 .10

صـوت مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة علـى ثلاث قـرارات للتعامـل مـع استخـدام الأسـلحة الكيمـاوية في سـوريا. رفضت روسيـا قـراراً كانت ترعـاه الولايـات المتحـدة وكان سينشئ آلية تـحقيق مستقـلة تابـعة للأمـم المتحـدة بمهـلة سنة للتـحقيق في الأطـراف المـسؤولة عن استخـدام الأسـلحة الكيمـاوية في سـوريا. فشـل مشـروع قـرار روسي آخـر كان ينـوي إنشـاء هيئة مماثـلة، لـكن من المفتـرض أن يحـدد مجلـس الأمن التابـع للأمـم المتحـدة، وليـس الـهيئة التـحقيقية، في نهـاية المطـاف المـسؤولية بعدمـا لـم يحصـل علـى مـا يـكفي من الأصـوات للمـوافقة عليـه. كمـا فشـل مشـروع قـرار روسي ثـاني، الذي حث بـعثة البـحث عن الحقـائق التابـعة لمنظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية علـى التـحقيق في الحـادث وقـدم حمـاية عسـكرية روسية للمـحققين، في الحصـول علـى مـا يـكفي من الأصـوات للمـوافقة عليـه. أعـلنت منظـمة حظـر الأسـلحة الكيمـاوية بالفعـل في وقت سـابق من ذلـك اليـوم أنهـا تـعتزم إرسـال بـعثة للبـحث عن الحقـائق إلـى دومـا.

2018 .04 .13

عقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة اجتماعه للمرة الرابعة تلك الأسبوع لمناقشة استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا. طالبت روسيا وبوليفيا مجدداً الولايات المتحدة بعدم اتخاذ إجراءات عسكرية منفردة بينما بدا الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة تبرر قضيتها للضربة. قالت السفيرة الأمريكية لدى الأمم المتحدة نيكي هيلي: "إذا قررت الولايات المتحدة وحلفاؤنا التصرف في سوريا، فسيكون ذلك دفاعاً عن مبدأ نتفق جميعاً عليه. "شنت فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ضربات مدققة على ثلاث منشآت لأسلحة كيماوية سورية. وفي كلمة متلفزة، أوضح الرئيس ترامب أن الغرض من الضربة كان "إنشاء تحذير قوي ضد إنتاج وانتشار واستخدام الأسلحة الكيماوية". وأضاف "إلى إيران وروسيا، أسأل: أي نوع من الدول يرغب في أن يُرتبط باقتراف قتل جماعي

2018 .04 .14

كانت بعثة البحث عن الحقائق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية في سوريا تحقق في الهجوم بالأسلحة الكيماوية في 7 نيسان للتحقق من حدوث الهجوم وتحديد العامل الكيميائي المستخدم. أصدرت فرنسا تقييمها الوطني للهجوم بالأسلحة الكيماوية في 7 نيسان، واستنتجت أن "(أ) بما لا يقبل الشك، تم تنفيذ هجوم كيميائي ضد المدنيين في دوما في 7 نيسان 2018، و(ب) أنه لا يوجد سيناريو معقول آخر غير هجوم من قوات النظام السوري كجزء من هجوم واسع النطاق في محيط الغوطة الشرقية. "عقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة جلسة لمناقشة الوضع في سوريا. أعلنت المملكة المتحدة أن الأساس القانوني للضربة المشتركة كانت التدخل الإنساني. أدانت روسيا وبوليفيا الضربة، معتبرين أنها انتهاك لميثاق الأمم المتحدة. قدمت روسيا مشروع قرار يدين "العدوان ضد الجمهورية العربية السورية من قبل الولايات المتحدة وحلفائها"، لكنه لم يحصل إلا على ثلاثة أصوات وفشل في النجاح. أعلنت فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة عن نيتها تقديم مشروع قرار يتعلق بالمسارات السياسية والإنسانية لحل النزاع.

2018 .04 .21

قام فريق بعثة البحث عن الحقائق التابع لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية بزيارة إلى أحد المواقع في دوما لجمع عينات للتحليل فيما يتعلق بالهجوم في 7 نيسان.

2018 .05 .16

أفادت بعثة البحث عن الحقائق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية بأن "الكلور، الذي تم إطلاقه من أسطوانات عن طريق تأثير ميكانيكي، استُخدم بشكل محتمل كسلاح كيميائي في 4 شباط 2018 في حي التليل في سراقب. "

2018 .06 .13

أفادت بعثة البحث عن الحقائق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية بأن السارين "استخدم بشكل محتمل جداً كسلاح كيميائي" في لطامنة، سوريا في 24 آذار 2017، وأن الكلور "استخدم بشكل محتمل جداً كسلاح كيميائي" في وحول مستشفى لطامنة في 25 آذار 2017.

2018 .06 .27

عقدت جلسة خاصة لمؤتمر دول الأطراف في منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لمنح المنظمة ولاية للتحقيق وتحديد المسؤولية عن الهجمات بالأسلحة الكيماوية في سوريا المؤكدة من قبل بعثة البحث عن الحقائق.

2018 .09 .12

أفادت اللجنة الدولية المستقلة للتحقيق بشأن الجمهورية العربية السورية، التي أنشئت في 2011 من قبل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، بأن الحكومة السورية استخدمت الكلور كسلاح أربع مرات من كانون الثاني إلى تموز 2018.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2019)

2019 .03 .01

أصدرت بعثة البحث عن الحقائق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية تقريرها النهائي الذي استنتج أن مادة كيماوية سامة، على الأرجح الكلور، تم استخدامها كسلاح في 7 نيسان 2018 في دوما، سوريا. كانت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية قد أصدرت تقريراً مؤقتاً حول الحادثة في تموز 2018.

2019 .05 .19

اتهمت الولايات المتحدة الحكومة السورية باستخدام الكلور في هجوم في منطقة إدلب.

28. 05. 2019

رداً على أخبار عن تسريب غير مصرح به من قبل مسؤول سابق في منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لوثيقة داخلية تتعلق بتحقيق المنظمة في دوما، أطلق المدير العام للمنظمة تحقيقاً مستقلاً في احتمال وقوع انتهاكات لسرية المعلومات.

26. 09. 2019

أعلنت الولايات المتحدة نتائج تحقيقها في الهجوم الذي وقع في 19 مايو 2019 وخلصت إلى أن الحكومة السورية استخدمت أسلحة كيماوية.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2020)

20. 01. 2020

عقدت روسيا اجتماعاً مفتوحاً بصيغة "أريا" في الأمم المتحدة حول تقرير منظمة حظر الأسلحة الكيماوية عن دوما. قال المندوب الدائم لروسيا فاسيلي نبنزيا في تصريحاته للصحافة إن هناك "احتمالاً عالياً" أن تقرير بعثة البحث عن الحقائق في آذار 2019 حول تحقيق منظمة حظر الأسلحة الكيماوية في دوما "كان مفبركاً".

06. 02. 2020

أصدرت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية نتائج تحقيقها المستقل في احتمال انتهاكات سرية، والذي بدأ بعد أن أفصح مسؤول سابق في المنظمة عن وثيقة تزعم أن تقرير بعثة البحث عن الحقائق في آذار 2019 كان مفبركاً. خلصت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية إلى أن المسؤول المعارض وزميله الذين كانا يعرفان بالوثيقة قبل إصدارها "فشلا في حماية المعلومات السرية المتعلقة بتحقيق بعثة البحث عن الحقائق في دوما"، وأن المعلومات "تم استغلالها للشك في كفاءة ومصداقية المنظمة". مدير عام منظمة حظر الأسلحة الكيماوية، فيرناندو آرياس، أكد مجدداً استنتاج تقرير بعثة البحث عن الحقائق في آذار 2019 بأن تم استخدام سلاح كيميائي في دوما في نيسان 2018.

2020 .04 .08

أصدرت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية أول تقرير من فريق التحقيق والتحديد الخاص بها، الذي يعزو المسؤولية عن سلسلة من الهجمات بالأسلحة الكيماوية في آذار 2017 إلى سلاح الجو السوري.

2020 .05 .12

عُقدت جلسة حوار تفاعلية غير رسمية في إعداد مغلق عبر الهاتف بين أعضاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ومسؤولين رفيعي المستوى من منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لمناقشة استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا. تركت الحوار على تقرير منظمة حظر الأسلحة الكيماوية في نيسان 2020 الذي يلوم سلاح الجو السوري عن ثلاث حوادث كيماوية في بلدة لطامنة، سوريا. رفضت روسيا والصين المشاركة في الحوار التفاعلي غير الرسمي. أدان مندوب روسيا لدى الأمم المتحدة، فاسيلي نبنزيا، الإعداد المغلق للاجتماع بأنه متناقض مع "شعارات الشفافية والانفتاح لمجلس الأمن". لم تعلق الصين على الاجتماع.

2020 .07 .09

في الدورة 94 لمجلس التنفيذ التابع لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية، صادق المجلس على /EC-94 DEC. 2 "معالجة امتلاك واستخدام الأسلحة الكيماوية من جانب الجمهورية العربية السورية". كان القرار رداً على تقرير فريق التحقيق والتحديد الخاص بها في 8 نيسان 2020. أعطى القرار لسوريا 90 يوماً للإعلان عن أي أسلحة كيماوية ومنشآت للأسلحة الكيماوية - خاصة تلك المتعلقة بالهجمات الكيماوية في آذار 2017 - وحل جميع القضايا العالقة المتعلقة بإعلانها الأولي عن مخزونها من الأسلحة الكيماوية وبرنامجها.

2020 .07 .20

أرسل المدير العام لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية، فيرناندو آرياس، رسالة إلى نائب وزير الخارجية للجمهورية العربية السورية، سعادة الدكتور فيصل المقداد، لتحديد التزامات الجمهورية العربية السورية بموجب EC-94/DEC. 2 ولإبلاغه بجاهزية الأمانة العامة لمساعدة الجمهورية العربية السورية في تحقيق هذه الالتزامات.

2020 .10 .14

أصدر المدير العام لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية، فيرناندو آرياس، تقريراً يفيد بأن سوريا لم تحقق أي تقدم في أي من التدابير المفصلة في EC-94/DEC. 2 خلال الإطار الزمني لمدة 90 يوماً.

الأحداث الرئيسية المتعلقة بأسلحة سوريا الكيماوية (2021)

12. 04. 2021

أصدرت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية تقريرها الثاني عن فريق التحقيق والتحديد (IIT). استنتج الفريق أنه "هناك أسباب معقولة للاعتقاد بأن طائرة هليكوبتر عسكرية تابعة لسلاح الجو العربي السوري تحت سيطرة قوات النمر ضربت شرق سراقب في تمام الساعة ٢١:٢٢ بإسقاط ما لا يقل عن اسطوانة واحدة. انفجرت الاسطوانة وأطلقت الكلور فوق منطقة واسعة، مما أثر على ١٢ فرداً تم تسميتهم. "

6. 04. 2021

نظمت روسيا اجتماعاً مفتوحاً في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بصيغة "أريا" بعد إصدار تقرير IIT من منظمة حظر الأسلحة الكيماوية. خلال الاجتماع، الذي كان بعنوان "حماية الدول النامية من الضغوط السياسية: الحفاظ على سلامة الأنظمة الدولية لمنع الانتشار"، شككت عدة منظمات في عمل بعثة البحث عن الحقائق وفرق التحقيق والتحديد في منظمة حظر الأسلحة الكيماوية. أدعى سفير روسيا لدى الأمم المتحدة، فاسيلي نبنزيا، أن زملاءه الغربيين "يحاولون تعبئة الرأي العام ضد سلطات سوريا بغرض واحد. وليس الأمر عن الحفاظ على نظام منع الانتشار. الأمر كله يتعلق بتغيير النظام. "

20. 04. 2021
22. 04. 2021

في الدورة الثانية من الفصل الخامس والعشرين لمؤتمر الأطراف في اتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية، صادقت الدول الأعضاء على قرار يعلق حقوق وامتيازات سوريا بموجب الاتفاقية. يعني هذا أنه حتى تنفيذ سوريا للتدابير المذكورة في EC-94/DEC. 2، لا يمكن لسوريا أن تصوت أو تحمل أي منصب في المؤتمر أو المجلس التنفيذي.

Women Now
For Development
النساء الآن للتنمية

الجريمة المستمرة